

(بد عرض مفصل وواصل لقواعد تجويد القرآن الكريم)
(و بعض ما هو من بابها مع تطبيقات واقية)



المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية

للكاتب الدكتور
محمد حسن حسن جميل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالنصرة)



42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

المختصر

في أصوات اللغة العربية

دراسة نظرية وتطبيقية

(به عرض مفضل ومؤصل لقواعد تجويد القرآن الكريم)
(وبعض ما هو من بابها، مع تطبيقات وافية)

الدكتور

محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)
حاليا: أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم بطنطا

الطبعة الخامسة مزيدة ومنقحة

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



الناشر

مكتبة الآداب

42 Opera square - Cairo - Egypt

42 ميدان الأوبرا - القاهرة ت: 23900868
البريد الإلكتروني: e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للمؤلف

Exclusive rights by
The author

Droits exclusifs à
L'auteur

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جيل ، محمد حسن حسن
المختصر في أصوات اللغة العربية
دراسة نظرية وتطبيقية / محمد حسن حسن
جيل . ط ٥ مزيده ومنقحة . - القاهرة :
مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦ - ٢٣٢ ص ٢٤١ سم
تدعك ١٨٢ - ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الأصوات اللغوية العربية ٢- اللغة العربية النطق
٣- القرآن ، تجريد
١- العنوان

٤١١،٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

عنوان الكتاب: المختصر في أصوات اللغة العربية

دراسة نظرية وتطبيقية

اسم المؤلف: د. محمد حسن حسن جيل

رقم الإيداع: ١٩٥٦٣ لسنة ٢٠٠٨هـ

الترقيم الدولي: 2 - 018 - 468 - 977 - 978 I.S.B.

الناشر

مكتبة الآداب

١٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)

e-mail: adabook@hotmail.com

مقدمة الطبعة الرابعة^(١)

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.
وبعد،

فهذه هي الطبعة الرابعة من «المختصر في أصوات اللغة العربية»، وقد أجريت في مقرراته تحريرات وتنقيحات في مواضع جد كثيرة، كما أضفت تطبيقات صوتية كثيرة تتمثل في كلمات تغير نطقها العامي عن نطق أصلها الفصح لعللاقة صوتية بين النطقين تبينها هذه الدراسة، وذلك لتقريب هذه المادة إلى نفوس القراء، إذ به يشعرون أنهم يدرسون ما يشيع تعاملهم به من اللغة، ثم لتقريب دراسة اللغة عمومًا إلى نفوس الشداة والراغبين. كما أنى أضفت في قسم التجويد صفحات تتضمن بيان ما تنبغي مراعاته في نطق كل حرف عند قراءة القرآن الكريم.

وأحب أن أنوه هنا بأمر التزمتها من حق الدارس أن يحيط بها:
أولها: أن ما قررته من أحكام صوتية في هذا المختصر بالنسبة للمخارج والصفات وما يليها هو ما اقتنعت به أنا شخصيًا تمام الاقتناع ثمرة للدراسة والخبرة - أعني دراسة مقررت القدماء والمحدثين على السواء، مع إنعام النظر في كل ما يلفت في نطق من أشمعتهم، ومع تذوق نطق الحروف مرات بعد مرات. فلم أقرر حكمًا لمجرد أنه رأي القدماء أو أنه رأي المحدثين. وسيجد الدارس أنني كثيرًا ما خالفت مقررات القدماء، وكثيرًا أيضًا ما خالفت مقررات المحدثين.

وثانيها: وهو يتصل بالأول: أن ما قررته بشأن ما اختلّف فيه من أمر الهمزة، والجيم، والضاد، والطاء، والقاف - هو الصحيح الفصح في نطق هذه الأحرف وفي تحديد مخارجها وصفاتها وهيئات خروجها - وقد وثقت ذلك توثيقًا علميًا تامًا - مع علمي

(١) عدلت مقدمة ما بعد الطبعة الأولى لتناسب ما في هذه الطبعة (الرابعة)، بدلًا من شغل الصفحات بما لا يهم الدارس.

بما قرره الأساتذة اللغويون الآخرون، وبما عدّوه أدلة لهم لم أر فيها ما رأوه. أما عزو نطق المصريين القاف مهموسة - حتى في قراءة القرآن الكريم - إلى قبيلة تميم فهو ترجيح قريب من اليقين مبني على كلمة لابن دريد، وقد شاع هذا النطق في بلاد عربية أخرى. وأما عزو النطق المصري للضاد إلى لهجة عربية معينة فهو ترجيح أقل يقيناً إلى الآن. فالترجيح في الحرفين خاص بعزو أصل النطق المصري إياهما، أما سائر ما قررناه بشأنهما فهو يقينيّ محقق علمياً.

وثالثها: أننى أحرص على إبراز ما تبيّنتُ صحته من مقررات الأئمة العرب المتقدمين، وذلك في المسائل الحديثة، والتي اختلف فيها. فذلك حق أئمتنا، وحق العلم، وحق أبنائنا الدارسين الذين يهتز انتماؤهم واعتزازهم بتراثهم عندما يُفجّعون بأن المقررات الصوتية (وغير الصوتية) بشأن لغتهم العربية العريقة تُستقى من دراسات أوربية، وكأنّ العرب كانوا جثثاً هامدة طوال الأربعة عشر قرناً التي مرت منذ نزول القرآن الكريم عليهم ﴿بلسان عربي مبين﴾. في حين أن الحقيقة هي أن مشكلتنا نحن الآن هي غزارة ما قدّم علماء العرب من دراسات نافعة تصعب إحاطتنا بها.

ورابعها: أن ما وجدته من دراسات الأوروبيين صالحاً للتطبيق والانتفاع به في لغتنا العربية قبلته وعرضته - وهذا حق العلم. وما وجدته غير ذلك بينت رأيي فيه. أسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبل جهدي في هذا الكتاب وفي كل كتيب، ويكتب لها الذیوع، ويُلقي على صحيح ما فيها القبول الحسن، ويقيض لما يكون فيها من زيغ من يقوّمه. اللهم آمين. وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر

(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)

حالياً أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم بطنطا

طنطا في يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر صفر ١٤٢٧هـ

الموافق ٢٦ من مارس ٢٠٠٦م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة هذه الطبعة المختصرة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

وبعد فقد لمست أن غزارة المادة العلمية المتضمنة في كتابي «أصوات اللغة العربية» جعلت طلاب المرحلة الجامعية الأولى الذين يدرسونه يجتثون بالمعلومات الأولية عن المسائل الأهم والأنسب لهم، وهي التي تتناول تحرير النطق الصحيح لأصوات العربية مفردة ومركبة، وتقضي في ما ثار حول تلك الأصوات من خلاف.

وقابل ذلك من جانبي توفر مادة جديدة لمسائل صوتية بعضها تحرير أو تفصيل لما في الكتاب المذكور، وبعضها إضافات لا بد منها لوقوعها ضمن موضوع الكتاب.

ومن هنا رأيت أن أخلص لطلاب المرحلة الجامعية الأولى ما لا غنى لهم عنه من مادة الأصوات في مختصر من ذلك الكتاب، عازماً - بمعونة الله تعالى - على ضم ما استجد إلى الكتاب الأصلي في طبعة موسعة تجمع التفصيل والتأصيل.

وهكذا فإن هذا الذي بين يدي القارئ هو مختصر من كتاب أصوات اللغة العربية، تمثل اختصاره في أن حذفته منه ما هو أنسب لطلاب الدراسات العليا. ولم أمتس قسم التجويد بأي اختصار، لأن تجويد القرآن الكريم هو أعز ما تطلب له دراسة أصوات اللغة العربية.

ومن هنا فستعرض في خفة لدراسة الصوت دراسة طبيعية، ثم نعرض لدراسة الجهاز الصوتي الإنساني بشيء من التفصيل، فإذا تم لنا ذلك وقفنا وقفة سريعة عند منهجي البحث عن الحقائق الصوتية: منهج «الدوق» الذي كان القدماء يعالجون به تحديد مخارج الحروف وصفاتها، ومنهج الأجهزة التجريبية الذي يستعين به المحدثون في ذلك التحديد.

فإذا انتهينا من ذلك يتبين شعب الدراسة الصوتية، وعرفنا بكل شعبة. ثم نأخذ في دراسة الأصوات اللغوية مجردة ومنظمة، ثم نتناول تطبيق تلك الدراسة في المجالات اللغوية بعامة، ثم في القرآن الكريم بخاصة.

ولما كان هناك غموض يكتنف صلة الدراسة الصوتية بالدراسة اللغوية، ويشكك في مدى جدواها في المجال اللغوي^(١) - اقتضى هذا أن نأتي في هذا المختصر بأقرب أهداف دراسة الأصوات وأوضحها جدوى. والله المستعان.

أ.د محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة المتفرغ بجامعة الأزهر

طنطا ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(١) يقوم ذاتك الغموض والتشكيك على تصورات خاطئة كصور أن أصوات اللغة معروفة وواضحة وليست لها مشكلات تستحق الدراسة، أو أن الدراسات اللغوية المختلفة ليست بحاجة إلى دراسة الأصوات أو مقررات الدراسة الصوتية، أو أن دراسة الأصوات إنما تلزم في مجال تجويد القرآن فحسب.

من أهداف دراسة أصوات اللغة العربية

(أول) ما تهدف إليه دراستنا لأصوات اللغة العربية هو ضبط النطق الصحيح، والأداء الفصيح للكلام العربي بعامة، وفي قراءة القرآن الكريم بخاصة - على نهج ما كان العربُ الفصحاء يفعلون؛ ذلك أن الأداء السليم الفصيح للغة يحفظ لها رَؤُفها في الأسماع ووقفها الساحر في الطباع^(١)، ويفتح لها القلوب فتعي ما تسمع، ثم تتأمل في أناة وارتياح، وبذلك يتمهد للسامع سبيل الاستجابة والتقبل لما يسمع - إن أسعفت سائر الظروف بذلك القبول. كما أن النطق السقيم يهدر جانباً من وظيفة الكلام، ويهضم حق السامع.

وتحديد قواعد النطق الجيد يلفت إلى العيوب^(٢) التي تخذش جمال الأحاديث الصوتية، ويُهدد لأداء الكلام على وجه يحقق الغاية منه. كذلك فإن اللغة ألفاظٌ ومعاني. والمعاني مَنوطة بالألفاظ. وبقدر استيفاء اللفظ لحقه في الأداء يكون استكمالُه التعبيرَ عن جوانب معناه، ويكون تعبيرُه عن المتكلم أَوْعَى، وتأثيره في السامع أَوْفَى، واستجابة السامع له أَرْجَى.

ولا شك أن من حق السامع أن يتهيأ له - في ما يُخاطب به - أداءٌ واضح تميز

(١) جمال اللغة العربية، وأخذها بالألأباب، والحِش الحاص الذي يتميز به العربي نحو لفته.. قضايا مقررة - تأتي شواهد لبعضها قريباً. ولعل سرَّ جمالها وسحرها يرجع في جانب منه إلى أنها لغة شاعرة تتراوح فيها الحركات والسكنات - والنفوس ترتاح للتعبير المتناسق الموقع، وأنها غزيرة الثروة من المفردات المخصصة والدقيقة الدلالة - والتعبير الدقيق أمكن في النفوس وأخطى لها لأنه أدل وأخصر، وأنها غنية بأساليب البيان - والنفوس تستمتع بالحرية والشعة التي تتيحها كثرة الأساليب وإمكان الاختيار، كما تستمتع بالصور والأخيلة الطريفة التي تقوم عليها تلك الأساليب البيانية.

(٢) من العيوب ما يُلاحظ في نطق عامة المثقفين للثاء والذال والظاء، والجيم بل وفي نطق الخاصة للطاء والضاد والقاف، وما شاع من إدغام ما لا يدغم كإدغام لام التعريف في الجيم في مثل الجامع والجهة وفي الكاف مثل الكتاب، وكذلك قطع همزة الوصل، وترقيق المفخم مثل الطاء والصاد، وتجاوز حدود المد أو التقصير عنها، إلى غير ذلك من أخطاء الأداء الصوتي.

مفاصله، ويمتد رنينه ليعبر عن أبعاد معناه. كما أن من حقه أن (يُنْتَم) له الكلام بما يناسب مقتضى الحال - إسهامًا في صدق التعبير وكماله.

فإذا أُدِيَتْ الحروف من مخارجها، واستُوفِيَتْ صفاتها، وحُسِّنَ تآلفها في كلماتها، وحُسِّنَ تآلف الكلمات في عباراتها، وأُلْقِيَتْ العبارات على الوجه المناسب لموضوعها - في فصاحة تتمثل في وضوح المفاصل وقوة الثِّبَرَات - فلا شك أن السامع يكون قد استوفى حقه، ولن يُوَفِّكَ عما يُراد منه إلا لعوائق في ذات نفسه أو في معقولية الكلام الذي سمعه. وإذا كان عَرَضُ الكلام على هذا الوجه من البيان والفصاحة وحسن الأداء حقًا للسامع لاشك فيه، فإنه يصبح بالضرورة واجبا على المتكلم لا فَكَاكَ منه - إن كان يريد أن يبلِّغ مراده بما ألقى من كلام.

ولعله لهذا كان دعاء موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - رَبِّهِ ﴿وَإِخْلُ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾^(١): فَرُبَّ فِقَّةٍ النَّاسُ قَوْلُهُ عَلَى حُلِّ عَقْدَةٍ^(٢) لِسَانِهِ.
ولعل ذلك المعنى نفسه يفسر بعض جوانب الأمر الكريم ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٣).
فإذا جاوزنا جانب الإفهام بسلامة أداء الكلام، وجدنا أن الأداء الفصيح المحكم للغتنا العربية يُمتنع ذوى الحس اللغوي المرفه، وبأسير نفوسهم بصورة قد تفوق المتعة باللحون الغنائية. فالعربي المُرْهَف الحس يَلْدَّ سماع الإلقاء الفصيح للتعبير الصحيح، ويسخره الجُرْس الذي يمثل المعنى تمثيلا صادقا. فتراه يستريح إليه، وَيَهْتَشُّ له. وربما أسهم هذا الارتياح في قبوله مضمون الكلام، وانقياده إليه - ما لم تكن هناك عوائق أخرى. وصدق رسول الله

(١) سورة طه (٢٧، ٢٨) ولا شك أن طريقة الإلقاء أيضًا مما يدخل تحت ما أُمِرَ به موسى وأخوه هارون في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ أَلْفًا بِمَذْكُورٍ أَوْ يَخْشَى﴾ سورة طه ٤٤ .

(٢) فَشَرَّتْ العقدة بالوُتة، وبالعُجْمَةِ (تفسير القرطبي ٢٩٢/١١) والوُتة هي الحُبْسَة، والعُجْمَةُ عَدَمُ الإفصاح. وتصدق باللُغَةِ واللَّفَف والحُكْلَة وما إليها. ولكن تعبير القرآن الكريم بالعُقْدَة، وما حكاها عن فرعون من وصفه سيدنا موسى بأنه ﴿لَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥٢) يُرْجَح أن تلك العقدة كانت رُتَّة أي حُبْسَة يحبس النطق عند البدء بالجملة أو الكلام ثم ينطلق، وبالحُبْسَة أيضًا فشرها الجاحظ في البيان والتبيين (٧/١، ٨، ١٥).

(٣) سورة المزمل (٤) ، والترتيل: القراءة كلمة كلمة مع التمهّل والتزام المخارج والصفات.

صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَسِخْرًا». ويقول عمرو بن عبد العزيز: ما كلُّمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يُمَكِّدَ له في محبته حتى يكثر كلامه فأسمعه»^(١) أي أنه يستمتع بسماع كلامهم. ويقول الجاحظ «ليس في الأرض كلام هو أمتع، ولا أنفع ولا أثق، ولا ألدُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتقُّ للسان، ولا أجودُّ تقويماً للبيان.. من طول سماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء»^(٢).

وكان الجعَّاج - وهو مشهور بالفصاحة - يستوصفُ من يَفِدُّون إليه ما رَأَوْا من مطر أو غيره ليتمتع بحديثهم^(٣). ولا نريد أن نسوق هنا ما حكى الشعراء عن افتتانهم ببعض النساء لمجرد سماع حديثهن^(٤)، لأن هذه الشهادة مشوبة بظن الشهوة - والشهوة عمياء زائفة الشهادة. والحديث عن أثر السماع للقرآن - في مقابل ذلك - حاسم الدلالة: روى ابن الجزرى (٨٣٣هـ) بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي (تابعي مخضرم ت نحو ١٠٠هـ) قال: «صلى بنا ابن مسعود بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فوالله لَوَدِدْتُ أنه قرأ بسورة البقرة، من حسن صوته وترتيله» اهـ. ثم يقول ابن الجزري: «ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسْنُ صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان بجِدِّ الأداء، فَيَمَّا باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدهمون عليه، ويجمعون على الاستماع إليه، أُمَمٌ من الخَوَاصِّ والعوام، يشترك في ذلك من

(١) البيان والتبيين - هارون (١٧٤/١) (سندوي ١٨٥/١) والمختار من محاضرات الأدباء، للراغب ٣١.

(٢) «البيان والتبيين» (١٤٥/١).

(٣) انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١١٠/١) وترجمة ابن القزويني في وفيات الأعيان (تحقيق الشيخ محمد محيي الدين ٢٢٧/١).

(٤) كما أنشد ابن القاسم الأنباري:

وأذُنِيَّتِي حَتَّى إِذَا أُن سَبَّيْتِي بقول يُجِلُّ الغَضَمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ [الطويل]
وقول الآخر:

وحديث بمثله يُنَزِّلُ الغَضَمَ ثم رَحِيمٌ يَشُوبُ ذَلِكَ جِلْمٌ [الخفيف]
(الأضداد لابن الأنباري) وقال ثالث:

رُهبَانٌ مَذِينٌ وَالَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ يَبْكُونَ مِنْ خَذَرِ الْعَذَابِ مُجُودَا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكْعَا وَشُجُودَا [الكامل]

يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوى الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان. وبلغنا عن الإمام عبدالله بن علي البغدادي المعروف ببسيط الحياط (٥٤١هـ) أنه كان قد أُعطي من ذلك حظا عظيما، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته^(١).

أقول: ولعل ذلك كله يفسر جانبا^(٢) من وصف أحد قادة الكفار للقرآن بقوله^(٣): «إن له لخلوة، وإن عليه لطلاوة»، كما يفسر لنا سُرًا من أسرار استراق الكفار السمع للقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه ليلا^(٤)، واتخاذهم الغفّ والصخب على من يقرأ القرآن أسلوبًا لمحاربته^(٥). وبعض ذلك يرجع ولا شك إلى الروعة المعجزة من تألف أصوات الألفاظ القرآنية، وتآلف الألفاظ في عباراتها، وتآلف العبارات في مساقاتها، وبعض آخر يرجع ولا شك إلى الإلقاء الفصيح المعبر (الترتيل) الذي أَمَرَ به الله تعالى، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين^(٦).

والتاريخ يذكر، والعصر الحديث يشهد - أن كثيرين ممن نالوا حظا من السيادة والعظمة

(١) النشر لابن الجزري (٢١٢/١).

(٢) هو جانب فصاحة الأداء وحسن الإلقاء مع حسن تأليف الكلام في ذاته. وهناك جوانب أخرى تعود إلى إحكام القرآن وإعجازه.

(٣) هو الوليد بن المغيرة (انظر تفسير القرطبي ٧٤/١٩ والسيرة لابن هشام ٢٧٠/١)، وانظر ما جاء في السيرة الحلبية (٤٨٧/١) من قول عقبة بن ربيعة في وصف القرآن «والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالشعر ولا بالكهانة» ثم قوله بعد ذلك (٤٨٨/١). «والله الذي نصيها بنية - يعني الكعبة - ما فهمت شيئا مما قال - غير أنه أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» وتأمل (ضمن قصة استماع كفار قريش قراءة النبي القرآن استرقا بالليل) قول أبي سفيان: وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها، ووافقه الأخنس بن شريق في ذلك (السيرة لابن هشام ٣١٥/١).

(٤) قصة تسأل أبي جهل والأخنس بن شريق وأبي سفيان - قبل أن يُسلم - ليلا إلى بيت النبي ليسمعوا قراءته، ثم التقائهم وتلاويهم وتعاهدهم على ألا يعودوا، وعودتهم رغم ذلك مرتين آخرين - في السيرة لابن هشام ٣١٥/١ ، ٣١٦ - وانظر التعليق السابق لهذا.

(٥) سجل القرآن عليهم ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ سورة فصلت ٢٦ .

(٦) هناك أيضًا جوانب أخرى للإعجاز ليس هنا مجال عرضها.

بين قومهم - من حكماء وزعماء، وعلماء وقُرّاء، وأدباء وخطباء وغيرهم = كانت جودة الإلقاء وفصاحته إحدى السمات التي ميزتهم ودعّمت عظمتهم وشهرتهم^(١).

ولكن كان تحصيل هذا الهدف الأول - وهو إجادَةُ النطق والإلقاء على أسس علمية - واجبا تفرضه معايير الجمال، وحق اللغة والقرآن والمستمع على كل ناطق بالضاد، فإن معايير الكفاية المهنية - بالإضافة إلى ذلك - تجعل تحصيل هذا الهدف وأساسه العلمية ضرورة أساسية على المعلمين، وخاصة معلمي اللغة العربية، حتى يكونوا قدوة صالحة في جودة النطق والإلقاء، وحتى نيسر لهم معالجة المشكلات اللغوية المتصلة بالجانب الصوتي للغة - وهي كثيرة تحتاج إلى ذخيرة دسمة توفّرها لهم هذه الدراسة، فيقوم تعليمهم وتوجيههم لأبنائهم على أسس ركيّة.

ثانيا: إن دراسة أصوات اللغة، وتحقيق مخارجها وصفاتها - مفردة ومنظمة - تمكننا من (رصد)^(٢) التطور الصوتي الذي تتعرض له أصوات اللغة، وتقنين هذا التطور وضبط اتجاهاته. ويتم هذا الرصد بتحديد النطق الحالي لأصوات اللغة تحديدا علميا دقيقا - أخذنا من الواقع، مع تحديد النطق القديم لهذه الأصوات عينها تحديدا علميا أيضا - أخذنا من الدراسات القديمة لأصوات اللغة، ثم بمعارضة النطقين أحدهما بالآخر يمكن رصد التطور واستنباط قواعده.

وبتحصيل اتجاهات التطور وقواعده يصبح لدينا أساس علمي نعالج به تحقيق المطالب اللغوية الآتية:

(١) نذكر تنويه النبي ﷺ بقراءة عبد الله بن مسعود القرآن «عَصًا كَمَا أُنْزِلَ»، وتنويهه بقراءة أبي موسى الأشعري، وتنويهه القراءة بفصاحة نطق عمر، وفصاحة عليّ والحسن البصري، ونافع إمام القراء، وعيسى بن عمر النحوي (انظر ترجماتهم في طبقات القراء) رضي الله عنهم - وكلها فصاحة نطق وإلقاء. وفي العصر الحديث يذكر الناس طريقة إلقاء د. طه حسين، والشيخ أحمد حسن الباقوري.. ومن هنا تستثمر الإذاعة قدرة بعض العلماء وبعض أهل الفن على الإلقاء الجيد المحكم الذي يشرح القلوب لما يلقون، فتكلم إليهم إلقاء بعض الأحاديث النبوية الشريفة. ومن هذا القبيل اشتراك عدد من محسني الإلقاء في إنشاد قصائد البوصيري في مدح النبي ﷺ .

(٢) نقصد برصد التطور أن نلاحظ وقوعه ونسجله تسجيلاً علمياً.

أ - كشفُ ما وقع من تطور لأصوات اللغة - قديماً في ما تُظهره الدراسات عن أقدم صور اللغة العربية^(١)، وحديثاً في نحو ما وقع لأصوات القاف والطاء والضاد والجيم، وكثير من أَلْفَاظ العامية^(٢)، ونحو ما قيل من تطور بعض أَلْفَاظ الفصحى بالتركيب أو غيره مثل ليس وَلَنْ وَكأين...، وستة وودّ ونحوها^(٣)، وكما قيل من تركيب الأَلْفَاظ الرباعية وما فوقها من أَلْفَاظ ثنائية أو ثلاثية^(٤)، بل ما قيل من تطور الأَلْفَاظ الثلاثية عن ثنائية، والثنائية عن مقاطع أحادية - كما قيل في نشأة اللغة^(٥).

وقوانين التطور هي التي تمكّنتنا من مناقشة هذه الدعاوى.

ب - نستطيع برصد هذا التطور ومعرفة اتجاهاته وقوانينه أن نَحُول دون تفاحشه تفاحشاً يشوه أصوات اللغة أو يهيم معالمها. وعلى سبيل المثال فقد تبدلت في أداء عامة المثقفين المصريين أصوات الثاء والذال والطاء والضاد (والراء - في نطق بعض النساء)، وعَلَبَتْ على نطقهم الجيم لهجة ضعيفة. بالإضافة إلى تبدل أصوات الضاد والطاء والقاف - كما سيأتي تفصيله.

إن ذلك التبدل يؤدي - في الحد الأدنى - إلى التباس الجذور اللغوية والمفردات بعضها ببعض، وذلك باب واسع إلى فساد اللغة؛ فإن المعاني مَثُوتة بالجذور والمفردات، فإذا التبست هذه التبست تلك. ومعظم الصعوبة في إرجاع الألفاظ العامية إلى أصولها الفصيحة ناشئة عن ذلك التبدل وهذا الالتباس^(٦). لقد شكل هذا التبدل أبرز مظاهر

(١) ينظر مثلاً: مدخل إلي نحو اللغات السامية المقارن. ترجمة د. مهدي الخزومي ود. المطليبي ٧٩ - ٨١ وغيرها.

(٢) سيأتي بيان هذا في هذا الكتاب.

(٣) ينظر تاج العروس، ومطولات النحو في مظان هذه الكلمات.

(٤) ينظر معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس. أبواب «ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف» التي عقب بها أبواب المعجم عدا أبواب الهمزة والواو والياء.

(٥) انظر - مثلاً - سر الليال في القلب والإبدال للشدياق، ومقدمة العلامة العلاملي ومعجمه.

(٦) كما يخفي في أول الأمر رد لفظ مُدَّهَب إلى ذهب، قترح إلى قنزع، يثبت ويمتد إلى مُثَبَّت ومثرد، وابن جنث إلى ابن جنث.. إلخ، وهناك مئات الأمثلة في الكتب التي تدرس أصول العامية. انظر مثلاً: المحكم في أصول الكلمات العامية. وسنأتي بأمثلة من هذا النوع بعد.

الاختلاف بين العربية والفصحى والعاميات المتطورة. ولولا اعتصام العرب بالنطق العربي الفصحى في قراءة القرآن الكريم - كما زُويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكما سجلها علماءهم بأوصاف تناولت كل دقائقها - لتحللت الفصحى إلى لغات إقليمية غامضة الصلة بالفصحى أو دائريتها، كما حدث للغات الأوربية الحديثة، فقد كان تغيير أصوات حروف كثير من كلماتها من أبرز عناصر تميز هذه اللغات عن أمها اليونانية أو اللاتينية^(١). بل كما يفترضه الباحثون الآن من أن العربية واللغات السامية الأخرى إنما تفرعن عن لغة سامية قديمة يمثل ذلك التغير لأصوات الحروف^(٢). فرضد أصوات اللغة وضبط نطقها الصحيح - توسلا إلى التزامه وتربية النشء عليه - هو الذي يعصم من مثل هذا التحلل وذلك الالتباس، بما يؤديان إليه من استغلاق مصادر الدين والتشريع، وطمس معالم التراث بقيمه وثقافته.. وكلها عناصر أساسية في تكوين ذاتيتنا. ج - كذلك فإن دراسة التطور الصوتي وكشف قوانينه تمكننا من كشف الصلة بين لهجات اللغة العربية - أو فروعها - على مختلف المستويات:

فبها نكشف العلاقة الصوتية بين الفصحى والعاميات المتطورة عنها، وبها نكشف الصلة بين اللهجات العربية المختلفة من نجدية وحجازية ويمينية وغيرها، وبها نكشف

(١) كما في تحول t.p في اللاتينية واليونانية pater إلى f و th في الإنجليزية tather وكذلك تحول ال p فيهما إلى v في الألمانية Vater وكما في تحول f و t في اللاتينية frater إلى b و th وحذفت ال t في الفرنسية. pere و Frere وكما تحول صوت C من نطقها كالكاف في اللاتينية Centuria إلى س في الإنجليزية Century ثم إلى h و ال t إلى d في الإنجليزية السكسونية Hundred وكذا تحول صوت ال g إلى صوت الحاء في الأسبانية وهكذا.

(٢) تأمل الفروق والتبدل الصوتي في بعض الكلمات الآتية حسب اللغات السامية.

عربي	جنوب الجزيرة والهبة قديما	أشوري وبابلي	آرامي	عبري
أب	أب	أبو	أبا	آب
ابن	بن	بنو	برا	بن
أخ	أخو	أخو	أحا	أح
إنسان	أنش	نشو	ناشا	أنوش

الصلة بين اللغة العربية وأخواتها الساميات كالفينيقية^(١)، والآرامية، والعراقية والجنوبية... وفروعهن أيضا، كما نتبين معالم الاختلاف بينهن، وأسس هذا الاختلاف. إن هذه الدراسات والمقارنات تفيد ولا شك في تحليل التغيرات اللهجية على كافة المستويات... ما سبق منها وما يستحدث.

د - كذلك فإن دراسة أصوات اللغة وصور تطورها تعين أيما معونة على كشف الصلة بين اللغة العربية واللغات الأخرى غير السامية. فلقد قال بعض الباحثين ذوي القدر والرأي المحترم بأن اللغة العربية هي أم اللغات التي في العالم، واستشهد لذلك بمئات من الألفاظ التي تعود جذورها إلى ألفاظ عربية. وقد توسل في ذلك البحث بمعرفة التطورات الصوتية التي يمكن أن تحدث لحروف الجذر العربي حتى تصير إلى ما صارت عليه في اللغات الهند أوروبية القديمة واللغات الأوروبية الحديثة^(٢).

ولا يتسّع متخصصا في اللغة العربية أن يتجاهل أمثال هذه البحوث - بَلَّة تجاهل الصلة بين لهجات العربية، أو بين العربية وسائر الساميات.

بل إن الباحث العربي يمكنه بدراسة قوانين التطور - تتبع العلاقة بين اللغات غير العربية كالعلاقة بين اللغات الأوروبية وأمهااتها. وقد مرت بنا صورة وأمثلة لذلك منذ قليل. ولا شك أن تتبع مثل تلك العلاقة يزيد من خبرة الباحث في مجال الدراسة الصوتية العربية، لذلك نجد أن كثيرا من القوانين الصوتية عالمية وصالحة للتطبيق في جمهور اللغات المعروفة.

وأخيرا فإن دراسة الأصوات وتطورها والمقارنة بينها تساعد المتخصص في العربية

(١) انظر مسردا (مقارنا) للكلمات السامية ألحقه إسرائيل ولفنسون بكتابه تاريخ اللغات السامية.

(٢) تحدث الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - عن هذا في كتابه «أشنيات مجتمعات في اللغة والأدب» ص ١٤ - ١٦ وقد قرأت بعض بحوث العلامة محمد أحمد مظهر - وهو صاحب أبكر محاولة في العصر الحديث لرّد اللغات الهند أوروبية إلى العربية - واقتنعت بها. كما أن هناك كتبا ألف ليان أن آلافا من مفردات اللغات الأوروبية ترجع إلى أصول عربية. وقوام كل تلك البحوث هو العلاقات بين حروف كلمات العربية وحروف الكلمات التي بمعناها من اللغات الأخرى المذكورة. وبحث هذه الدعاوى يتطلب دراسة علم الأصوات اللغوية دراسة محمصة.

على تبين أسلوب العرب القدماء في تعريب أسماء الأشياء التي دخلت المجتمع العربي من فارس والروم بعد الفتوح، وحملت معها أسماءها، فوضّع العرب لبعضها أسماء من عندهم، وعزّبوا أسماء بعضها الآخر.. مغيّرين بعض حروفها وصيغها في نطقهم إياها إلى ما يناسب العربية.

ثالثاً: تحقق الدراسة الصوتية كشف أسس كثير من الظواهر اللغوية في مختلف مجالات الدراسة اللغوية.

أ - ففي متن اللغة: تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة الإبدال اللغوي المبني على التقارب (كما في هتن السحاب وهتل، والرجبة والرجمة: ما تُدعّم به النخلة الطويلة، والغيم والغين، والتزغ والتشغ: الطعن بيد أو رمح، ونشوز المرأة ونشوصها..) وهي ظاهرة أُلّفَتْ فيها كتب^(١) شملت عدة مئات من الألفاظ^(٢) حتى قال أبو الحسن بن الصائغ: قلما تجد حرفاً (يعني من حروف الأبجدية) إلا وقد جاء فيه البديل ولو نادراً^(٣). فلا يسوغ لمتخصص في اللغة أن يجهل أسس هذه الظاهرة وأمثالها كظاهرتي الإبدال التخفيفي (باب تقضيت وباب حثحث).
(٢) كما تفسر سر إهمال بعض الأبنية كالمواد التي آخرها ثاء، وأولها ذال أو سين أو ظاء...

(٣) وتفسر أساس الحكم بأن لفظاً ما مُعَرَّبٌ لأنه لا يتفق ونَسَقَ التأليف العربي للأصوات.

(٤) كما تقدم دراسة الأصوات أساسَ الترتيب المعجمي الصوتي.

ب - وفي فقه اللغة تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة التصاقب (كالأسف والعشف، والأزوالهز، والجَلَح والجَلَه) وهي ظاهرة تبدو مطردة في اللغة لا يسوغ الجهل بها أو بأسسها.
(٢) كما تفسر بعض صور الاشتقاق. (٣) ونظريات نشأة اللغة.
(٤) وبعض الاختلافات اللهجية.

(١) كالقلب والإبدال لابن السكيت، والإبدال لأبي الطيب اللغوي.

(٢) تناول كتاب القلب والإبدال لابن السكيت نحو ٤٦٠ لفظاً وقع فيها إبدال، وجمع السيوطي نحو

١٤٤ لفظاً (انظر المزهري النوع ٣٢ فيه). (٣) للمزهري عيسى الحلبي ٤٦١/١.

(٥) وبعض صور التطور اللغوي التاريخي وصور الأداء العامي للغة (كإمالة نحو المدرسة «والإبدال في نحو «حجيت»، والإدغام في نحو «الكلمة»).

ج - وفي الصرف تفسر دراسة الأصوات:

(١) السر في ثقل بعض الأبنية (كصيغ فَعَلَ وفَعِلَ وفُعِلَ في الأسماء.)، كما تفسر ظواهر القلب والإبدال والإعلال الصرفي، والإدغام.

(٢) وتفسر بعضاً من أبواب مضارع الماضي الثلاثي كصيغة فَعَلَ يفَعَلُ (بافتح فيهما).

(٣) وحالات التقاء الساكنين (الجائز منها والمتعم).

د - وفي النحو تفسر دراسة الأصوات:

(١) علامات الإعراب وتجانسها.

(٢) وإسكان آخر الفعل المسند للضمائر المتحركة، والعلاقة بين صور بعض أنواع الضمائر كضمير الغائب، وكذلك تفسر ضبطها في مواقعها، وتفسر الاستغناء عن الأدوات بالنبر والتنغيم.. إلخ.

هـ - وفي البلاغة والأدب تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة تنافر الحروف والكلمات المخلّ بالفصاحة.

(٢) وظاهرة الإيحاء بالمعنى والتناسب معه في الألفاظ والعبارات.

(٣) وكثيراً من المحسنات البديعية.

و - وفي العروض تفسر بعض الظواهر الخاصة بقواعد الوزن العروضي وأنواع القافية وعيوبها.

وهذا كله عدا الحصيلة المباشرة من الحقائق الصوتية التي توفرها دراسة الأصوات، والتي تزود الدارس بالأساس العلمي للأداء الفصيح للغة. كما تزوده بالأساس العلمي لتجويد القرآن الكريم، كما أن دراسة الأصوات مقدمة علمية ضرورية لدراسة القراءات القرآنية^(١).

(١) مما بلفت النظر ويؤكد أن دراسة الأصوات أساس ضروري لعلاج كثير من الموضوعات اللغوية الأساسية أنها اتخذت مكانها بين موضوعات الدراسة منذ المؤلفات اللغوية الأولى «العين» للخليل (١٧٠هـ)، «الكتاب» لسيبويه (١٨٠هـ)، ثم شاع تناولها في كتب اللغة تباً واستقلالاً.

منهج البحث في الأصوات

يراد بمنهج البحث هنا الطريقة التي يُتوصَّل بها إلى كشف الحقائق الصوتية وتقريرها: كتحديد مخارج الحروف، وصفاتها وهيئات أعضاء الجهاز الصوتي مع إخراج الحروف ومع اتصافها بصفاتها.

وللباحثين في هذا منهجان:

(١) المنهج القديم وهو التجربة الذاتية ويعبرون عنه «بالذوق» أي ذوق الحروف - بتجربة نطقها والتأمل الذاتي في موضع تَكُون كل حرف وصفاته وهيئات أعضاء الجهاز الصوتي معه. وفي ذلك يقول الليث حاكياً عن الخليل بن أحمد (ت نحو ١٧٥هـ) هذا المنهج «ولما كان ذَوَاقُهُ إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يُظهِرُ الحرف (المراد ذَوَاقُهُ) نحو أْب. أْث. أْغ. آْغ... فوجد العينَ أدخَلَ الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب (أي معجم العين للخليل) ثم ما قَرَّبَ منها الأُرْفَعُ فالأُرْفَعُ حتى أتى على آخرها وهو الميم»^(١). وننبه هنا: إلى ضرورة الاحتفاظ بهذا المنهج وعدم التفريط فيه أو الإزراء عليه، أولاً لأنه متاح دائماً على المستوى الفردي والعام، وهذا بدوره يتيح قُرَصَ تنوع الذوق للتوصل إلى النطق الصحيح. وثانياً لأن الاحتكام إليه هو أقرب سبيل إلى فهم تعبيرات القدماء ومقرراتهم. وأنا أتخذ في دراستي هذه منهج الذوق هذا مع الحرص على دراسة مقررات قدمائنا دراسة تمحيص.

(٢) المنهج الحديث أو منهج الاستعانة بالأجهزة المستحدثة.

أما المنهج الحديث فهو قائم على استخدام الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات بدلا من الاعتماد على الإحساس الشخصي المعرض للالتباس. وعدَّ بعضهم هذه الدراسات

(١) العين للخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الله درويش (٥٢/١)، هذا وسيتبين فيما بعد أن العين ليست هي أدخل الحروف وإنما تسبقها الهمزة والألف والهاء وقد جاءت بهذا غثيه رواية أخرى لكلام الخليل (ينظر الزهر ٩٠/١).

فرعاً من الدراسة اللغوية باسم علم الأصوات التجريبي Expirimental Phonetics ولكن الدقيق أنه هو علم الأصوات هذا إذا استعان بالأجهزة الصناعية. ومن هذه الأجهزة الحديثة:

(أ) رسّام الذبذبات الموجية (الكيمو جراف) Kymograph وهو جهاز لتسجيل الذبذبة أو التأرجح الموجي (الصوتي) في خط تموجي. وهو مكوّن من أسطوانة تُثبت على محيطها شريط ورقي فتدور ويمتد إلى الورق قلم يسجل عليه الذبذبات، وهذا القلم يتصل بأنبوبة يمكن أن يثبت في طرفها الآخر أي من عدّة أدوات معدنية مهيأة لتتطبق على مقدّمة الرقبة (فوق الخنجرة) أو فتحة الأنف أو الفم.

وعند الكلام يتحرك الهواء من الفم أو الأنف أو يتحرك ظاهر الخنجرة وتنتقل تلك الحركة بواسطة الأدوات المعدنية إلى القلم الذي يتحرك فيسجل الحركات على الورق على هيئة خط موجي.

كما يمكن تسجيل ضغط الرئتين عند نطق أي مقطع صوتي بواسطة حزام أو أكثر يلتف على الصدر ويوصل بالكيموجراف. وكذلك يمكن قياس انفراج الشفتين عند نطق الأصوات المختلفة - بأداة أخرى توصل بالكيموجراف أيضاً.

(ب) رسّام ذبذبات التيار الكهربائي (الأوسيلوجراف) Oscillograph وهو جهاز يمثل ذبذبات التيار الكهربائي تمثيلاً مرئياً. وهو يحوّل الموجات الصوتية التي يتلقاها - من (مكبر صوت) أمام فم المتكلم - إلى موجات كهربية تظهر على شاشته. وبواسطته يمكن تحليل الموجات الصوتية المركبة إلى الموجات (البسيطة) التي تتكون منها، ويمكن كذلك تصوير الذبذبات - التي تظهر على شاشته - لعبارة ما.

(ج) رسّام الطيف الصوتي Sound Spectrograph^(١) وهذا الجهاز يستطيع تحليل الجمل أو العبارات المنطوقة، وبيان الذبذبات الموجودة في كل جزء من أجزائها،

(١) عن معاني أسماء الأجهزة kymograph مركب من اليونانية kuma = موجة / قمة، graph كتابة، Oscillo و Oscillograph مأخوذة من Oscillate = يتأرجح أو يتذبذب في حركة بندولية Spectro . Spectrograph من اللاتينية Spectrum = طيف.

وتسجيل ذلك على ورقة بيانية. وبه استطاع تحديد نوع الصوت، وقوته، والنغمة التي نطق بها.

وفي جامعة الإسكندرية معمل صوتي أنشأه العلامة الدكتور/ بخاطره الشافعي رحمه الله، وكانت به كل تلك الأجهزة، وزرناه واستعملناها أكثر من مرة^(١). ولكن تغير هذا الآن واستُبدِلت بالأجهزة المذكورة صديوات (ديسكات) وحاسوب. كذلك كان لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - وهي معقل عريق للدراسات العربية والإسلامية - معمل صوتي استُخْضِرَتْ له أجهزة كالمذكورة، ثم دُثِرَتْ تلك الأجهزة واستُبدِل بها معمل لغات يُشْتَغَلْ لتدقيق النطق والأداء الأمثل للغة العربية. وقد زرناه في أواخر عام ١٩٩٩ مع وفد من طلاب كلية القرآن الكريم.

ولا يخفي أن تلك الأجهزة مكلفة، وتحتاج إلى معامل، وإلى فنيين لتشغيلها.. وأنسبهم من كان ضليعاً في العلم بأصوات العربية. ثم إنها صُمِّمَتْ للغات مخترعها، ولذا فهي تعجز إزاء بعض مشكلات لغتنا العربية (مثل بيان أي الحرفين أعمق العين أم الحاء..).

كذلك ينبغي التنبيه إلى أن تلك الأجهزة الحديثة هي كالمرآة تكشف حال ما يجزُب بها حسب واقعها لا حسب ما ينبغي. فإذا نُطِقَتْ القاف مثلاً أمامها وبيَّتَتْ أنها مهموسة، فهذا بيان النطق الذي جرى - لا بيان النطق الفصيح الذي ينبغي. ومع ذلك فنحن نرحب بكل وسيلة مستحدثة تسهم في كشف معلومة أو تدقيقها.



ومع ثقتنا واحترامنا الكامل لكل الجهود العلمية المخلصة فإننا حريصون على مراجعة ثمار هذه الجهود والتحقق من نتائجها، حتى يكون هناك أساس للمشاركة في المسؤولية

(١) زرت المعمل الصوتي بكلية الآداب جامعة الإسكندرية أكثر من مرة ورأيت تجارب لعمل تلك الأجهزة في بيان صفات الحروف. ووضعت تلك الأجهزة في بعض المعاجم الإنجليزية وبخاصة The New Elizabethan Ref. Dict. وكتاب أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب (٢٦ - ٣٥).

العلمية عما نقرره أو نرجحه، وستتوسل في هذه المراجعة بما يتاح من تلك المناهج التي عرضناها، وبمناقشة ما قرره القدماء والمحدثون في ضوء معطيات التطبيق اللغوي في شتى الجوانب. ويمكن للدارسين في هذا المجال الاستعانة بمجموعات تمثل أعضاء الجهاز الصوتي الإنساني كالحنجرة، والحلق وفتحات العليا والسفلى، وتجويف الفم والأنف، وسقف الحنك الصناعي.

بقى أن نقول في ختام مبحث المنهج هذا. إن التلقي الذي يترس به بعض الدارسين كلما ضادفهم جديداً أو تحوّل عما قرره القدماء = ليس حجة مطلقة. وقد أسقط الإمام أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ) حجية التلقي عمن لم يدرس اللغة نحواً ولهجات وكلمات ومعاني، وكذا عمن لم يدرس القراءات دراسة فاقهة^(١). فلا بد من دراسة مقررات علم الأصوات دراسة منهجية علمية يتميز بها الصواب من الخطأ في كلام المتقدمين والمحدثين على السواء، ثم نبدي رأينا - بعد ذلك - في صواب ما تلقيناه أو خطئه.



(١) ينظر كتاب السبعة لابن مجاهد/ تحقيق د. شوقي ضيف: ص ٤٥ - ٤٦ .

شُعْبُ الدِّراسة الصوتية

من الدراسات الصوتية ما ينصبّ على الجانب التّطقيّ من الأصوات اللغوية -
رُس أعضاء النطق، ومخارج الحروف، وصفاتها، وهيئات أعضاء النطق مع الحروف
فئاتها المختلفة... ويسمى هذا علم الأصوات النطقي Articulatory Phonetics
هذا الجانب هو موضوع دراستنا.

ومنها ما ينصب على ما يحدث في الهواء (أو غيره أي ما يحدث في الوسط الناقل)
من ذبذبة وموجات صوتية، وما يتصل بهذه الموجات الصوتية في الوسط الناقل من طول
وسرعة وغيرها.. والعوامل المؤثرة في كل ذلك - ويسمى علم الأصوات الموجي أو
الوسطي Acoustic Phonetics^(١) وقد يسمى الطبيعي، وليس هذا الفرع موضوعاً
لدراستنا.

ومنها ما ينصب على دراسة العمليات السمعية التي تجري في الأذن ويسمى علم
الأصوات السمعي Auditory Phonetics . وهذا أيضاً ليس موضوعاً لدراستنا.
وأما دراسة الأصوات النطقية فإن علماء الأصوات يقسمونها إلى مستويين.
الأول: يدرس الأصوات اللغوية مفردة أي غير مركبة في كلام. فيدرس مثلاً حرف

(١) لفظ (Acoustic) تشرحه المعاجم الإنجليزية والعربية على أنه يعني (سمعي) أي ما ينسب إلى
حاسة السمع. انظر معجم إلياس أنطون إلياس، و

The New Elizab Ref. Dict., Concise Oxford Dict., The Twent. Cent. Dict.
ولكن الآخرين يضيفان أنها تعني أيضاً ما ينسب إلى نظرية (انتقال) الأصوات أو ما يعمل بالموجات
الصوتية كالألغام التي يمكن تفجيرها بالموجات الصوتية المنقولة تحت الماء. ومن هنا أثرت ترجمتها بالموجية
أو الوسطية وآثرد. حلمي خليل إبقاء اللفظ الإنجليزي وتجنب كلانا ترجمتها إلى سمعية - كما فعل د.
محمود صيني لأن هناك دراسة صوتية غير هذه خاصة بالسمع وما يجري فيه وتسمى الأصوات السمعية
(انظر التعريف بعلم اللغة ترجمة د. حلمي خليل ص ١٠٦ ومجلة الفيصل ع ١٨ / نوفمبر ٧٨ ص ٦٩)
وآثرد. كمال بشر (علم اللغة العام الأصوات ١٢)، د. أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي ٣)
تعريبها أكوستيكي.

(النون) دراسة تتناوله من حيث هو صوت صامت - ليس من الحركات - فتدرس مخرجه وصفاته المختلفة، ولا تتعرض هذه الدراسة لما قد يعتري هذا الحرف من تغير في صفاته أو مخرجه عندما يتركب في الكلمات بأي وضع - في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، أو عندما يجاوره مثله أو غيره في الكلمة أو كلمة أخرى. كما لا تتعرض للدور الوظيفي لذلك الصوت في اللغة العربية أو غيرها. فهي دراسة إفرادية للأصوات. وتتميز مقررات هذه الدراسة بأنها عامة أي دولية أو عالمية؛ لأنها تدرس الأصوات اللغوية التي تتكون منها أكثر لغات العالم، ولأن مخرج الحرف الواحد وصفته تكاد أحياناً تكون سواء هي بعينها في كل اللغات التي تستعمله. فما نقوله عن ال B أو F أو D في الإنجليزية هو تقريباً ما نقوله عن الباء والفاء والذال في العربية^(١). ومن هنا فإن هذه الدراسة جديرة باسم: «علم الأصوات العام General Phonetics».

أما المستوى الثاني فيدرس أصوات اللغة عندما تتركب في كلمات تعبر عن المعاني أي عندما تقوم بوظيفتها: فيدرس ضوابط هذا التركيب، ما يشوِّغ منها وما لا يشوِّغ، والتغيرات التي قد تعتري الصوت اللغوي في مخرجه أو صفاته في مختلف حالات تركيبه، مع ثبات القيمة الوظيفية له (أي دوره في بناء الألفاظ) مهما اختلفت صور استعماله فيدرس مثلاً - إخفاء النون إذا سكنت وبعدها أحد حروف الإخفاء، ويدرس إقلابها ميماً إذا سكنت وبعدها باء.. إلخ. كما يدرس سائر ما يعرض لكل حرف تأثيراً بموقعه كإدغامه وقلقلته وإبداله وحذفه وتفخيمه.. إلخ.

وهذا الفرع يُسمى «علم الأصوات النظمي أو التركيبي» (أي الذي يدرس الأصوات اللغوية وهي منتظمة أي مركبة في كلمات) أو الوظيفي Phonology^(٢).

(١) ولا يخلو الأمر بالطبع من فروق دقيقة أو جلية في بعض الأحيان كالفرق بين الراء العربية وبين (R) في الإنجليزية، أما في الألمانية أو الفرنسية فذلك الحرف نفسه (R) يختلف عنه في العربية مخرجاً وصفة وصدى.

(٢) المصطلح Phonology مركب من Phono التي أصلها Phone ومعناها الصوت (الإنساني) =

ونظروا لأن اللغات تختلف في هياكل تركيب أصواتها في كلمات وجمل، وفي طرق نطق تلك الكلمات أو الجمل، فمن الطبيعي أن يكون لكل لغة (علم الأصوات النظامي أو التركيبي) الخاص بها، فعلم الأصوات النظامي أو التركيبي هذا قومي - أي خاص بلغة القوم - وليس دوليًا أو عالميًا كعلم الأصوات العام.



= اللغوي، Logy ومعناها علم. فالمصطلح يعني علم الأصوات اللغوية. وهو بهذا يعم الأصوات (المفردة) و(المركبة في لغة ما) ففي ترجمته بعلم الأصوات التنظيمي أو الوظيفي أو علم وظائف الأصوات في اللغات (انظر مجلة الفيصل ع ١٨ نوفمبر ٧٨) تخصيص مقبول، لأن الناس إنما يتفاهمون بالأصوات اللغوية حين تنتظم في الكلمات. وانظر دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ٤٥ - ٥١ .

الصوت ظاهرة طبيعية

(عالج العلماء العرب هذا الجانب معالجة تناولت جل ما يُتناول حديثًا في الإطار الذي يهم دارسي الأصوات اللغوية. وأختار هنا كلام العالم النحوي علي بن مسعود (٥٤٨هـ) ^(١)).

١- «إن الحرف لا شك أنه صوت ^(٢).. والصوت إنما يحدث عن تموج من الهواء دَفْعَةً وبعنفٍ يتأذى إلى الهواء المنحصر في صِياخ السامع فيتشكل هو (أي هذا الهواء المنحصر) بشكله، فتُحسّ به العَصْبَةُ الدقيقة المفروشة هناك، وذلك بقوتين... إحداهما هي التي تَفِيضُ على الهواء، بها تتم هذه التأدية.

... والأخرى هي التي تَفِيضُ على العَصْبَةِ الحاسّة، بها يتسنى هذا الإدراك اللطيف.

٢- ثم إن سبب هذا التموج:

أ- قد يكون قَرْعًا لجسم كثيف بجسم كثيف - كما في صوت المطارق يُضْرَبُ بها الحديد.

ب- وقد يكون قَلْعًا لجسم من جسم رطب تكون فيه كثافة مع لزوجة كما في قَلْع الرُّجُل من الطين.

ج- وقد يكون قَرْعًا للهواء نفسه بجسم يَمْخَرُه (= يَخْتَرِقُه) كما يسمع من دَوَى الصوت إذا حفزت به الهواء حَفْزًا بقوة - وعلى هذا تُزْجَم الأوتار فتَرْعَد، فتصوت.

د- وقد يكون تسريًا للهواء الكثير المجتمع في مسلك ضيق يتخلص منه (= يخرج منه) متموجًا فيصوت كما في المزامير.

(١) لتوثيق الصياغة الحديثة للجانب العلمي الطبيعي في هذا الفصل رجعنا إلى مقال الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica عن الصوت (Sound) وإلى الكتب العلمية التي تدرس الصوت دراسة طبيعية.

(٢) استعمال علي بن مسعود كلمة صوت هنا فيه تسامح - كما سوف يتبين عندما نحرر المعنى اللغوي لكلمة «صوت».

٣- وللأصوات فصول وعوارض تنقسم بعضها من بعض كالحدة والثقل، والجهر والخنافة، والدخول في جملة الحروف النطقية والخروج عنها. وأسبابها (أي الأسباب المؤدية إلى تميز الاصوات بعضها من بعض) هي الهيئات التي تكون لتلك التموجات - مستفادة:

أ - إما من القارع، أو القالع، أو المسرّب - من جهة قوته وضعفه.

ب - وإما من الهواء من جهة كثرتة وقلته.

ج - وإما من الآلات من جهة صلابتها ولينها، وملاستها وخشونتها، ورطوبتها، وطولها وقصرها، وقِرائها وإفرادها، وأيضاً من جهة غلظها ورقتها - خاصة إذا كانت مُضَمَّتة، ومن جهة سعتها وضيقها، وانطباقها وانفراجها، وحبسها وإطلاقها - خاصة إذا كانت مجوفة.

٤ - والأصوات الحيوانية، والإنسانية منها خاصة أشبه شيء بالأصوات الزمرية، لشبه الخلق بالمزامير...»^(١).

واسعافاً بخلاصة الحقائق التي ينبغي الإلمام بها هنا نقول:

يتولد أي صوت نسمعه من اهتزاز مصدره اهتزازاً يُخْدِث في الهواء المماس لذلك المصدر ذبذبات Vibrations تنتشر في موجات طولية^(٢) في ثلاثة أبعاد من الجسم المهتز. فإذا وصلت تلك الذبذبات إلى الهواء الذي في قناة الأذن - وهو يماس طبلة الأذن - تَدْبُذِب غشاء الطبلة بِذَوْرِهِ فحرك عَظْماء الأذن الثلاث (المطرقة فالسندان فالرَّكَّاب) بمثل تلك الذبذبة، ويهتز السائل الذي في قَوْعَةِ الأذن متأثراً باهتزاز الركاب، وتنقل الشَّعْيرات العصبيةُ المغمورةُ في السائل - تلك الذبذبات إلى المخ ويتم بذلك سماع الصوت.

(١) بتصرف يسير من كتاب المستوفي للإمام علي بن مسعود الفرغان (تحقيق د. سعد جحا ٥٧٧ - ٥٧٩ هـ).

(٢) للموجة الطولية هي الموجة التي تهتز فيها جزيئات الوسط لمسافات قصيرة في نفس خط انتشار الموجة وذلك كالموجات الصوتية - في حين أن الموجة المستعرضة كالموجات المائية - تتحرك جزيئات الوسط المتحرك في اتجاه عمودي على اتجاه انتشار الموجة.

وهناك تفاصيل أخرى نوجزها فيما يلي:

١ - ينشأ الصوت من اهتزاز مصدره - سواء كان ذلك المصدر صلباً أو سائلاً كموج البحر الذي نسمع صوت حركته، أو غازياً كعمود الهواء الذي في سلاية الزامر.

٢ - الاهتزاز يكون بالقرع والصدم - كما يحدث عند طرق باب أو دق مسمار أو اصطدام سيارتين أو تصفيق اليدين... ويكون بالاحتكاك كما في احتكاك الأوتار في الآلات الموسيقية واحتكاك الكرسي أو الأقدام بالأرض في السير... ويكون بالقلع والقطع كقلع حجر أو كسر خشبة أو شق ثوب، ويكون عند التفاعلات الكيميائية كما يسمع نشيش للقلبي، وكصوت الغليان وانفجارات القنابل...، ويكون عند حدوث الشرارات الكهربية والصواعق.. ويمكن تلخيص أسباب الاهتزاز جميعاً في القرع والقلع^(١).

٣ - شواهد حدوث الصوت بالاهتزاز^(٢) كثيرة ولموسة. فإذا شددت خيطاً متيناً بين مسمارين بحيث يكون متوتراً، ثم جذبته من وسطه بإصبعك جذبةً سريعة وتركته لاحظت تذبذبه السريع وسمعت له صوتاً يتوقف عندما يتوقف الخيط عن التذبذب. وكذلك الحال في نقر إناء نحاسي بالظفر فيتذبذب ويُسمع له صوت، يتوقف عند تسكين الذبذبة بالضغط على الإناء بالإصبع. ومن التجارب العلمية لإثبات صدور الصوت بالاهتزاز، طَرَقَ فَرْعَ شوكة رنانة ثم لمسها بسن القلم فيحس قَوْعُهَا إِيَّاهِ وَدَفْعُهَا إِيَّاهِ إِنْ كَانَ حَرًّا، وَذَلِكَ الْقَرَعُ وَالدَّفْعُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ اهْتِزَازِهَا وَتَرَدُّدِهَا. وَكَذَلِكَ إِمْرَارُ وَتَرٍ عَلَى نَاقُوسٍ دُزَّ عَلَيْهِ مَسْحُوقٌ مَا أَوْ لَامَسْتَهُ كَرَةً مِنْ تُخَاجِ الْبَيْلَسَانِ أَوْ الدُّرَّةِ، فَيَتَطَايَرُ الْمَسْحُوقُ، وَتَقْفُزُ الْكَرَّةُ مَعَ صُدُورِ الصَّوْتِ - مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ النَاقُوسَ اهْتَزَّ عِنْدَ إِمْرَارِ الْوَتَرِ

(١) راجع الفقرة رقم ٢ من كلام الإمام علي بن مسعود الذي أسلفناه - وقد قصر ابن سينا - في رسالته «أسباب حدوث الحروف» ص ٣، ٤ - سبب التمزج على القرع والقلع، وكذلك فعل العضد في المواقف ١٣٥، وقصره الخفاجي في سر الفصاحة ١٤، ١٦ على القرع وسماه المصاكة.

(٢) هذا الاهتزاز هو الذي عبر عنه علي بن مسعود بالإرعاد في الفقرة ٢/ج من كلامه الذي أسلفناه وهو الذي يقاس فيسمى «التردد».

عليه فتطير المسحوق وقفزت الكرة - كما صدر الصوت - بسبب الاهتزاز. إن كل صوت ينتج عن الاهتزاز. والاهتزاز المتوالى يسمى تذبذبا.

٤- وتتفاوت المواد (التي تصدر عنها الأصوات) في سرعة الاهتزاز عند حدوث سببه. وتتوقف سرعة اهتزاز المادة على طبيعتها أي تكوينها الفيزيقي، وعلى شكلها أي الهيئة التي ركبت عليها، وعلى مدى شُك جرمها.. وغير ذلك من الصفات الذاتية^(١) وتتأثر سرعة تذبذب الأوتار خاصة بنوع مادتها، ومدى دقتها، وطولها، واشتدادها. وتقاس سرعة تذبذب المادة بعدد الذبذبات الكاملة^(٢) التي تصدر عنها - إذا طُرِقَتْ مثلا - في الثانية الواحدة. ويسمى ذلك: التردد Frequency. ولا يتأثر التردد بمقدار القوة أو الطاقة المسببة للتذبذب، فالمادة المعينة تذبذب بنفس معدل السرعة في الثانية أي بنفس «التردد» مهما اختلفت قوة الطريقة - مثلا - التي أحدثت التذبذب. ولكن الذي يتوقف على مقدار القوة أو الطاقة المسببة للاهتزاز (الطريقة مثلا) هو سعة الذبذبة^(٣) Amplitude كما يتأثر بتلك القوة أيضا دوام التذبذب أي زمن استمراره. ومن هنا فإن الصوت القوي يصل إلى مدى أبعد.

والأذن البشرية تسمع الأصوات التي يقع ترددها بين ٢٠/ذ/ث، ٢٠٠٠٠/ذ/ث فلا تسمع ما تردده دون الحد الأدنى أو فوق الحد الأعلى المذكورين. والصوت - أو تلك الذبذبة - لا ينتقل من مصدره إلى الأذن في فراغ، بل لابد من وجود وسط مادي ينتقل خلاله التذبذب حتى يصل إلى الأذن. وهذا الوسط المادي قد يكون غازيا كالهواء^(٤). وقد يكون سائلا أيا كان وقد يكون

(١) راجع الفقرة رقم ٣ من كلام الإمام علي بن مسعود الذي أسلفناه.

(٢) الذبذبة الكاملة هي حركة الجرم من نقطة في أي اتجاه إلى أن يمر بهذه النقطة عينها بنفس الاتجاه والسرعة مرة ثانية.

(٣) اتساع الذبذبة هو مدى حركتها من أقصى بعد في جانب إلى أقصى بعد في الجانب المقابل.

(٤) انتقال الصوت في الهواء تعرض له العرب: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٢٤هـ) - تحقيق: محيي الدين - (١٠١-٩٩/٢) وأصله للنظام (٢٣١هـ) وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي (الغد العربي ٥٥/١)، والفقرة ٢٤١ من كلام علي بن مسعود الذي أسلفناه، ولم يمر بي ما يثبت تعرض علمائنا القدماء لانتقال الصوت في غير الهواء.

ضلّبا. ويستغرق انتقال الصوت من مصدره إلى الأذن زمنا يختلف طوله تبعاً لطول الموجة^(١) التي تحدثها الذبذبة، ولتردد المادة المهتزة، ولطبيعة الوسط.

فسرعة انتقال الصوت في الهواء الطلق ٣٤٠ متراً في الثانية عندما تكون درجة حرارة الهواء ٢٠م، وعند الضغط الجوي المعتاد. وسرعة انتقاله في الماء في ٨م هي ١٤٣٠ م/ث. وفي الفضة ٢٧٠٠ م/ث، وفي النحاس ٣٨٠٠ م/ث، وفي الحديد الصلب ٥٠٠٠ م/ث، .. وهكذا.

وبتعبير أبسط فإن الصوت يحتاج - لكي يقطع ميلاً واحداً في الهواء إلى خمس ثوان، وفي الماء إلى ثانية واحدة، وفي الحديد الصلب إلى ثلث الثانية.

٥- وواضح طبعاً أن جزئيات الوسط الناقل للصوت - هواء أو ماء أو حديدًا.. إلخ - لا تنتقل هي مع الصوت، وإنما تهتز وتموج حسب الذبذبة التي أحدثها مصدر الصوت، والذي ينتقل هو الاضطراب أي الاهتزاز والتموج فحسب.

٦- (معايير الصوت والعوامل المؤثرة فيها):

أ - درجة الصوت Pitch وهي مدى حدته - أي دقته - أو غلظه في السمع. (فبعض الأصوات أجش وبعضها رفيع حاد) وتتأثر درجة الصوت بالتردد. - وقد عرفناه وعرفنا العوامل المؤثرة فيه.

وكلما هبط التردد أي عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت غليظاً أجش، وكلما علا مُعَدِّل التردد كان الصوت دقيقاً أي رفيعاً أو حاداً.

ب - شدة الصوت Intensity وهي مدي قوته أي غلّوه وقوة طرقه للأذان. وهذه الشدة تتمثل أو تتأثر بما يأتي:

(١) سعة الاهتزازة - فكلما كبرت سعة^(٢) اهتزازة الجسم زادت شدة الصوت.

(١) طول الموجة في الأمواج الطولية - كموجات الصوت - يساوي المسافة بين مركزي تضاعطين أو تخلخلين - متتالين. أما في الأمواج المستعرضة - كموجات الماء - فهو المسافة بين قمتين - أو قاعين - متتالين. (٢) بعض هذه العوامل في سر الفصاحة ص ١٣ وتنظر الفقرة ٣ من كلام علي بن مسعود الذي أوردناه هنا.

(٢) كتلة الطبقة المهتزة من الوسط (أي حجم الطبقة \times كثافة مادتها).

(٣) المسافة بين مصدر الصوت والسامع.

(٤) ملازمة مصدر الصوت لجسم رنان، لأن هذا الجسم يهتز باهتزاز المصدر الملامس له ويعمل بذلك على اهتزاز قدر أكبر من الهواء الملامس له فيقوّي الصوت ويضخمه.

(٥) اتجاه الريح - فإذا كان مع اتجاه انتشار الموجة الصوتية قواها.

(ودرجة الصوت - أي مدى جِدّته - أثبت من شدته، إذ يتميز النسيء بعامة بأن درجة (جِدّة) أصواتهن أعلي. أما شدة الصوت فكل إنسان يستطيع أن (يشدد) صوته أي يرفعه لدرجة الصياح).

ج - نوع الصوت Quality وهو خاصية فيه تجعلنا نميز نوع المصدر الذي يصدر هذه النغمة أهو إنسان أم قطار.. إلخ. ويدخل في تنوع الصوت عوامل أهمها موجات المواد المختلطة في تكوين المصدر بعدها، والتردد الناتج من اختلاطها.



الجهاز الصوتي الإنساني

يشمل الجهاز الصوتي الإنساني كل الأعضاء التي لها أثر مباشر في عملية إصدار الصوت. ولما كانت الأصوات اللغوية العربية تصدر في حالة خروج هواء التنفس (الزفير)^(١) من الرئتين مارًا بالقصبه الهوائية، فالحنجرة، فتجويف الحلق أسفله فأعلاه، ثم يسلك الهواء سبيله إلى الخارج إما عن طريق الفتحة الخلفية للتجويف الأنفي (المتصلة بأعلى الحلق) فيمر بالتجويف الأنفي ثم يخرج من الأنف، وإما أن يتجه من أعلى الحلق إلى تجويف الفم فيمر بين اللسان وسقف الحنك محوطاً بالأسنان من الجانبين حتى يخرج من بين الشفتين.

ولما كان لكل من هذه الأعضاء أثره في إحداث الصوت، فإنها كلها تعد ضمن الأعضاء الصوتية - بالرغم من أن لكل منها وظيفته الأساسية (الفسيولوجية) الخاصة، وأن إحداث الصوت إنما هو وظيفة ثانوية بالنسبة لها. وينبغي من ثم الوقوف عند كل منها بدراسة تناسب دوره في إحداث الصوت.

الرئتان Lungs

ويهمنا من عملهما أنهما تدفعان الهواء - بعد دخوله إليهما في عملية التنفس - فيخرج من تجويف جهاز النطق، وتتكون «الحروف» في أثناء خروجه. وتتم عملية التنفس عندما يتسع القفص الصدري الذي يضم الرئتين - بتباعد ما بين أضلاعه وهبوط الحجاب الحاجز الذي في أسفله - فتتمدد الرئتان فيه، ويندفع الهواء إليهما من الأنف أو الفم ليتعادل ضغط الهواء داخل الرئتين وخارجهما. وفي لحظات يستوفي الدم الذي في شعيرات الرئتين حاجته من الأكسجين الذي دخل ضمن الهواء،

(١) وهناك أصوات تخرج حين إدخال الهواء - بعكس خروج الأصوات اللغوية العربية حين إخراج الهواء - ولكنها في العربية لا تعد أصواتاً لغوية. انظر أمثلة لتلك الأصوات عند الحديث عن الصوت اللغوي.

فيرتفع الحجاب الحاجز إلى وضعه، وتتقاربت أضلاع القفص الصدري فيضيق ويضغط على الرئتين فتدفعان الهواء ليخرج من الأنف أو الفم مازًا ببقية أعضاء الصوت - على ما مرّ من تفصيل - وهذا هو دور الرئتين في إحداث الصوت، بالإضافة إلى أنهما امتداد لفراغ القصبة الهوائية الرنان.

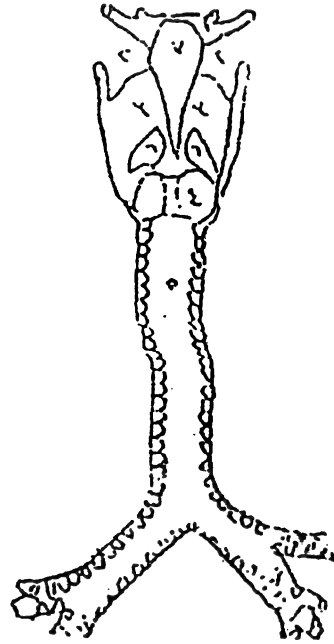
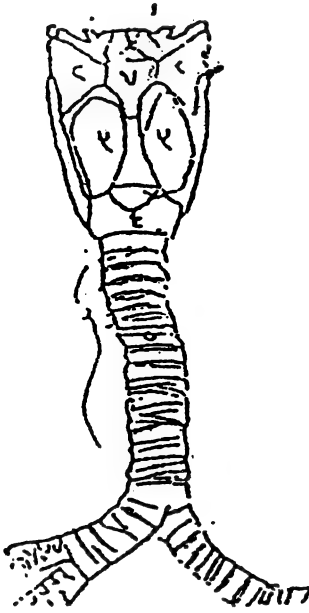
القصبة الهوائية: Wind Pipe

هي أنبوبة أعلاها قاعدة الخنجرة وأسفلها يتفرع إلى أنابيب أقل منها قطرًا، تصل إلى الرئتين وتشعب فيهما لتوصل الهواء إليهما. وتلك الأنبوبة (أعني القصبة الهوائية) تتكون من سلسلة من حلقات غضروفية متوالية يغلفها غشاء يجعلها أنبوبة، والجانب (الخلفي) المجاور للمرئ من هذه الحلقات منقوص الغضروف بحيث لا تتم منه إلا الحلقة التي هي قاعدة الخنجرة. والقصبة الهوائية تُرى وتحس في الجزء الأمامي من الرقبة. ويتراوح قطرها بين ٢ ، ٥ سم وطولها حوالي ١١ سم. ودورها في إحداث الصوت أنها توصل الهواء الخارج من الرئة إلى الخنجرة وما فوقها، حيث يحدث بمروره في الخنجرة وما فوقها الصوت والاحتكاك اللذان يُسمَع بهما جرس الحروف. كما أنها تُعدّ غرفة رنين للصوت حين يحدث في الأجزاء العليا منها كما سنرى، لأنها دائماً مفتوحة لا تنطبق - بحكم الحلقات الغضروفية المكونة لها كما مر.

الحنجرة: Larynx

وهي تعد الجزء الأعلى من القصبة الهوائية. وهي غرفة أوسع منها قطرا والجزء العلوي منها أشبه بالمثلث في شكله. وتحيط بأجزائها الداخلية الحساسة غضاريف تحميها. وأهم غضاريفها وأجزائها ما يلي:

منظر خلفي للقصبة الهوائية والحنجرة منظر أمامي للقصبة الهوائية والحنجرة

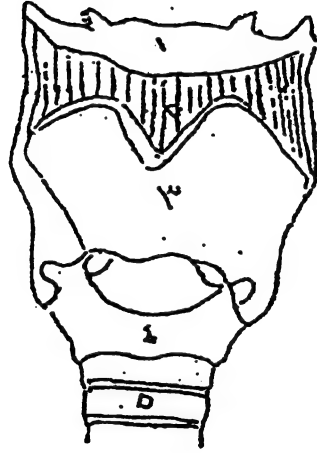


- ١- العظم الغضروفي.
- ٢- غشاء رقيق.
- ٣- الغضروف الدرقي وقرناه.
- ٤- الغضروف الحلقي.
- ٥- القصبة الهوائية.
- ٦- الغضروفان الهمريان.
- ٧- لسان المزمار.

(عن كتاب) Human Physiology W.S. Furneaux ١٤١

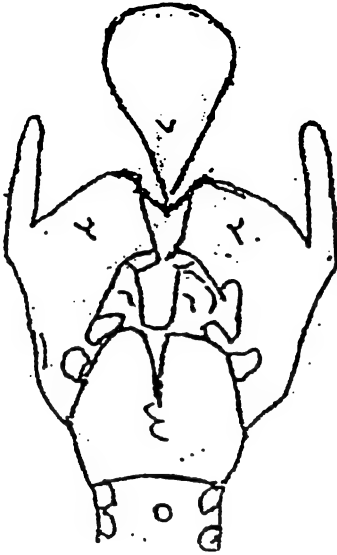
مناظر للحنجرة

أمامي

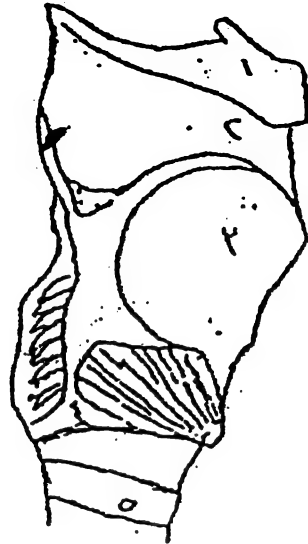


- ١- العظم اللامي.
- ٢- الغشاء الرقيق.
- ٣- الغضروف الدرقي.
- ٤- الغضروف الحلقي.
- ٥- القصبة الهوائية.
- ٦- الغضروف الهرمي.
- ٧- لسان المزمار.

خلفي



جانبي



أ - الغضروف الحلقي Cricoid :

وهو قاعدة الحنجرة ويعد أعلى القصبة الهوائية أيضا، وهو الغضروف الوحيد التام الاستدارة في قناة النفس هذه. وارتفاع جداره من الخلف أعلى بكثير من ارتفاع سائر محيطه (من الخلف نحو ٢ سم ومن أمام نحو ٥,٥ سم).

ب - الغضروف الدرقي Thyroid :

وهو عبارة عن صفيحتين رباعيتين الشكل تلتحمان في شكل كتاب مفتوح قائم، كعبه (الغضروفي) في مقدمة الرقبة، ويميل في قيامه إلى الأمام بحيث تشكل الزاوية العليا من كعبه تنوعا يسمى البروز الحنجري - ويظهر بوضوح تحت الفك الأسفل في أعناق الرجال (تفاحة آدم). والمسافة بين البروز الحنجري والجدار الخلفي للغضروف الحلقي أوسع في الرجال والكبار منها في النساء والصغار. وتنوء البروز الحنجري وميله إلى الخارج في الرجال أكبر.

وتمتد من الزوايا الأربع الخارجية للصفيحتين قرون عضلية أربعة. فيمتد القرنان الأعلىان - في ارتفاع كذراعي متضرع - حتى يتصلا بطرفي العظم اللامي كأنما تحملانه. ويمتد القرنان الأسفلان حتى يرتكزا على جانبي الجزء الأعلى (الخلفي) من الغضروف الحلقي. وكأنهما رجلان تحملان الغضروف الدرقي وعضلاته.

ج - الغضروفان الهرميان Arytenoid :

وكل منهما هرمي الشكل له ثلاثة رؤوس، فيرتكز كل منهما برأس على مؤخرة الغضروف الحلقي (الجزء المرتفع منه)، ويرتبط بها بحيث تسمح له بالحركة تجاه الغضروف الآخر أو بعيدا عنه، وتطل رأس أخرى من كل منهما على الفراغ الداخلي للحنجرة ويسمى هذا الرأس الصوتي، إذ يرتبط به الغشاء الصوتي. وهو غشاء رقيق يمتد إلى البروز الحنجري (الزاوية العليا للغضروف الدرقي)، وبذلك يمكن لهذين الغضروفين الهرميين والغشاء الممتد من كل منهما أن يغلقا الحنجرة تماما... إذا التقت حافتا

الغشاءين وحافتا الغضروفين الهرميين في وضع أفقي متوتر، كما يمكن أن يلتقي الرأسان الصوتيان من الغضروفين الهرميين - دون أن يلتقي رأسا الارتكاز - فيلتقي الغشاءان ويسدان الجزء الذي تحتهما من فراغ الحنجرة ويبقى ما بين الغضروفين مفتوحا. ويمكن كذلك أن تلتقي حافتا الغضروفين الهرميين مع إمكان إحداث انفراج دقيق كالشق بين الغشائين.

د - الوتران الصوتيان Vocal Cords :

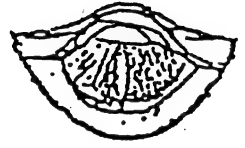
وهما ذانك الغشاءان الرقيقان اللذان تحدثنا عنهما آنفا. ويبدأ كل منهما امتداده من جانب من الحنجرة من غشاء في أعلاه يسمى القمع المطاطي^(١) بحيث يغطي كل منهما بغشائه نصف فراغ الحنجرة في سد أفقي يبدأ من جدار الحنجرة حتى يصل ما بين التواء الحنجري والرأس الصوتي للغضروف الهرمي الذي في جانبه^(٢).

(١) القمع المطاطي جدار غشائي مثلث الشكل لكل من جانبي الحنجرة - والجزء الأعلى من الحنجرة يقارب المثلث كما قلنا - وذلك الجدار الغشائي أساسه الغضروف الحلقي وهو يربط بين هذا الغضروف من أسفله وبين صفحتي الغضروف الدرقي من أمام وبين مركزي الغضروفين الهرميين من الخلف.

(٢) هناك غشاءان في أعلى الحنجرة وليس لهما دور في العملية الصوتية ويسميان الأوتار الصوتية المزيفة . False Vocal cords

منظر من أعلى للأوتار الصوتية

أ



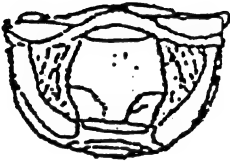
في حالة الجهر

ب



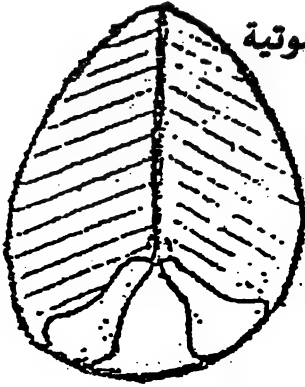
في حالة التنفس الهادئ

ح

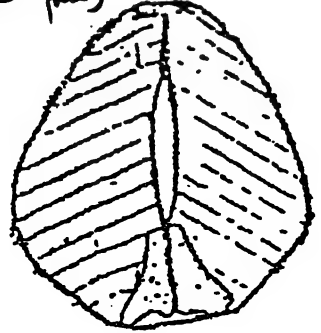


في حالة التنفس العميق

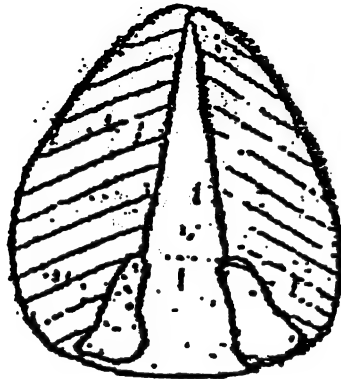
رسم تخطيطي لأوضاع الأوتار الصوتية



عند الهمس

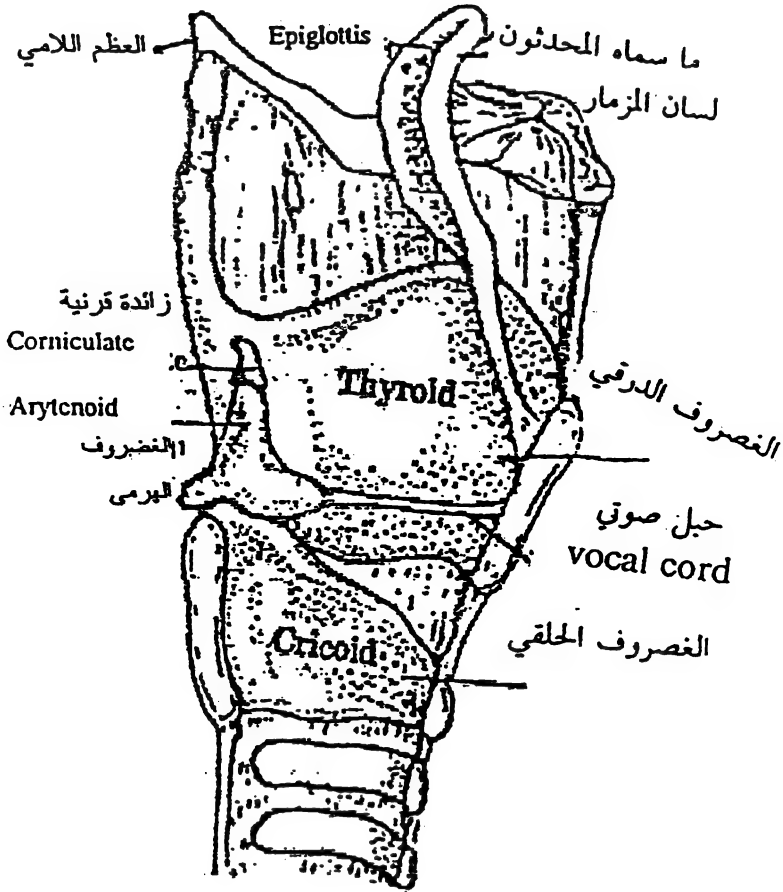


عند الجهر



عند التنفس

الحنجرة وأهم أجزائها



The Larynx sagittal section

وعندما يتاح للهواء المندفع من الرئة إحداث انفراج دقيق بين الغشاءين الصوتيين المذكورين فإن شدة اندفاع الهواء من الرئة مع ضيق المنفذ بين الغشاءين أمامه يجعل حافتي الغشاءين الصوتيين تتذبذبان بقوة حين مرور الهواء من بينهما، فيتولد صوت أي زمير هو ما نسميه زمير الجهر..

هـ - المزمار Glottis:

وهو تلك الفتحة المستطيلة التي تحدث بين الغشاءين الصوتيين إذا انحسرا إلى الجانبين. وقد تضيق هذه الفتحة فتكون كشق دقيق مستطيل وذلك في حالة صدور صوت الجهر. وقد تنفرج فتكون كمثلث - رأسه عند التواء الحنجري، ويكون الهرمي في كل جانب امتدادا لأحد ساقيه، وقاعدته أعلى الغضروف الحلقي من الخلف ما بين مركزي الهرمين (وذلك في حالة التنفس). وقد يغلق ما بين الغشاءين ويبقى ما بين الهرمين مفتوحا - (وذلك في حالة الحروف المهموسة).

و - لسان المزمار Epiglottis:

وهو هنة ليفية النسيج تشبه ورقة الشجر ويمتد من قاعدة اللسان (مع اتصال جذعه بالتواء الحنجري) بحيث يمكن أن يغطي أعلى الحنجرة - بما يشمل فتحة المزمار - عند بلع الطعام أو الشراب. (وقد أطلق ابن سينا هذه التسمية على ما سُمي الأعشبة الصوتية. وهو إطلاق أدق).

وهو يجذب إلى الخلف عند تفخيم الصوت وإلى الأمام عند ترقيقه.

ز - العظم اللامي^(١) Hyoid Bone:

وهو قوس عظمي على شكل حرف Λ - λ (اللام بالكتابة اليونانية) تقريبا قاعدته

(١) هذه التسمية استعملها ابن سينا (رسالة في أسباب حدوث الحروف ٧، ٨) نسبة إلى شكل حرف اللام في الكتابة اليونانية (Λ λ).

إلى الجانب الأمامي من الرقبة، وطَرَفاه إلى الداخل وهو يشكل امتداداً إلى أعلى للجدار الأمامي للحنجرة مع أنه لا يتركز عليه وإنما يربطه به نسيج رقيق. كما أن العظم اللامي يشبه القاعدة للسان.

الحلق Pharynx^(١)؛

وهو تجويف على شكل القناة. قاعه تنفتح فيه من الخلف - أي من الجهة المجاورة للعمود الفقري - قناة المريء، ومن الأمام تجويف الحنجرة وما يغطيه. ويمتد إلى أعلى شاملاً ما فوق الغشاءين الصوتيين المزيفين إلى العظم اللامي، ويرتفع مقابل جذع اللسان إلى ما يوازي فتحة الفم. فذلك جانبه الأمامي. أما جانبه الخلفي فجداره غلاف العمود الفقري. وفي مقابل فتحة الفم أو أدنى قليلاً يمتد التجويف - من الجانب الخلفي للحلق من وراء الحنك الرخو واللهاة - إلى أعلى بحيث يكون فتحة متصلة بتجويف الأنف الذي يعلو سقف الحنك ولطوله هذا يقسم إلى ثلاثة أقسام^(٢).

أ- الحلق الأقصى أي الأعظم. وهو الفراغ الممتد بين قاعه المكوّن من سقف الحنجرة، وفم المريء - من أسفل، ولسان الزمار والعظم اللامي عند جذع اللسان - من أعلى، ولذا يسمى الحلق الحنجري. وطول هذا الجزء نحو ٥ سم، والجزء الأعلى من هذا الحلق يمكن أن يتسع بتقدم جذع اللسان إلى الأمام، وأن يضيق بتراجع جذع اللسان إلى الخلف، فيتراوح قطره بين ٠,٥ ، ٢,٥ سم، وهو في أسفله أوسع من ذلك.

ب- الحلق الأدنى أو (الفموي) وطوله نحو ٤ سم. ويبدأ من العظم اللامي حتى

(١) يطلق لفظ Pharynx على التجويف الواقع خلف فتحة الفم الداخلية وهو عندهم يشمل مقابل الفتحة الخلفية (الداخلية) للأنف والفم وممر الهواء إلى الحنجرة (انظر المادة في The Twent. Cent. Dict وفي N.P. Larousse. والحلق في العربية مساع الطعام والشراب (وممر النفس من الحلقوم (وإليه) العين ٤٨/٣) فهما متقاربان في حدود المسمى، لكن التحديد الإنجليزي أدخل ضمنته ممر الهواء إلى الحيشوم، فسمح بجعل مدخل الحيشوم قسماً منه.

(٢) د. عبد الرحمن أيوب أصوات اللغة ص ٦٥ وهو يسمّى الحلق: البلعوم، وأفضل المصطلح القديم «الحلق» لأن تسمية البلعوم تشير إلى وظيفة واحدة ليست صوتية، في حين أن «الحلق» يعم البلع وغيره، والفراغ الذي تعنيه كلمة «الحلق» له وظيفة صوتية وهو الجانب الذي يهمنا ونعالجه هنا.

مؤخرة الحنك الرخو Velum (الطبق) فيكون في أعلاه فثحتان: الخلفية أول تجويف الأنف من الداخل، والأمامية أول تجويف الفم من الداخل أيضًا. ولما كان الجدار الأمامي للحلق الفموي هو أعلى جذع اللسان، فإن قطره من الأمام إلى الخلف يختلف اختلافاً كبيراً، نظراً لمرونة اللسان وقيامه بحركات متعددة ومتفاوتة تبعاً للصوت الذي ينطق به.

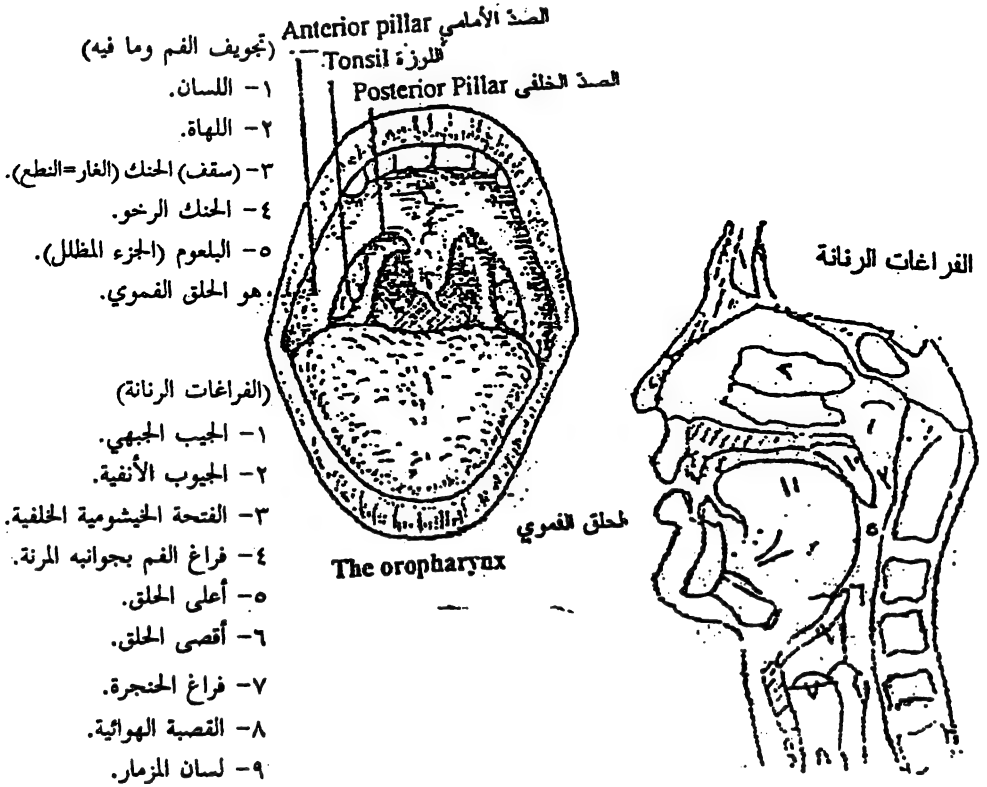
وللحلق بقسميه هذين قسط في تكوين بعض أصوات اللغة.

ج- فتحة الخيشوم الخلفية وهي فتحة في أعلى الحلق (الفموي) تبدأ من خلف نهاية سقف الحنك الرخو (= الطبق) حيث تتصل بالتجويف الأنفي من طريق الخياشيم الخلفية، والتجويف الأنفي يمتد فوق سقف الحنك ويصل إلى فتحتي الأنف. وفتحة الخيشوم الخلفية تلك يمكن أن تغلق بتراجع الحنك الرخو إلى الخلف مع انقباضه حتى يلتقي بالحائط الخلفي لهذه الفتحة، وبذلك تنقطع الصلة المباشرة بين تجويف الأنف وبين أعلى الحلق. كما يمكن أن تفتح بارتخاء الحنك الرخو وتقدمه قليلاً، فيتصل التجويفان. هذا، وتشترك الخياشيم والتجويف الأنفي في إخراج بعض أصوات اللغة كالميم والنون والغنة. تجويف الفم: وهو تجويف أفقي يكون مع تجويف الحلق زاوية قائمة، وهو أكثر أجزاء الجهاز الصوتي إنتاجاً للأصوات. ويرقد اللسان في قاع هذا التجويف، ويسقفه الحنك الأعلى. وتشكل الأسنان، ثم يضرّ الفكّين جداريه من الجانبين ومن الأمام ويغطي الجدارين جلد الشدقين.

اللسان: وهو عضو عضلي يُغشيه نسيج شبه مخاطي Mucous وهو يرقد بين لَحْيَيْ الفك الأسفل ويرتبط به. كما يتصل عند منبته بالعظم اللامي. واللسان يمتاز بالمرونة البالغة حتى إن كل جزء فيه يمكن أن يرتفع وينخفض، كما أن حافتيه، وطرفه، ووسطه يمكن أن ترق وتنبسط، ويمكن أن تنقبض فتعود إلى حجمها الطبيعي. كما يمكن لمقدم اللسان ووسطه أن يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز أكثره الثنايا، وأن يتراجع كله حتى يكون أدخل منها بنحو ٣ سم، ويمكن لأقصاه أن يلتوي متقوساً حتى يلمس أول الحنك الرخو قبيل اللهاة، ويمكن لمنته أن ينوس محدباً أو مقعراً، وأن ترتفع حاشيته

حول متته فيكون كقناة مستطيلة.. ولكل هذه المرونة أثرها في تكوين مختلف الأصوات وتنويعها. وبعض عيوب الكلام ترجع إلى قصور في أداء اللسان. كما أن جودة النطق والذرية تنسب إليه^(١) ولهذا كله عُذ اللسان «جراحة الكلام»^(٢). واللغة تسمى «لساناً» لذلك أو للملاحظ المتحقة في وظائف اللسان.

ويقسم اللسان من حيث أجزائه المؤثرة في الأصوات اللغوية - أقساماً.
١- أصل اللسان أو قاعدته Base. واللسان راقد في تجويف الفك الأسفل فيبدو أصله كأنه رأسي، وارتفاع هذا الأصل أو سمكه هو المكون للجدار القموي للحلق كما مر.



(١) انظر ققه اللغة وسر العربية للثعالبي ص ١٠٨ .

(٢) لسان العرب ٢٧٠/١٧ .

٢- ظهر اللسان أو سطحه (الأفقي أو الرائد) ويقسم إلى ثلاثة أقسام: أقصى اللسان ووسطه وطرفه. وكل من هذه الأقسام يشترك في تكوين أصوات معينة. كما أن جانبي اللسان يشتركان في أصوات أخرى.

الحنك^(١): وهو سقف تجويف الفم. وهو في حقيقته سقف عظمي يمتد فوق الجدران العليا لهذا التجويف المتمثلة في لحمي الفك الأعلى وما فيهما من أسنان، ويطن هذا السقف جلدة ملساء يتجدد بعض الجزء الأمامي منها وهو ما فوق لثة الثنايا والرباعيات.

وَقُسِّمَ الحنك إلى أقسام:

اللثة وهي مغرز الأسنان: والمقصود هنا السطح الداخلي للحمي للجدار الذي تنبت فيه الأسنان أي هي الغشاء اللحمي الذي يكسو أصول هذه الأسنان، وهو أملس تقريباً.

النَّطْع^(٢): عُرِّفَ بأنه «الغار الأعلى في الفم» وهو وَسَطُ الحنك وأشدُّه ارتفاعاً - ويسمى المحارة أيضاً، وهو صُلْبٌ أملس. كما عُرِّفَ بأنه الجزء المحرز في مقدم الغار، وهذا يسمى الفَراش أو الفَرَاشة^(٣) أيضاً. والتحديد الأخير هو الدقيق، لأن معنى الغار متحقق في مسماه، فلم يبق للنطع إلا مقدمه المحرز.

(١) يطلق لفظ الحنك لغوياً على باطن أعلى الفم من داخل أي (سقف) تجويف الفم، كما يطلق على أسفل مقدم اللحين (تحت الذقن) ومن هنا التحنك في العمامة وهو إدراجها من تحت الحنك. والمقصود في الأصوات المعنى الأول.

(٢) قال في لسان العرب (نطع). والنَّطْع ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهو الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز وهناك موقع اللسان في الحنك (أي موقع مقدم اللسان وطرفه عند نطق بعض الحروف). وقال ابن الأثير (وغیره) هو الغارُ الأعلى في الفم.

(٣) اللسان (فرش) و(غور).

(٤) في اللسان (غور) «والغار: ما خلف الفَرَاشة من أعلى الفم».

الحنك الرخو: وهو آخر الحنك من الداخل ويقابل أقصى اللسان وينتهي آخره البالغ الرخاوة فوق أعلى الحلق حيث يتدلى أو يتدلى غلافه الرخو متمثلاً في اللهاة التي تُشْرِف على فراغ الحلق... والحنك الرخو يشترك في توليد أصوات معينة.

الأسنان: تنصهرها في كل فك الشنيتان وحولهما على الجانبين رباعيتان، ثم نابان، ثم ضاحكان، ثم ستة طواحن، ثم ناجذان (= ١٦ في الفك الأعلى ومثلها في الفك الأسفل) وهي تساعد اللسان وتجويف الفم في توليد كثير من الأصوات اللغوية. الشفتان: هما باب الفم، وتتكون بعض الأصوات بالتقائهما في نقطة أقرب إلى ظاهرها أو باطنهما، وبالتقاء باطن إحدهما بالأسنان وباستدارتهما أو انفراجهما... إلخ.

الأنف: وهو فتحة خارجية للتجويف الأنفي الذي يعلو السقف العظمي للفم (الحنك) أما هو فسقفه عظم قاع المخ. وتتكون بعض الأصوات بمرور هوائها فيه بيسر أو قوة.

الفراغات الرنانة في الجهاز الصوتي الإنساني:

وهي كثيرة تؤثر في تكوين بعض الأصوات وتسهم في إكساب صوت كل إنسان خصائصه ومميزاته. ومنها القصب الهوائية، والحنجرة، والحلق، وتجويف الفم، وتجويف الأنف، والجيوب الأنفية في الجبهة، وفي العظمة التوتدية (تحت عظام الوجنتين)، وفي الفكين.



الصوت الإنساني والصوت اللغوي وكيفية صدورهما

بعد أن درسنا أعضاء الجهاز الصوتي الإنساني يجدر بنا أن نقول إن كل ما يُسمع من فم الإنسان هو صوت إنساني سواء كان مقصودًا به تكوين كلمات أو كان غير ذلك؛ كالصیحات اللا إرادية عند الفزع ونحوه، وكالأنين والرنين والقهقهة وصوت الجشاء وما إلى ذلك.

ونستطيع أن نخص ما يُقصدُ به تكوين حرف أبجدي أو كلمات باسم الصوت اللغوي نسبة إلى اللغة التي هي كَلِمٌ يعبر به الناس عمدًا في نفوسهم ويتبادلونه للتفاهم به، وهو شريحة خاصة من الصوت الإنساني العام.

وعلى الآن أن نبين كيف يصدر ذلك الصوت الإنساني لغويًا كان أو غير لغوي. ولكننا نحتاج إلى أن نحدد أولاً: حقيقة معنى كلمة (صوت)؛ لأننا استعملناها واستعملها المحذثون كثيرًا بمعنى اصطلاحى هو عين ما يُقصدُ بكلمة (حرف) أبجدي أو ألفبائي وسننده ذلك العموم الذى أشرنا إليه، كما سنستعملها فى الحديث عن الجهر استعمالاً خاصاً يستند إلى المعنى اللغوي البتحت لكلمة صوت.

تحرير المعنى اللغوي لكلمة صوت:

هذا التحرير بالغ الأهمية هنا، أولاً: لأن أية دراسة علمية - وبخاصة إذا كانت لغوية - تتطلب تحديد معاني المصطلحات. وتحرير المعنى اللغوي أساسى لتحرير المعنى الاصطلاحى. وثانياً: لأن تعريف سيبويه لصفة الشدة وهي من صفات الحروف التي يدرسها كتابنا هذا - وتعريفه هو من أوائل التعريفات العربية التي صيغت للصفات - استعمل فيه لفظ (صوت) مكان لفظ (نفس) وهو استعمال غريب يتطلب ذلك التحرير ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وضاعف أهمية التحرير أن استعمال (صوت) و(نفس) بلا دقة وقع قديماً واستمر حتى الدراسات الصوتية المتأخرة - برغم ما يتبادر من أن معنى الصوت معروف بديهية.

ولعل أبكر ما كان من التعريف أو الشرح اللغوي لمعنى الصوت هو ما نجده في معجم العين: (صَوْتُ فلان (بفلان) تصويّتا أي دعاه، وصات يَصُوتُ صَوْتًا فهو صائت بمعنى صائح. وكلُّ صَوْبٍ من الأغنيات صوت من الأصوات. ورجل صائت: حسن الصوت شديده. ورجل صَيّت (كسيد): حسن الصوت^(١)، وفي اللسان (الصَوْتُ: الجزس معروف.. صات وأصات وصَوّت: نادى.. ورجل صَيّت: شديد الصوت عاليه)^(٢).

وواضح من هذا أن المعنى اللغوي للصوت هو ذلك (الزمير) الذي يُسْمَعُ عندما ننطق (ءاا) أو عندما ننادي شخصًا بعيدًا عنا، ويعبّر عنه إذا كان مرتفعًا بـ (الصياح). وقد استعمل لفظ (الصياح) في تفسير الصوت كما رأينا، وكذلك لفظ (الدعاء) ولفظ (الغناء) ولفظ (النداء) - وكلها تعنى أنه ذلك الزمير المسموع خارجًا مع نَفْسِ الإنسان متميزًا عنه. فليس المعنى اللغوي للصوت هو مجرد النَفْسِ مهما احتك بما يمر به ومهما شمع احتكاكه، ما دام ذلك النَفْسِ لم يُضْحَبْ بزمير. فإذا نطق الإنسان زميرًا ممتدًا مثل (ءاا) فذلك صوت وليس نَفْسًا. برغم أن ذلك الزمير لا يصدر عن فم الإنسان إلا بمرور نَفْسِهِ من فتحة المزمار التي هي بين الوترين الصوتيين.. والصوت هو الذي يُسْمَعُ قراءة الإمام في الصلاة الجهرية الصبح والمغرب والعشاء، والنَفْسِ وحده هو الذي يُقْرَأُ به في الظهر والعصر وما زاد عن الركعتين في الصلوات الباقية. وقد أطلنا، لأن لفظ الصوت ليس له مرادف أوضح منه^(٣) يفتر به، ولذا لما أراد ابن جني أن يفسره عزفه فقال (اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَفْسِ مستطيلًا متصلًا) وهو يقصد بالعَرَضِ ذلك الزمير الذي ذكرناه، ثم قال إن الصوت مصدر صات الشيء... وهو عام غير مختص يقال

(١) العين (صوت) ١٤٦/٧ واستعمال الصوت للأغنية اصطلاح بشيع في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

(٢) ينظر لسان العرب (صوت) وضبط فيه لفظ الجزس فيه بفتح الراء وهو ضبط غريب لم يذكر في اللسان إلا عن كراع فإسكان الراء في كلمة الجزس المفترسة للصوت هو المعتمد.

(٣) يؤخذ مما في اللسان (صوت) و(جزس) أن الجزس بسكون الراء مرادف للصوت. والذي يبدو لي أن الجزس أخص. ثم إن (الصوت) أوضح وأشهر منه.

سمعت صوت الرجل وصوت الحمام^(١) اه.. وقريب من هذا ما قاله ابن سينا والراغب الأصفهاني عن الصوت^(٢).

والخلاصة أن ما ذكرناه هنا يبين ويوثق أن الصوت، هو ما سميناه الزمير، وهو المقصود بالجر. وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] فيه تحقيق لذلك. لأن خشوع الأصوات: انخفاضها. وإذا انخفض الزمير المسموع الذي وصفناه قبلاً حتى صار نفساً فحشيت صار همساً.

أما معنى (التنفس) الذي هو الهواء الذي يسحبه الإنسان إلى رئتيه في حالة الشهيق ويخرجه في حالة الزفير فهو واضح. ولكن ننبه إلى أننا عادة نستعمل كلمة (تنفس) إذا لم يكن مع ذلك الهواء زمير، أما إذا كان معه زمير فإنه يسمى صوتاً كما حررنا الآن.

ونعود الآن إلى بيان كيفية صدور الصوت الإنساني عامة، والصوت اللغوي خاصة فنقول: إننا عرّفنا من قبل أن الصوت - من حيث هو ظاهرة طبيعية - إنما يحدث بسبب اهتزاز مصدره. والصوت الإنساني لا يخرج عن هذا، فهو يصدر بسبب الاهتزاز أيضاً. إذ يمر الهواء المندفَع من الرئتين إلى القصبة الهوائية فالحنجرة، ثم قد يجد الهواء منفذاً الذي في وسط الحنجرة يكاد يكون مغلقاً لشدة تقارب الغشاءين الصوتيين اللذين يعترضان طريقه - فيكون نفاذه من بينهما بقوة واحتكاك شديدين لحفز الصدر من ورائه وضيق المنفذ أمامه - فيتذبذب الغشاءان الصوتيان ويصدر عن ذلك الاهتزاز زمير يمرق من الحلق إلى الفم أو الأنف ثم إلى الخارج فيسمع بوضوح. وقد يجد الهواء المنفذ الذي بين الغشاءين متسعاً لتباعد الغشاءين فيمر الهواء بلا زمير. ولكنه لاندفاعه بقوة يحتك بجدران ممره في أي منطقة منه - في الحلق أو تجويف الفم أو الشفتين - فيهتز عمود الهواء ونسمع له حفيفاً.

(١) ينظر سر صناعة الإعراب (تحقيق: مصطفى السقا وزملائه) ٦/١ ، ١١.

(٢) تكلم ابن سينا والراغب عن سبب الصوت ولم يُقرّقا الصوت نفسه قال ابن سينا «أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبسرعة من أي سبب كان» (ثم قال) أما نفس التموج فإنه يفعل (الصوت) (أسباب حدوث الحروف لابن سينا - صححه محب الدين الخطيب 3، 4). وفي المفردات للراغب (تحقيق: صفوان داودي) (الصوت: هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين).

والصوت الأول أي الزمير هو الجهر، والثاني الخفيف هو الهمس. وكلاهما يحدث بالاهتزاز: الجهر باهتزاز الأوتار الصوتية، والهمس باهتزاز عمود الهواء وأثر احتكاكه بجدران مجرى الهواء في الحلق والقم.

أما الصوت اللغوي (= الحرف الهجائي^(١)) فيحدث عندما يعترض النَّفْسُ الإنسانيُّ في سبيل خروجه - زامراً أو غير زامر، من الحنجرة حتى الشفتين - مضيقاً أو سدّاً، فلا ينفذ النَّفْسُ منه إلا باحتكاك بجوانب المجرى المضيق، أو انفجار من المسدّد بعد الاحتباس، فينتج من الاحتكاك، أو الحبس والانفجار - صوت هجائي يناسب كلاً في موضعه. (أي الاحتكاك في موضعه والحبس والانفجار في موضعه). ونظراً لاختلاف الصوت الهجائي الناتج تأثراً بالاختلاف في حالة النَّفْسِ زامراً أو غير زامر، وباختلاف حالة المرور (احتكاماً أو انفجاراً بعد حبس)، وبموضع الاعتراض = فإن القدماء عبروا عن اختلاف الصوت الناتج، أي تغاير صوره حسب الأمور السابقة هذا بأن (النفس) «يتكيف بكيفية صوت هجائي» يناسب موضع التضيق أو السد.

فإذا أُغْلِقَ مجرى النفس عند الشفتين تولد لنا صوت شَفَوِي هو الباء، وإذا أُغْلِقَ عند وسط مقدّم اللسان تولد صوت شَجَرِي كالجيم، وإذا ضاق أو أُغْلِقَ عند أقصى اللسان تولد لنا صوت قَصَوِي قاف أو خاء أو غين، وإذا ضاق مجرى النفس في الحلق تولد لنا صوت حلقي... وهكذا..

وتطبيقاً لما قلنا في الصوت الطبيعي من تأثر درجة أصوات الأوتار بطول الوتر ونوع نسيجه وسمكه ودرجة توتره أي اشتداده، فإن أصوات الصغار والنساء تكون أهد من أصوات الرجال والكبار لقصر الأوتار (أي حافات الأغشية) الصوتية في الصغار والنساء بسبب قصر المسافة بين البروز الحنجري ومركز الغضروفين الهرميين في حناجر هؤلاء

(١) عرف ابن سينا (٤٢٨هـ) الحرف بأنه هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع (فإذا حملت كلمة (صوت) على الأغلب، ثم على أن المقصود (هنا الصوت اللغوي خاصة) كان التعريف صالحاً).

عنها في حناجر الرجال والكبار. وقصر هذه الأوتار يجعل توترها أشدّ، فإذا كانت أرق سُمِّكَا - اكتملت بذلك أسباب الحدة. كل هذا بالإضافة إلى اختلاف (نقاء) مصادر الصوت تبعاً للاختلاف بين نسب العناصر في الأبدان ولو بدرجة طفيفة، وإلى اختلاف الفراغات الرنانة واختلاف أثرها.. مما يسهم في تمييز أصوات الناس.

(تساؤل):

ما الأصوات اللغوية (= الحروف)^(١) التي تولدت من ذلك الجهاز الإنساني الصوتي، واتخذتها لغتنا ولغات العالم؟ وما مدى تشابه تلك الأصوات أو اتحادها؟ ثم ما أغنى اللغات المعروفة بالأصوات اللغوية (= الحروف)؟ وما قيمة كثرة هذه الأصوات في لغة ما؟. وفي إجابة سريعة لهذه التساؤلات نقول: أما في لغتنا فهناك ٣٤ أربعة وثلاثون صوتاً لغوياً (حرفاً) متميزة ومستعملة هي (الهمزة) ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

(١) وقفة مع المصطلحات: (أ) شاع حديثاً استعمال لفظ (صوت) بدل لفظ (حرف) من حروف الهجاء - ولكن كان هذا يناسب الجانب الصوتي المعتبر في هذه الدراسة إلا أنه عام ينبغي أن يوصف بكلمة (لغوي) ليتحدد، ولفظ (حرف) أخص لدلالته بالعرف العام على ذلك، ولاتفاق ذلك مع اصطلاح القدماء. كما أن لفظ (حرف) يجنب اللبس الذي يقع إذا تناول الحديث (صوت) أحد الحروف بمعنى جرسه الصوتي لا الحرف نفسه. وقد أحسن د. تمام حسان بحديثه عن الحرف باعتداده المقابل العربي للفونيم Phoneme .

(ب) بقي أن حروف الأبجدية تسمى عندنا حروف الهجاء (لأن الهجاء تقطيع اللفظة بحروفها) (لسان العرب هجو) كما تسمى حروف (المعجم) فكلمة معجم مصدر ميمي بمعنى الإعجام فهي حروف الإعجام أي التقييد بالكتابة (وانظر معالجة مطولة لكلمة المعجم في سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٣٨٨.. وسر الفصاحة ١٧) وقد جعل ابن جني صيغة (أفعل) في (أعجم) للسلب، ونرى أنها لتحقيق معنى (التماسك) الذي يؤخذ من عجمة الرمل (= الكثبة التماسكة منه) ويتمثل ذلك في إمساك الكلام بالصاق رموز أصواته كتابةً على الورق فلا يُتَّحَد ولا يُنْسَى.

(ج) أما مصطلحات صفات الحروف فأهم ما فيها أن الحروف التي وصفها العرب بالشدة لأنها تحبس النفس - من شدّ فم القربة ونحوها بمعنى رَظْطه وعقده ليمسك ما فيها من مائع أي يحبسه = سماها الأوربيون انفجارية Plosive لانفجار الهواء بعد احتباسه معها. وتأخذ مع هذه الصفة ضدها الرخاوة التي عبر عنها الأوربيون أحياناً بالاحتكاك. وسموا المجهور مصوتاً Voiced والمهموس غير مصوت Voiceless ، وسموا المنحرف جانبياً Lateral .

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي ثم ألف المد وواو المد وياء المد ثم الفتحة والضمة والكسرة^(١). وهناك أيضًا أصوات عربية فرعية ذكر منها سيبويه النون الخفية، والهمزة التي بين يين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم (مجهورة مثل ل في نحو أشداق وأشغال)، والصاد التي كالزاي (في نحو مصدر إذا تساهلنا في الصاد فجهرنا صوتها)، وألف التفتيح في لهجة الحجازيين (في مثل الصلوة)... وهذه الأصوات الفرعية عدها سيبويه «مستحسنة يكثر استعمالها، ويؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار»^(٢). ومما يستحسن ويقرأ به القرآن الكريم أيضًا - الإمالة الخفيفة والحركات البينية. وقد أحصى الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) الحركات أصليةً وبينيةً - قصيرةً ومشبعةً فبلغت ثمانين عشرة غير الحركة المختلطة^(٣). وهناك الروم والإشمام (المشار به إلى الضمة). وكلها عربي فصيح.

ثم ذكر سيبويه أيضًا أصواتًا أخرى «غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ثَوَّتْصَى غريته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر» وهي الكاف التي بين الجيم والكاف (وعبارة أبي حيان «كاف كجيم» = الكَاف الفارسية أي عندما تنطق الكاف العربية كذلك - وقد سماها ابن الجزري الكاف الصماء) والجيم التي كالكاف (الجيم القاهرية - الكافية، وقد عُرفت في لهجة بعض قبائل اليمن القديمة)، والجيم التي كالشين (في مثل اجتمعوا تنطق اشتمعوا) والصاد الضعيفة (كالطاء أو الظاء العامية وكالدال المفخمة)، والصاد التي كالسين (شائعة في نطق النساء)، والطاء التي كالتاء (كنطق أهل شمالي مصر)، والطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء^(٤) (P) وقد ذكرها ابن دريد.

(١) هذه الحركات تحسب أصواتًا أي حروفًا لأن لها مخارج وصفات وقيمًا معنوية ورموزًا كتابية ثم إن نظائرها في اللغات الأخرى (الحركات Vowels) تحسب وتكتب. ونحن بصدد المقارنة بين لغتنا واللغات الأخرى.

(٢) الكتاب لسيبويه (٤/٤٣٢).

(٣) ينظر مفاتيح الغيب (دار الفند العربي) ٧٥/١.

(٤) الكتاب (٤/٤٣٢) والتهويسيون في نيجيريا ينطقون هذه الـ P المهموسة فاءً فينطقون diploma دفلوما.

وتعرض ابن سينا لخمسة عشر صوتاً فرعياً بعضها عرض هنا. ومن أهم ما ذكره الكاف التي ينطقها العرب (= البدو) في عصره بدل القاف، وهي عين القاف المعقودة (مثل Ga) والراء الغينية واللامية واللام المطبقة^(١).

وبعض الخليجيين ينطقون الكاف كالشين أو CH ، ويصلح أن يكون هذا هو المراد بنطق الكاف كالجيم (المعطشة) لأن جرس التعطيش يشبه الشين.

وأما في اللغات الأخرى فقد أحصيت ما عرضته دائرة معارف تشمبرز^(٢) من الأصوات الصامتة Consonants فبلغت ستة وخمسين. وذلك بصرف النظر عن أن بعضها مكرر بحسب اختلاف مخرجه^(٣)، وعن مدى كونه بنائياً أصيلاً. وعلى هذا المستوى يمكن أن نقول إن في لغتنا من الصوامت نحو ٤٥ صوتاً من بين الأصوات العالمية الستة والخمسين - وأكثرها مشترك بين لغتنا واللغات الأخرى أي موجود فيهن على السواء: بعضها له رموز خطية مستقلة كأصوات الباء والتاء والذال والراء والسين والزاي والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء، وبعضها ينطق باجتماع رمزين كالتاء والذال والشين.. وحروف العربية بهذا العدد تشكل نسبة عالية جداً يندر أن يكون لها نظير بين لغات العالم.

ولكن المقارنة الدقيقة في رأينا هي التي تعقد بين العربية ولغات معينة. وتدقيق هذا إنما يكون بالمقارنة بين الوحدات الصوتية للغات لا بين الصور الصوتية لتلك الوحدات فهذه غير منضبطة. ومن هنا فسنرجئ هذه المقارنة إلى ما بعد الكلام عن الوحدات الصوتية والصور الصوتية، الذي سيلي الكلام عن الحروف العربية بمخارجها وصفاتها وسائر الدراسة الإفرادية لها.

(١) ينظر «أسباب حدوث الحروف» للرئيس ابن سينا ١٤ : ١٦ . و«ارتشاف الضرب» تحقيق د. رجب عثمان ١١/١ - ١٦ .

(2) Chambers, s Encyclopaedia 1956 Volume 10, PP. 688 - 692 .

(٣) صوت R مثلاً ذكره مرة بين الحروف اللثوية الأسنان، ومرة مع الحروف اللهوية لأنه لهوي في بعض اللغات (كالفرنسية).

مخارج الحروف وصفاتها

مَخْرَج الحرف هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج^(١). وقد أسلفنا أن الصوت اللغوي (الحرف) يتولد عندما يصادف هواء الزفير - الزامر أو غير الزامر - سداً أو مضيقاً في أية نقطة في مجراه الممتد من الحنجرة إلى ظاهر الشفتين. وتحديد مخارج الحروف وصفاتها هو عمود الدراسة الصوتية اللغوية، كما أنه هو الذي يفسر ظواهر الإبدال والاستثقال والتصاقب وغيرها. وقد أسلفنا أن متقدمي علمائنا العرب كانوا يحصلون معلوماتهم الصوتية (عن المخارج والصفات وغيرها) بمنهج الذوق، وأن المحدثين يستعملون أجهزة متنوعة.

وقد قسم علماء الأصوات مجرى هواء الزفير ذاك إلى أحياز يخرج من كل منها أكثر من صوت لغوي^(٢).

وسنعرض من هذه المخارج - إجمالاً هنا وتفصيلاً فيما بعد - ما نظمنا إليه مما قرره القدماء^(٣) والمحدثون على السواء. معتمدين في هذا الاطمئنان على الملاحظة والتجربة

(١) أضاف الخليل هنا مصطلحات: مبدأ الحرف وهو مخرجه، والحيز وهو مخرج لعدة أحرف (متجانسة) والمدرج أو المجرى وهو مسار هواء الحرف بعد خروجه، وقد يستعملان بمعنى المخرج. (تنظر مقدمة العين ورواياتها في تهذيب اللغة وتذكرة النحاة) وفي رأيي أن فتح ميم كلمة مَخْرَج يعني الموضع العنمد أو الطبيعي الذي يخرج منه الحرف، أما الضم فيعني الموضع الذي يمكن أن يُخرج الناطق منه الحرف اختياراً وعمداً - وإن لم يكن هو المخرج المعتمد الطبيعي، ففتح الميم أدق.

(٢) خروج أكثر من صوت واحد من نقطة واحدة بعينها تقريب، لأن لكل حرف مخرجاً خاصاً - كما قال ابن الحاجب (متن الشافية باب الإدغام).

(٣) هذا هو التحديد القديم لمخارج الحروف بعبارة سيبويه (وقد أغفلنا التعديلات المتأخرة) «لحروف العربية ثمانية عشر مخرجاً. فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج اللام والحاء، وأدناها مخرجاً من القم الغين والحاء، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناصب والرابعة والثنية مخرج اللام، ومن طرف اللسان بينه =

الخاصة من ناحية، وعلى مدى الثقة العلمية في دقة ما قرره كل من الفريقين من ناحية أخرى.
وستنبه على ما يكون الخلاف فيه بين الأقدمين والمحدثين خلافاً لفظياً - وهو كثير.
١- المزمار (فتحة ما بين الوترين الصوتيين) وتخرج منه الهمزة وألف المد - ومنه مع
الحلق تخرج الهاء.

٢- وسط الحلق وتخرج منه العين والحاء.

٣- أصل اللهاة (وهو الجزء اللين من أقصى الحنك ويسمى الطبق) وأعلى جذع
اللسان (= أقصى اللسان) وتخرج من بينهما الخاء والغين والقاف الفصحى (والسودانية،
والحدیثة = قاف القراء في مصر).

٤- الثلث الداخلي للسان مع الحنك اللين، وتخرج منه القاف الريفية (= المعقودة =
الجيم القاهرية = الكاف الصماء = Ga).

٥- الثلث الداخلي للسان مع أول الحنك الصلب للكاف الفصيحة.

٦- وسط مقدم اللسان وما يحاذيه من الحنك الصلب (= مقدم الغار) وتخرج منه
الجيم المعطشة والجيم الشامية والياء والشين.

٧- طرف اللسان (ويشارك في إخراج شطر الحروف تقريباً).

أ- ذلق اللسان مع لمس طرفه لثة الثنايا العليا وتخرج بهذا الوضع اللام والراء والنون.
ويخرج نفّس اللام من جانبي اللسان، ونفّس الراء من فوق ظهر اللسان، ونفّس النون
من الأنف.

ب- حافتا اللسان مع لمس طرفه لثة الثنايا تحت نقطة اللمس السابقة وبه تخرج
الضاد.

= وبين ما فُويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى
اللام مخرج الراء. وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء. وما بين طرف اللسان
وفُويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد. وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والطاء.
ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن
الخياشيم مخرج النون الخفيفة). الكتاب ٤/٣٣٣.. وقد أكملنا مخرج اللام من سر الصناعة لابن جني.

ج- طرف اللسان (ومقدمه) بلمسه لثة الشاىا العليا وأصولها وصفحتها تحت النقطة السابقة أيضًا وهو مخرج الطاء والذال والتاء.

د- أسلة اللسان باقترابها أشد القرب من أطراف الشاىا - للصااا والسين والزاي.

هـ- طرف اللسان بامتداده بين أطراف الشاىا العليا والسفلى وهو للطاء والذال والتاء.

٨- التقاء أطراف الشاىا العليا بباطن الشفة السفلى وهو للفاء.

٩- التقاء الشفتين وهو مخرج الباء (يحتبس معها النفس)، والميم (يخرج النفس من الأنف).

١٠- الخياشيم للنون الخفيفة (الغنة حالة الإخفاء). وتشارك في إخراج النون المظهرة والميم.

١١- المزمار مع ارتفاع أقصى اللسان واستدارة الشفتين للواو، ومع ارتفاع وسط مقدم اللسان وانقراج الشفتين للياء.



صفات الحروف

صفة الحرف جلية صوتية تصحبه عند نطقه كالجهر أو الهمس والشدة أو الرخاوة إلخ. وهي تحدث بمراعاة الناطق لها، وتهيئته أعضاء نطقه لإصحابها أداء الحرف. وللصفات قيمة جوهرية هي أنها وسيلة التمييز بين الحروف المتحددة المخارج. وإذا علمنا أن أزواجاً كثيرة من الحروف الأبجدية متحدة المخارج ولا يميز بين كل منها وقرينه إلا اختلاف الصفات كالعين والحاء مخرجهما واحد وإنما يميز صوت إحداهما من الأخرى أن العين مجهورة والحاء مهموسة، وكذلك الأمر في الغين مع الحاء، وفي الزاي مع السين وفي الذال مع الشاء إلخ. والصاد تتميز عن السين بالتفخيم الذي سببه الاستعلاء والإطباق، والقاف تتميز عن الغين والحاء بالشدة وهكذا. إذا علمنا هذا تبينت لنا الأهمية العظمى للصفات والمراعاتها عند نطق الحروف.

وقد نبه الأئمة على هذه القيمة للصفات منذ القرن الثالث الهجري. وللإمام بكر بن محمد المازني (٢٤٩هـ) كلام مفصل^(١) في هذا.

وهناك خمس مجموعات من الصفات العامة لا بد لكل حرف أبجدي^(٢) أن يحمل

(١) ممن نبه على قيمة الصفات هذه المازني (٢٤٩هـ) ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) (الرعاية ١١٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦) وشهاب الدين القسطلاني (٩٢٣هـ) (لطائف الإشارات ١/١٥٦) وقد نقل مكي في الرعاية (١٤٣) قول المازني: (إن الذي فصل بين الحروف التي ألف منها الكلام سبعة أشياء) الجهر والهمس والشدة والإرخاء والإطباق، والمد واللين. قال لأنك إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شددت أو مددت أو لينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد. قال فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد. قال ولو كانت المخارج واحدة، والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم. فهذه حكمة يجبل الله عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم لتخرج بهذه الصفات عن جنس أصوات البهائم، لأن أصوات البهائم لا اختلاف في مخارجها، ولا في صفاتها، ولذلك لا تفهم - فباختلاف صفات هذه الحروف في ألفاظ بني آدم، واختلاف مخارجها وتباين طباعها فهم الكلام وظهر المعنى القائم في نفس المتكلم للمخاطب وعلم المراد.

(٢) تستثنى الهمزة والهاء من صفات مجموعتي الاستعلاء والاستفال، والإطباق والانفتاح، لأنه ليس للسان عمل في هذين الحرفين. ولا تستثنى الألف لأن من الألفات ما يفخم لاستعلائه، ولا الحاء ولا العين لأن من المرجح أن جذع اللسان يسهم في تهيئة احتكاك نفّس الحاء، وتضييق المنفذ الرخو لزمير العين.

صفة من كل مجموعة منها، وصفات خاصة تتصف بها بعض الحروف بشروط معينة.
ومجموعات الصفات العامة هي: الجهر أو الهمس، الشدة أو الرخاوة، والاستعلاء
أو الاستفال، والإطباق أو الانفتاح، والذلاقة أو الإصمات.

الجهر والهمس:

الجهر زمير يصحب الحرف حين نطقه، والهمس هو عدم إصحاب الحرف زميرًا عند
نطقه. وسواء في الحالتين - جزى مع خروج الحرف نفس أو لم يجز. فإذا نطقت اللام
- مثلاً - ساكنة بعد مدّ (ءاا ل ل ل) تجزى الزمير مخالطاً لجزسها - أى أن الزمير
يصحب نطقها ولا ينقطع عند الوصول إليها، فهي مجهورة. ويجزى معها نفس، وإذا
نطقت الدال كذلك قلت (ءاا د) فيصحبها زمير لكن لا يجزى نفس. وإذا نطقت الفاء
ساكنة بعد مدّ (ءاا ف ف ف) تلحظ أن الزمير ينقطع عند الوصول إليها أى أنها لا
يصحب نطقها زمير لكن النفس يجزى - فهي مهموسة رخوة. وإذا نطقت التاء
(ءاا ت) ينقطع الزمير، والنفس لا يجر لأنها - مع كونها مهموسة - شديدة يحتبس
معها النفس. وقد طولنا همزة الوصل التي يتوصل بها إلى نطق الحرف ساكنًا حتى
صارت مدًا ليظهر وجود زمير الجهر قبل الحرف المدّوق (فهذا المدّ هو عينه زمير
الجهر)، فإذا استمر الزمير أثناء نطق الحرف فالحرف مجهور، وإذا انقطع عند نطق الحرف
فالحرف مهموس. وستأتي طريقة ذوق وجود الصفتين.

سبب الجهر والهمس:

وسبب صدور زمير الجهر أن الهواء المندفع من الرئة - والذي يحدث الحرف بحسه
أو تضيق سبيله في مخرجه - قد تتضايق أمامه فتحة المزمار (التي بين الوترين الصوتيين)
فلا ينفذ إلا باحتكاك شديد بالوترين الصوتيين المكوّنين لجانبيها بسبب حفز الصدر له
من ورائه وضيق المنفذ بين الوترين أمامه، فلذلك الاحتكاك تتذبذب الأوتار الصوتية
بشدة فيصدر ذلك الزمير الذي هو الجهر.

وليس الحال كذلك مع كل الحروف بالطبع، فإن الوترين قد ينفرجان عند مرور هواء
بعض الحروف بينهما، فلا يحتك الهواء بهما ولا يصدر زمير يصحب نطق الحرف.
ويوصف مثل ذلك الحرف بأنه مهموس.

حروف الجهر وحروف الهمس:

والحروف المهموسة جمعها القدماء في عبارة (سكت فحثة شخص) أي السين والكاف.. إلخ. وباقي حروف الأبجدية العربية مجهورة. وقد جمعوها في عبارة (ظُلُّ قَوْرَبَضْ إِذْ غَزَا جُنْدٌ مَطِيع). وسنعرف عند تفصيل الكلام على الحروف أن جمهور لغويينا المحدثين ينفون جهر الهمزة تبعاً للأوروبيين، وأن الطاء والقاف صارتا - في نطق جمهور المحدثين - مهموستين. ولكن الصواب والفصيح أن هذه الأحرف الثلاثة مجهورة.

طريقة ذوق اتصاف الحرف بالجهر والهمس:

يُعلم مما سبق أنه يمكن ذوق صفة الحرف من حيث الجهر والهمس بنطقه ساكناً في أثناء نطق مد (مثلاً يَاف .. يَأْث .. يَأْذ .. يَال ... إلخ). والمد زمير أي جهر، فإن استمر الزمير مع الحرف المذوق الساكن فهو مجهور، وإن انقطع فهو مهموس.

وهناك طريقة أخرى لتبين ما إذا كان الحرف مجهوراً أو مهموساً هي وضع الأصابع على الحنجرة من الخارج أي تحت الذقن، ونطق الحرف ساكناً، فإذا شعرت الأصابع بأزيز عند نطقه فهو مجهور وإن لم تشعر بأزيز فالحرف مهموس. ويُفضّل استعمال هذه الطريقة الأخيرة في ذوق جهر الحروف الشديدة أو همسها. وهي المجموعة في عبارة (أجذك قطبت).

وينبغي أن ننبه إلى أن الجهر يتميز من الهمس عند الكلام بصوت معتاد. أما في مثل حالة السرار (= الوشوشة) والمخافتة، فإن الكلام كله مهموس - ولذا سُمي القرآن الكريم الكلام على هذا المستوى همساً ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وقابله بالجهر ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾^(١).

الشدة والرخاوة:

الشدة حبس النفس في مخرج الحرف آن - نطقه - سواء كان مع النفس صوت أي زمير أو لم يكن. ويكون ذلك بإغلاق مجرى النفس عند مخرج الحرف - فإذا اقتضى

(١) طه: ١٠٨، والإسراء: ١١٠.

نطقُ حرفٍ ما التقاء أعضاء النطق في مخرجه بحيث تحبس النفس حبسًا مُحكمًا فذلك الحرف شديد، ويمكن ذوق ذلك بنطق الحرف ساكنًا بعد أي حرف آخر أو بعد همزة وصل مفتوحة (أو مكسورة) كما أشار الخليل (أق - أك - أث ... إلخ) فإذا كان النَّفْس يحتبس في حالة الإسكان هذه مهما استمرت - كما في هذه الحروف المذكورة - فالحرف شديد. والحروف الشديدة مجموعة في عبارة (أَجْدَكَ قَطْبَتْ).

ويجدر أن نذكر هنا أن مصطلح الشدة مأخوذ من استعمال (الشَّد) لغويًا بمعنى رُبُط فم الكيس أو الوعاء^(١) حتى لا يخرج منه شيء تسيبًا أو تبعضًا. والمعنى الاصطلاحي هو كما قلنا حبس النفس في مخرج الحرف آن نطقه، وهذا الحبس يكون باعتراض اللسان مجرى النفس في نقطة المخرج اعتراضًا مُحكمًا (كما في نطق القاف والكاف والجيم والذال والطاء) أو بالتقاء الشفتين التقاء مُحكمًا (كما في نطق الباء) فهذا الاعتراض المُحْكَم أو الالتقاء المُحْكَم يحبس النَّفْس حبسًا تامًا لا يدعه يخرج، وهذا يشبه شَدَّ فم الكيس (أي ربطه) شَدًّا تامًا فلا يخرج منه شيء. وليست صفة الشدة مأخوذة من الشدة بمعنى القوة كما ظن بعض علماء التجويد المتأخرين.

والرخاوة جريان النفس وَتَفَادُهُ من مخرج الحرف آن نطقه سواء كان مع النَّفْس الجارى صوت أي زفير أو لا. ويكون ذلك إذا تولد الحرف بتضييق مجرى النَّفْس عند مَقْطَع الحرف أي مخرجه. والتضييق وُخِده لا يحبس النفس أي لا يمنع تَسْرُوبه أو نَفَادَهُ من المضيق، بل يسمح بمروره مع احتكاكه بجدران المضيق - مثل أف أس أخ.. إلخ) فنجد النفس مستمرًا في خروجه عند إسكان الحروف. فمثل هذه الحروف تسمى رخوة لجريان النفس من مخرجها عند نطقها ساكنة.

وهناك مجموعة ثالثة من الحروف عَدَّها سيبويه بين الرُّخوة والشديدة، فصَّرَح بوصف

(١) الشَّد بمعنى الإيثاق في لسان العرب (شدد)، والشَّدَاد بمعنى الرباط في اللسان (نطق) والشد بمعنى ربط فم السقاء أو القربة ونحوهما استعمل في اللسان (وكي) كثيرًا. قال (الوكاء كل سير أو خيط يُشَدُّ به فم السقاء أو الوعاء، وقد أوكيته... إذا شَدَّدْتَهُ.. الوكاء رباط القربة وغيرها الذي يُشَدُّ به رأسها.. الوكاء: الخيط الذي تُشَدُّ به الصُّرَّة والكيس وغيرهما، أَوْكَيْ على ما في سقائه: إذا شَدَّهُ بالوكاء. أو كُؤا الأسقية: أي شَدُّوا رؤوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء. عليكم بالسقاء الموكي: أي السقاء المشدود الرأس (= الفم).

العين بذلك، ثم وصف كلا من اللام والميم والنون والراء بأنه (حرف شديد جري فيه (النفس)^(١) - أي يجمع بين الشدة المتمثلة في اعتراض طريق النفس، والرخاوة المتمثلة في خروج النفس رغم ذلك بانحرافه إلى مَنقَذ، ومن هنا عد الشراح حروف (لن عمر) متوسطة بين الشدة والرخاوة. ونحن نرى أنه ما دام مناط الوصف بالشدة أو الرخاوة هو حبس النفس أو خروجه عند نطق الحرف فيجب أن تُعدّ هذه الحروف رخوة لأن النفس يخرج معها.

وقد جمع القدماء الحروف الشديدة في عبارة (أجدك قطبت) كما سبق فالحروف الرخوة هي ما عدا هذه الحروف الألفبائية ما عدا هذه الثمانية. وسنرى - بعد - أن وصف الهمزة والقاف والطاء بالجهر، ووصف الضاد بالرخاوة، ووصف بعض أنواع الجيم بالشدة.. كل ذلك أصبح موضع بحث عند المحدثين. كما سنرى ما يوضح أن الحق مع القدماء.

ومما سبق يعلم أن طريقة ذوق اتصاف الحرف بالشدة أو الرخاوة هي نُطقه ساكنًا بعد همزة وصل مثلاً، فإن جرى النفس من مخرج الحرف أثناء نطقه فالحرف رخو، وإن احتبس النفس في المخرج حيثئذ فالحرف شديد..

تنبيه مهم:

لا ينبغي أن يُظن أن الحرف إذا نُطق متحركًا يتغير اتصافه بالجهر أو الهمس، وبالشدة أو الرخاوة. كلاً. فما يتصف به الحرف وهو ساكن من حيث الجهر أو الهمس، والشدة أو الرخاوة يبقى كما هو. وإنما اشترطوا ذوق الحرف ساكنًا ليفردوه عما سواه فتظهر صفته، ولا يتأثر بحركته. ذلك أن الحركة صوت آخر أي حرف آخر، وهي تقع بعد الحرف، وتتصف دائماً بالجهر والرخاوة، ولها أحكام أخرى أيضاً. فإذا قلنا (يُشير الجلد) فإن الباء وحدها حرف وهي مجهورة وشديدة، وبعد الباء ضمة وهي حركة مجهورة رخوة. وبعد الضمة شين وهي حرف مهموس رخو، وبعد الشين كسرة وهي أيضاً

(١) الذي في الكتاب ٤٣٥/٣ - (الصوت). ولكن الصواب استعمال كلمة نَفَس هنا بدلا من كلمة «صوت»، لأن الشدة خاصة بالنفس سواء كان معه صوت أو لا.

حركة مجهورة رخوة، وبعد الكسرة راء وهي حرف مجهور رخو، وبعد الراء فتحة وهي حركة مجهورة رخوة.. وهكذا فالحرف ينبغي أن يُنظر إليه دائماً نظرة مستقلة عن الحركة التي تليه. وهذا هو سيرُ ذوق الحروف ساكنة.

العلاقة بين مجموعتي الجهر والهمس والشدة والرخاوة

١- المجموعتان لهما علاقة بالتَّنَفَس من حيث: أ- إن زمير الجهر لا يصدر إلا مع مرور النفس من المزمار حين ضيق فتحة فترتعدُ حافتا الفتحة ويصدر الزمير. والهمس إنما هو مرور النفس من فتحة المزمار حين اتساعها فلا ترتعدُ حافتا الفتحة ولا يصدر زمير.

ب- وأن الشدة هي حبس النفس في مخرج الحرف عند نطقه. والرخاوة مرور النفس من مخرج الحرف عند نطقه.

لذلك وجب بيان العلاقة بين المجموعتين بياناً صحيحاً، لأن بعض المتأخرين من علماء التجويد عَرَضُوا لهذه العلاقة بين المجموعتين، وقالوا إن الشدة تؤكد الجهر، وكذلك عَرَضُوا للعلاقة بين الصوت والنفس واستعملوا لفظي الصوت والنفس في غير موضعهما بالنسبة لصفات المجموعتين^(١) - وإن كانوا في استعمال لفظ (الصوت) في غير موضعه مسبقين بسببويه وكثيرين بعده. وكذلك يجب بيان العلاقة بين المجموعتين لأن بعض الدارسين المحدثين قد يتوهم أن الشدة توقف الجهر، وأن كل شديد لا بد أن يكون مهموساً بسبب أن الشدة توقف جريان النفس، وزمير الجهر لا يصدر إلا بجريان النفس من بين الأوتار الصوتية. كما قد يتوهم أن كل مجهور لا بد أن يكون رخوًا، لأن الجهر زمير يمر مع النفس.

وقد حررنا من قبل ووثقنا أن (الصوت) هو ما سُمِّيَناه الزمير، وهو المقصود بالجهر،

(١) الكلام عن العلاقة، وأن الشدة تؤكد الجهر، واستعمال الصوت والنفس استعمالاً غير دقيق بالنسبة لمجموعتي صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة في نهاية القول المفيد (البابي الحلبي) ٤٦ - ٤٩ .

ونبّهنا إلى أننا عادة نستعمل كلمة (نَفَس) إذا لم يكن مع ذلك النفس زمير، أما إذا كان معه زمير فإنه يسمى صوتًا (فقط).

العلاقة:

ولضبط العلاقة بين مجموعة الجهر والهمس، ومجموعة الشدة والرخاوة علينا أن نتذكر:

١- أن نقطة صدور الزمير (= الجهر) غير نقاط حبس النَّفَس (= الشدة). فنقطة صدور الزمير لها خاصتان:
أ- أن لها موضعًا واحدًا ثابتًا مع كل الحروف المجهورة، وهو فتحة الزمار التي بين الوترين الصوتيين.

ب- وأنها أعمق نقاط صدور الصوت اللغوي.

أما نقاط حبس النفس (= الشدة) فهي متعددة ومتنقلة، لأن حبس النفس في الحرف الشديد يقع في مخرجه، والمخرج لها مواضع متعددة: فحبس النفس مع القاف يقع عند أقصى اللسان، ومع الكاف يقع أخرج من الأقصى قليلًا، ومع الجيم في وسط مقدم اللسان.. وفي نطق الباء يقع الحبس بالتقاء الشفتين وهكذا.

٢- كل زمير أو كل جهر فمعه نَفَس ضرورة. والعكس ليس صحيحًا، لأن النفس يمكن أن يمر بلا زمير لاتساع ما بين الأوتار الصوتية عند مروره كما في نطق الثاء والحاء والحاء... إلخ. ثم إن حبس النَّفَس - إذا كان الحرف شديدًا - يقع في مخرجه. ونقطة المخرج متأخرة عن نقطة صدور الجهر - كما سبق، إلا في الهمزة والهاء وحروف المد.

٣ - إذا كان الحرف يتصف بالجهر فإن زمير الجهر يصدر قبل خروج الحرف من مخرجه، وذلك بمرور النفس من فتحة الزمار وهي ضيقة، ويستمر زمير الجهر حتى يصحب تكوّن الحرف في مخرجه، وبهذا يتصف الحرف بالجهر. ثم إذا كان الحرف يتصف - مع الجهر - بالرخاوة فإن الزمير يستمر مع النَّفَس بلا أية مشكلة، وإذا كان يتصف بالشدة بدلاً من الرخاوة فإن النَّفَس يحتبس في مخرج الحرف آن تكون صوت الحرف، ولكن هذا الاحتباس في المخرج لا يُوقِف مرور النفس من فتحة الزمار أي لا يوقف صدور الزمير، وذلك لأن الحبس لا يستغرق إلا نحو (٠,٠٥) خمسة في

المثقة من الثانية ثم يعود إلى الجزئان. ولهذا القِصَر البالغ في زمن حبس النفس فإن توقف جريان النفس لا يبلغ إلى نقطة فتحة المزمار^(١) بل يظل النفس يمر بين الأوتار محدثاً زمير الجهر. وهكذا فإن الشدة لا تؤثر في الجهر أي لا توقفه أي لا تحول المجهور إلى مهموس، وهي من باب أولى لا تزيد الجهر ولا تقويه. أي أنه ليس هناك علاقة تلازم بين الجهر والشدة لا إيجابية ولا سلبية.

٤ - وكذلك الأمر في الجهر والرخاوة فالحرف الرخو إذا كان مجهوراً يصدر زميره أولاً، ثم يستمر النفس الحامل للزمير فيميز من مخرج الحرف بلا مشكلة كما قلنا فليست هناك علاقة أيضاً.

٥ - والمهموس لا مشكلة له لا مع الشدة ولا مع الرخاوة لأنه ليس فيه زمير يُبحث عن توقفه أو عدم توقفه. وإنما يُبحث عن شدته أو رخاوته، وهما يحدثان في المخرج نفسه. وبذا تبين أن المجموعتين مجموعة الجهر والهمس، ومجموعة الشدة والرخاوة لا تؤثر إحداهما في الأخرى لا بالسلب ولا بالإيجاب.

فقد يكون الحرف مجهوراً ويكون مع ذلك شديداً كالهزة والقاف والجيم والدال والطاء والباء، أو يكون مع الجهر رخوا كالزاي والراء والضاد وغيرهن. وقد يكون مهموساً وهو مع ذلك شديد كالكاف والتاء، أو مهموساً وهو مع ذلك رخو كالحاء والحاء والسين وغيرهن.

ومفتاح عدم التعارض أن نتذكر أن الجهر والهمس مسألة زمير يصحب نطق الحرف أو لا يصحبه، وأن الشدة والرخاوة مسألة نفس يجري في مخرج الحرف عند نطقه أو يحتبس، وأن موطن صدور زمير الجهر أعمق في جهاز النطق من موطن وقوع الشدة أو الرخاوة. فالجهر أو الهمس يحدثان أولاً ثم تحدث الشدة أو الرخاوة ولا تؤثران في

(١) لتقريب هذا الأمر نقول إن جدول الماء الجاري إذا شد في نقطة فإن جريان الماء يتوقف عند نقطة السد فوراً، لكن يظل الماء يجري - ولو ببطء - في المسافة السابقة لنقطة السد لمدة قصيرة، ثم يتوقف. وكلما بعدت المسافة قبل موضع السد - تأخر زمن حدوث توقف جريان الماء. وهكذا الأمر في جريان الهواء في قناة تجويف الجهاز الصوتي من الحنجرة إلى الشفتين.

صدور الزمير أو عدم صدوره، لقصر زمن الشدة قصرًا بالغًا بحيث لا تسبب توقف مرور النفس من بين الأوتار.

الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف. ويقع ذلك عند نطق حروف جمعها القدماء في عبارة (تخص ضغط قط). وسنعرف بعد ذلك الحروف والحالات الأخرى التي يستعلي معها أقصى اللسان^(١). ووضح أن ارتفاع أقصى اللسان يكلف جهدًا أكثر من ارتفاع طرفه ولذا فهو أثقل ويناسب المعاني القوية، ويرتبط بالتفخيم كما سيأتي.

والاستفال هو انحطاط أقصى اللسان عند خروج الحرف - لا بمعنى انخفاضه عن مستواه، بل بمعنى عدم ارتفاعه نحو الحنك. والحروف المستفلة هي ما عدا المستعلية. ووضح بالمقابلة - أن الحروف المستفلة خفيفة بالنسبة للمستعلية.

الإطباق والانفتاح:

الإطباق عرّفه سيبويه بأنه رفع اللسان إلى ما حاذاه من الحنك الأعلى في مواضع الحروف المطبقة وهي (ص ض ط ظ) بحيث ينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك

(١) عن الاستعلاء:

أ- نبه الأئمة مبكرًا على هذه الصفة. فذكرت رواية لمقدمة العين للخليل أوردتها الأزهري في التهذيب ثم أبو حيان في تذكرة النحاة ص ٢٦ عن كتاب الزهكال لجناذه بن محمد (٣٩٩هـ) ذكر فيها أن من الحروف خمسة شواخص (الشخص الارتفاع - فهو يقصد مستعلية) فذكرها تاركًا منها الحاء والغين. وذكر سيبويه خمسة منها مفرقة في ٤/٤٧٩ - ٤٨١ مبرًا عن استعلائها بأنها تتصعد نحو الحنك الأعلى (ولم يذكر الضاد، كما يبدو أنه يستبعد الظاء فلا يعدها مستعلية - ينظر الكتاب ٤/٤٨١ وما قبلها. وذكرها البرد كاملة في المختضب ١/٣٦٠ - ٣٦١ مصرحًا بتعبير الاستعلاء (ثم استقرت الصفة).

ب- الذي هداني إليه تتبع معالجات الأئمة للأصوات اللغوية أن أول من نهت عبارته على أن الاستعلاء إنما هو ارتفاع أقصى اللسان خاصة - لا أي جزء آخر منه - هو علي بن مسعود (٥٤٨هـ)، والاستعلاء فيها من حيث إن أصل اللسان يصعدها، (المستوفي ٢/٥٨٨)، ثم الجاردي (٧٤٦هـ) ثم الشيخ زكريا الأنصاري (٩٤٦هـ)، (مجموعة الشافية ١/٣٤٢، ٢ - ٢٤٢ - على التوالي)، ثم المرعشي (١١٥٠هـ)، (نهاية القول المفيد - ٥١) وهؤلاء عبروا باستعلاء (أقصى اللسان).

إلى موضع الحرف^(١). أي أنها تنطق باجتماع ارتفاعين معاً في اللسان: ارتفاع أقصى اللسان وكذا ارتفاع مقدّمه أو طرفه كلّ إلى ما فوقه من الحنك، مع تقعر وسط اللسان بحيث ينحصر النّفس والصوت بينه وبين الحنك. ويعتمد مقدّم اللسان على ما يعلوه من الحنك في الطاء، وفي الضاد يماسّ طرفه لثّة الثنايا تحت نقطة التماسّ في نطق اللام، ويقترب فحسب دون اعتماد أو تماسّ في الصاد. أما الظاء فطرف اللسان فيها يكون ممتداً بين أطراف الثنايا، وما قبل الطرف يكون مرتفعاً شيئاً ما. ويكون هذا - مع ارتفاع أقصى اللسان في الحروف الأربعة. وبذا يكون الحنك كالطبق على وسط اللسان.

وأقرب عبارات الأئمة عن الإطباق هي قول مكّي إن «طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف وينحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها» ولو قال أقصى اللسان ومقدمه بدل كلمة (طائفة) لكان دقيقاً. وعبارة سائرهم^(٢) بالإصاق ليست صواباً. والافتتاح ضد الإطباق - ومعناه تجافي أقصى اللسان أو طرفه أو كليهما عن الحنك - لا يرتفعان معاً إلى الحنك عند نطق الحرف. فحقيقة الافتتاح أنه عدم اجتماع الارتفاعين، سواء وقع ارتفاع واحد أو انتفى الارتفاعان معاً. وتعريف الإمام الجعبري عن الافتتاح بأنه «تجافي كل من طابقتي اللسان عن الأخرى» غير موفق. وكل الحروف منفتحة ما عدا الحروف المطبقة الأربعة. فالافتتاح أعم من الاستفال، لأن كل مستفل منفتح دون العكس، لأن القاف والحاء والغين منفتحة وليست بمستفلة. هذا والإطباق - في تكوين الصوت - أثقل من الافتتاح، ولذا فإن له غلظاً وقوة ويكسب صوت الحرف ضخامة.

(١) عبارة سيويه الكتاب ٤/٣٦٤: «وهذه الحروف الأربعة (ص ض ط ظ) إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك. فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان في اللسان. وقد يُنّ ذلك بحصر الصوت».

(٢) ينظر الرعاية، وعبارة ابن جني «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطَبِّقاً له (سر الصناعة ١/٧٠)، وفي (القول المفيد ٥٢) إطباق أي تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان.

وينظر بينهما - سر الفصاحة ٢٤، والشافعية بشرح الرضي (٣/٢٦٢)، ولطائف الإشارات للقسطلاني ١/١٩٨ - ١٩٩ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/٧٣) (حرف)، ونهاية القول المفيد ٥٣.

الذلاقة والإصمات:

الذلاقة: ومعناها حدة اللسان وطلاقة. والمراد هنا الأحرف التي تتصف بالحنفية والسهولة في نطقها. وهي اللام والراء والنون. وسميت أحرف الذلاقة لأنها تخرج بوضع طرف اللسان على أعلى لثة الثنايا العليا، فيمر صوت اللام من جانبي الطرف وهما ذلق اللسان (حدًا طرفه)^(١)، ويمر صوت الراء من فوق ظهر اللسان عند مفارقة طرفه موقعه مرات بالارتعاد. ويمر صوت النون من الأنف^(٢) (فاللام وحدها هي الحرف الذلقى تمامًا. وقد ضمت إليها ثلاثة أحرف شفوية وهي الفاء والباء والميم، سميت أحرف ذلاقة للحنفية فيها. فصارت الأحرف الذلقى ستة.

وفي الميم «فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان»^(٣)، وسهلت عليه في المنطق = كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يفرى منها أو من بعضها». الإصمات: وهو ضد الذلاقة.. وحروفه هي بقية الحروف الهجائية - أي ما عدا حروف الذلاقة. وقد سموها مُصممة لثقلها (بالنسبة إلى خفة حروف الذلاقة)^(٤). فالشئ المصمت - أي الممتلئ الجوف - أثقل من الفارغه. وقد علل ابن جني تسميتها مصممة بأنها «صُيبت عنها أن تُبنى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعززة من حروف الذلاقة»^(٥).

(١) وفي الميم للخليل ٥٧/١ «تخرج من ذلق اللسان (من) طرف غاز الفم» كان المقصود (مر الهواء قبل وصوله إلى الذلق..

(٢) هذا هو الصواب. وهو واضح في اللوق وفي الكتاب بالنسبة للنون، وكان سيويه يظن أن هواء الراء يمر من جانبي اللسان كاللام. وفي مقدمة الميم أن اللسان «لا ينطلق إلا بالراء واللام والنون» وقد ذكرنا الصواب.

(٣) هذا تسامح كبير فإنه لا عمل للسان في الميم والباء والفاء فهن شفويات، ولكنهن يحملن على اللام والراء والنون. والتحرير المفصل أن الراء والنون حملتا على اللام في صفة الذلاقة، ثم حملت الثلاثة الشفهية على مجموعة اللام، لاشتراك الستة في الحنفة.

(٤) ينظر شرح الرضي شافيه ابن الحاجب ٢٦٢/٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ٧٥/١.

صفات خاصة

الصفير

وهو المكاء (= ما يُسمع عند نفاذ الهواء بقوة من منفذ دقيق). وهو ما يميز الصناد والزاي والسین عند خروجهن. وسببه انحصار النّفس عند خروجهن بين طرف اللسان وصفحتی الثنايا العليا فيصفر في خروجه بسبب ضيق منفذه.

الانحراف:

يؤخذ من كلام سيبويه أن صفة الانحراف تعني:

- أ - انحراف اللسان بمعنى تجافي جانبيه (دون طرفه) من أجل خروج الصوت.
ب - خروج (صوت) الحرف (أي تكونه بالمرور) من جانبي اللسان اللذين، تجافيا.
ولم يصف سيبويه بصفة الانحراف هذه صراحة إلا اللام، وهي التي تحقق فيها الأمران اللذان ذكرناهما^(١) وكذلك خص المبرد اللام بهذه الصفة^(٢). وهذا هو الذي نأخذ به من حيث تعريف الانحراف، والحرف الموصوف به.
ثم إن سيبويه قال عن الراء إنها فحرف ... يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام^(٣)، وقال عنها مرة أخرى «لأن فيها انحرافا نحو اللام قليلا»^(٤). وهذا قد يؤخذ منه أن سيبويه يرى أن الراء أيضا منحرفة. وبهذا قال المتأخرون^(٥).

(١) نص كلام سيبويه هنا «ومنها (أي الحروف) المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافي عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فوق ذلك». الكتاب ٤/٣٥٠ .

(٢) المقتضب ٣، ج ١/٣٤٨ .

(٣) الكتاب ٤/٣٥٠ .

(٤) نفسه ٤/٤٥٢ والنص «فيهما» وهو تحريف طبايعي لأن الضمير للراء وحدها.

(٥) ينظر نهاية القول المفيد للعلامة محمد مكي نصر ٥٦ - ٥٧ .

وجاء في العين نسبة هذه الصفة إلى اللام والراء والنون معا^(١).

ونحن نقول إن وصف الراء والنون بصفة الانحراف ليس صحيحاً، لأن صوت الراء لا يخرج من جانبي اللسان كاللام، وإنما هو يمر من فوق ظهر اللسان عند تجافي طرف اللسان عن الحنك بين لمساته أو طرقاته المتوالية للحنك - وهي اللّمسات التي تصنع صفة التكرار في الراء. وكذا صوت النون لا يخرج من جانبي اللسان وإنما من الأنف. وهذا يثبت الذوق، وبعض كلام سيبويه نفسه أيضاً:

فقد قال عن مخرج النون «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون»^(٢) وهو هنا يتحدث عن وضع اللسان في الحنك باعتداده المخرج - على ما هو منهجه - بما خلاصته أن ظهر^(٣) طرف اللسان يكون حين إخراج النون ملتصقاً بالحنك الأعلى في نقطة ما فوق الثنايا. أما خروج صوتها من الأنف فقد ذكره صريحاً في موضع آخر، وأضاف «فإنما تُخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف»^(٤) فليس هنا انحراف للسان ولا للصوت، إذ لم يذكر أحد أن خروج صوت النون والميم من الأنف - لا الفم - انحراف.

وقال عن مخرج الراء «ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»^(٥) ويقول في وصفه لهيئة حدوث التكرير في الراء «تجافي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه»^(٦) فتجافي طرف اللسان مرات هو الذي يمرر صوتها.

(١) ينظر العين (المخزومي) ٥٢/١ فقد قال عن حروف اللسان «... ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون».

(٢) نقلت كلام سيبويه عن مخرج النون من سر صناعة الإعراب لابن جني (تحقيق: السقا وزملائه) ١/ ٥٢ لأنه نقل المخرج عن سيبويه، ولأن نشرة العلامة هارون من كتاب سيبويه تداخل فيها الكلام عن مخرج اللام والنون بعضه في بعض سهواً من الطابع.

(٣) هذا لازم لأن الذي يلي الحنك هو ظهر اللسان لا باطنه. ولم يقل أحد - ولا يقال - إن الذي يُعتمد به من اللسان على الحنك في نطق النون هو باطن طرفه.

(٤) الكتاب ٤٣٥/٤ . نفسه ٤٣٣/٤ .

(٥) الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٦) نفسه ٤٣٥/٤ . وكلمة تجافي أصلها تجافى.

ومعنى التجافي هنا مفارقةً ظهر اللسان لنقطة تماسه مع الحنك، ثم إنه يعود إلى المماسة بالمفارقة... وبهذه المفارقة المتكررة يمر نفس الراء وصوتها من فوق ظهر اللسان متقطعين. فالكلام عن انحراف الراء بعد ذلك كله غير دقيق. حتى لو كان لسيبويه. فاللام هي الحرف المنحرف الأشهر. ثم إن الضاد الفصحى تشارك اللام في هذه الصفة. بل إن الضاد أمكن من اللام فيها، لأن صوت اللام يمر بحافتى اللسان عند مقدمه فحسب، أما صوت الضاد فإنه يمر بحافتى اللسان أي جانبيه من أولهما عند أقصى اللسان إلى قرب طرفه. فالضاد الفصحى تتحقق فيها صفة الانحراف تمامًا. هذا، وما ذكرته عن أن اللام هي المنحرفة (دون الراء والنون) سبق به ابن الحاجب ونسب إلى أكثر المصنفين والقراء^(١)، وأرى أن عدم ذكر المتقدمين انحراف الضاد إنما هو لغموض أمرها.

بقيت نقطة أخيرة هنا، وهي أن الأوربيين نظروا إلى المرحلة الأخيرة من مسار اللام وهي مرور صوتها من جانبي اللسان، فوصفوها بأنها جانبيه Lateral. فإذا طبقنا تسميتهم صار عندنا حرفان جانبيان: أحدهما احتكاكي Fricative أي يمر هواؤه من مخرجه باحتكاك محسوس وهو الضاد، والآخر غير احتكاكي non-fricative وهو اللام.

التكرير:

هو إعادة الشيء مرة أو أكثر. والمراد به هنا ارتداد رأس اللسان عند النطق بالراء بحيث يلمس أعلى اللثة لمسات متوالية، وهو صفة لازمة لها - ولكن ينبغي التحرز من المبالغة فيها وبخاصة عندما تكون مشددة. وتأويل التكرير بأن المقصود به منع التكرير = باطل مركب^(١).

التفشي:

وهو الانتشار والانبثاث. والمراد هنا انتشار خروج هواء النفس - في نطق الشين - بين اللسان والحنك بسبب اتساع مقدم اللسان عند النطق بهذا الحرف. وقد نسبت صفة التفشي إلى حروف أخرى أيضا.

الاستطالة:

والمقصود هنا امتداد صوت الضاد معها من أول حافة اللسان إلى آخرها. وقد وصف سيبويه الشين أيضا بالاستطالة.

(١) ينظر ص ١٠٨ - ١٠٩ هنا، و(تحقيقات في التلقي والأداء)، د. محمد حسن جيل ٣٦ - ٣٧.

الخفاء:

والمراد به خفاء صوت الهاء، ووصف به قداماء اللغويين العرب حروف المد أيضا. أما خفاء الهاء فلا اجتماع صفات الضعف فيها. فهي مهموسة ورخوة مهتوتة - ولا يتيسر مد صوتها، وذلك لشدة اتساع ما بين الأوتار عند النطق بها - فيتدفق النفس عند إخراجها ولا يكون في طريقه مضيق يحتك به احتكاكا يُسمع له خفيف. ومن هنا فهي خفية لفقدائها الزمير والخفيف كليهما.

وقد قال عنها الخليل مرة «إنها مهموسة خفية لا صوت لها»، وقال مرة أخرى «إنما هي نَفَس لا اعتياص فيها»^(١)، وذكر سيبويه ما فيها من الضعف والخفاء.

ونضيف هنا أن الحاء تلي الهاء في صفة الخفاء. وأما خفاء حروف المد فهو وصف لها جاء في كلام القدماء نوحجه نحن باحتمال أنهم يقصدون به أن كلا منها صوت ممتد أملس ليس فيه ثنية حادة تكسبه ملمحا يميزه كسائر الحروف الأبجدية. فهي حروف جوفية وهوائية يجري صوتها بعد خروجه من الحنجرة (وهي رأس الرئة التي في الجوف) - في هواء جهاز النطق ليس لها حيز يضغط صوتها ضغطة تشكله وتميزه عن غيره. لكن التعبير عن هذا بالخفاء تعبير غير موفق بالمرّة، لأن حروف المد مجهورة ورخوة، وهي حروف التصويت أي رفع الصوت وهم يعلمون هذا. فقد ذكره سيبويه^(٢)، وسماها المبرد الحروف المصوتة^(٣). فكان عليهم أن يعبروا عما قصدوا بوصفها بالملاسة أو الطلاقة أو غيرها - لا بالخفاء الذي يوهم مضادة خصيصتها الأساسية وهي التصويت أي ارتفاع الصوت.

(١) ينظر العين (تحقيق: الخزومي) ٥٤/١ .

(٢) ذكر سيبويه في الكتاب (١٦٥/٤ - ١٦٦) أن العرب يأتون في النداء بالألف وفي الندبة بالألف والياء والواو لأنه موضع تصويت وتبيين، فأرادوا أن يمدوا فالزموها الهاء في الوقف لذلك (يعني هاء السكت). وذلك قولك يا غلاماه، روازيده، رواغلامهوه، رواذهاب غلامهيه. أي أن هاء الوقف يؤتى بها بعد حروف المد لتتمكن من أداء خصيصتها التي يقتضيها مقام النداء والندبة وهي التصويت.

(٣) في المقتضب للمبرد، ط ٣، ج ١/ ١٩٩ وصف حروف المد واللين: الألف والواو والياء بأنها المصوتة.

الأصوات اللغوية غير العربية ومخارجها وصفاتها

بعد أن عرفنا أن بين اللغات المختلفة قدرا عظيما من الاشتراك في الأصوات التي تستعملها، وأن مجلَّ الأصوات اللغوية العربية مستعملة أيضا في اللغات الأوربية - وسائر اللغات الأخرى، يحسن بنا - نحن المتخصصين - أن نكون دائما على بينة من دراسات الغربيين وبخاصة أحكامهم عن الحروف المشتركة بيننا وبينهم، فهذا حق العلم علينا.

ونظرة إلى المصنوفة (الجدول) التي عرَّضت فيها موسوعة تشميرز الأصوات العالمية تبين التقارب في تحديد المخارج، وفي الصفات، وإن كان هناك شيء من الاختلاف في النظرة وفي المصطلحات.

ففي تحديد المخارج نلاحظ أنهم نظروا إلى الحنك أي سقف الفم ونسبوا الحروف الحنكية اللسانية - التي تخرج من التقاء اللسان بالحنك أو اقترابه منه - إلى الحنك وحده، ولم يبرزوا بالقدر ذاته دور اللسان في تكوين الصوت - كما فعل علماء العرب. وفي الصفات نلاحظ أنهم عبروا عن صفة الشدة بالانفجار وسموا الحرف الشديد انفجاريا Plosive ناظرين إلى انفجار الهواء بعد أن يحتبس عند إسكان أي حرف من الحروف الشديدة، كما أنهم عبروا عن الرخاوة بالاحتكاك friction قاصدين أن الحرف الرخو يحتك نفسه بالمضيق الذي يخرج منه.

وأنهم لاحظوا الصفات الخاصة لبعض الأحرف والتي لحظناها نحن أيضا كالارتعاد في الرء، والانحراف في اللام ولكن عبروا بأنها جانبية أي من جانب اللسان لاظهره. هذا، وأما صفتا الجهر والهمس فمع أنهما لم يُذكرَا في المصنوفة فإنهم عرّفوهما والتقوا فيهما مع للدراسات العربية فسموا المجهور voiced أي مصوت، والمهموس غير مصوت.

وبالنسبة للأصوات ذاتها نلاحظ كثرة الأصوات المشتركة بين العربية وغيرها ب ت ج

د ر ز س ف ق ك ل م ن ه و ي والحركات الطويلة والقصيرة. (٢١ حرفا من ٣٤

حرفاً عربياً - هذا بخلاف ما له في الإنجليزية مثلاً رمزان معاً كالثاء والذال والشين والغين، وبخلاف ما ليس له فيها رمز خاص لكنه ينطق وهو الهمزة، وبخلاف الحروف الموجودة في المصفوفة ولها نظائر عربية فرعية كالجيم القاهرية G، والشامية J والصاد التي كالزاي وغيرهن).

كما نلاحظ تكرار بعض الرموز في أنهار المخارج مثل C Z M N V R وغيرها. وإنما ذلك لأن هذه الأصوات تنطق عند كثير من الشعوب لكن بمخارج منحرفة وصفات مختلفة إلى حدٍّ ما عنها في نطق شعوب أخرى.

ونلاحظ أيضاً خلط نهر الأصوات الحلقية pharyngeal من أي رمز أوروبي، وذلك لخلط اللغات الغربية من الحروف الحلقية. (وقد ذكرنا ذلك من قبل).

وبالمقارنة التفصيلية والفاحصة يتضح أن التحديدات العربية أكثر دقة، إذ لم تُغفل في تحديد المخارج في الحروف الحنكية اللسانية - مثلاً - دور اللسان ولا غيره في أداء أيٍّ منها، وليس اللسان بأقل خطراً من الحنك في إخراج هذه الأصوات، كما أن الصفات العربية أكثر تفصيلاً ودقة... ومن هنا فنحن نفضل التقسيم العربي، والاصطلاحات^(١) العربية في تحديد المخارج والصفات.

(١) انظر ما سبق أن تناولناه في وقفة مع المصطلحات ص ٤٩ هـ وانظر أيضاً المعالجة التفصيلية لكل من الحروف الأبجدية في ما يأتي حيث نعرض عادة لما قرره الأوروبيون عن مخارج الحروف المشتركة بين العربية والأوربيات.

ما يقابل الأبجدية العربية من الرموز الصوتية الدولية

ʔ	ع - العين	ʔ	- الهمزة المحقة مثل
ka	غ - الغين	b	ب - الباء
F	ف - الفاء	t	ت - التاء
q	ق - القاف	θ	ث - الثاء
l	ل - اللام المرققة	dz	ج - الجيم المقلنة
l	ل - اللام المنقمة	g	ج - الجيم القاعية
m	م - الميم	ʒ	ج - الجيم الشامية الرخوة
n	ن - النون	h	ح - الحاء
h	ه - الهاء	x	خ - الخاء
w	و - الواو الصامتة	d	د - الدال
yet, onion j	ي - الياء الصامتة	ʒ	ذ - الذال
gather θ	قمة رققة قصيرة	r	ر - الراء العربية
duck, come α	قمة منقمة (طالع)	R	بالنطق الفرنسي تحو "هوية"
bgt a	ألف مد مرققة كقلب	z	ز - الزاي
far a:	ألف مد منقمة طالع	s	س - السين
women i	كسرة . من	ʃ	ش - الشين
sheep i:	ياء مد	s	ص
book, could u	ضمة (حادة) / قن / يقبل	d	ض = ضمة الحسنة (قن منقمة)
rule, who u:	واو مد حادتي مرققة	t	ط = طاء الحسنة (تاء منقمة)
cock ʔ	ضمة منقمة	z	ظ = الظنق الحسنة (ز)
lown, caught ʔ:	واو مد منقمة	ʒ	منقمة = من مجهرة

تفصيل الكلام في الحروف

الحروف المزمارية

الهمزة: (١)

تخرج الهمزة من فتحة الزمار نفسها بعصر زمير الأوتار لحظة اتجاهاها للالتقاء وإغلاق تلك الفتحة، أو لحظة افتراقها بعد أن كانت مغلقة. والهمزة مجهورة وشديدة.

ولكل من هذه الأمور (= مخرجها، وهيئة خروجها المميزة لصوتها، واتصافها بالجهر، والشدة) حديث.

فأما عن مخرجها فقد قلنا إنه فتحة الزمار. وقد عرفنا أن الزمار هو الفتحة التي بين الوترين الصوتيين اللذين هما حافتا الغشاءين الصوتيين. وهذه الفتحة هي التي يتولد منها زمير الجهر بارتعاد وترئبها إذا كانا جِذَّ متقارين ومَرَّ هواء النفس من بينهما باندفاع قوي. وأما عن هيئة خروجها وتميز صوتها فإنها تخرج بعصر الزمير (أي ضغطه) عصرا مرتبطًا بإغلاق فتحة الزمار - أي قبيل إغلاقها مباشرة، أو لحظة انفتاحها بعد إغلاق؛ إذ لا يتم صوت الهمزة ولا يتميز إلا بأربعة أمور:

أ - وجود زمير. ب - عصر ذلك الزمير أي ضغطه.

ج - كون ذلك الزمير المعصور سابقًا أو تاليًا لإغلاق فتحة الزمار سبقًا أو تُلُوًّا مباشرًا، بأن يقع العصر السابق للإغلاق لحظة اتجاه الفتحة، وهي زامرة، إلى الانغلاق فالهمزة تتمثل في عصرة الزمير المؤدية إلى انغلاق الوترين، أو بأن يقع العصر التالي للانغلاق على بداية الزمير الصادر مع انفجار النفس من الفتحة حين تفتح بعد الانغلاق. فالهمزة تتمثل هنا في عصرة الزمير لحظة صدوره.

(١) كل كلاني هنا عن الهمزة اجتهد مبني على الخبرة.

د - والأمر الرابع المميز لصوت الهمزة هو قصره. وذلك القصر لازم للعصر المكوّن للهمزة، لأنه إما عصر ينقطع به الزمير - أي هو يؤدي إلى انغلاق فتحة الزمار وإيقاف الزمير - فاللحظة الأخيرة من الزمير في هذه الحالة هي الهمزة - والزمير الممتد قبل هذه اللحظة هو زمير جهر حركة سابقة للهمزة، أو زمير حرف مجهور سابق للهمزة، وإما عصر يبدأ به الزمير مع انفجار النفس لحظة الانفتاح فاللحظة الأولى من الزمير في هذه الحالة هي الهمزة، وأي امتداد له بعد لحظة بدئه هو حركة تالية للهمزة.

وهذا القصر ملحظ خاص بالهمزة، لأن الاستمرار في هيئة إخراج الحرف الرخو - مع استمرار دفع النفس - ممكن، وبه يستمر صدور صوته أو نفسه بقدر استمرار النفس (إز ز ز ... إلخ)، (إس س س...) والاستمرار في هيئة صدور الحرف الشديد ممكن بقدر تحمل حبس النفس، ولكن لا يستمر صدور صوته (إق....) ولا نفسه (إث....) - بل يكون هناك صمت كامل يستمر مع احتباس النفس. والهمز الصادر بعصر مؤدّ إلى انغلاق فتحة الزمار شأنه شأن الحرف الشديد يأتي بصمت ممتد فحسب. والاستمرار في هيئة صدورها حالة وقوعها مع انفجار النفس (أي وقوع عصر زميرها بعد إغلاق) يولد زميرًا ممتدًا لا يكون همزة بل يكون حركة قصيرة أو طويلة تالية لها، والحركة صوت مختلف عن صوت الهمزة. فالاستمرار على هيئة نطق الهمزة حيثذ يأتي بحرف مختلف.

ويتضح مما ذكرناه في (ج) و(ب) أن الهمزة لا بد أن ينقطع اتصال زميرها بما يجاوره من أحد الطرفين - طرف بدء الزمير أو طرف نهاية الزمير - فقط، أي لا يكون الانقطاع من الطرفين جميعًا. وهذا الانقطاع سببه إغلاق فتحة الزمار بالتقاء الوترين الصوتيين إما بعد أداء صوت الهمزة، وإما قبل بدء صوت الهمزة على ما ذكرنا الآن. ولكل من حالتي تكوّن الهمزة (حالة عصر الزمير عصرًا يؤدي إلى إغلاق الأوتار، وحالة عصر الزمير المنفجر مع النفس بعد أن كانت الأوتار مغلقة =) موطن يقع فيها.

فالهمزة التي تتكون بعصر الزمير المنفجر مع النفس هي:

أ - الهمزة المتحركة مطلقا مثل أخذ وسأل ومسألة ويوم ومسئول ومطمئن.

ب- كذلك الهمزة الساكنة للوقف إذا كانت مسبقة بهمس مثل: دفء، نشء، نساء، وهذا أخذاً بكلام الإمام مكى بن أبى طالب (٤٣٧هـ) بضرورة إظهارها حيثئذ^(١).
والهمزة التي تتكون بعصر مؤد إلى إغلاق الأوتار هي:

أ- الهمزة الساكنة لغير الوقف مثل الهمزة في كلمات رأس، وبقر، وسؤل.

ب- كذلك الهمزة الساكنة للوقف إذا كانت مسبقة بهجر حركة قصيرة كالملأ، أو طويلة كالسماء، أو ضامات مجهور كالزرة. وهذا الذي ذكرناه في (ب) هذه ترجيح أساسه أن الهمزة تكون متميزة عند الوقف عليها هنا. لكن كلام الإمام مكى بن أبى طالب يصدق على هذا كما يصدق على ما جاء في (ب) في الفقرة السابقة^(٢).

صفات الهمزة:

أما عن اتصاف الهمزة بالجهر فواضح مما سبق أنها قطعة جهر، حيث إن جسمها أو حقيقتها أنها زمير معصور قصير، والزمير هو عين الجهر. فالهمزة مجهورة.

وما احتجت به دراسات الغريين من أن الهمزة تحدث بإغلاق الوترين الصوتيين، ولأزمير معها حيثئذ، فإما أن توصف بأنها مهموسة وإما أن توصف بأنها لا مجهورة ولا مهموسة = هذه (الحجة) غير مقبولة، لأن الهمزة لا تتكون بنفس حالة انغلاق الأوتار بل تخرج بعصر زمير سابق للانغلاق أو مسبوق به - كما قلنا. أي أن حالة كون الوترين مغلقين ليست هي الهمزة ولا هي هيئة خروج الهمزة، بل ولا هيئة خروج أي صوت آخر.

وأما عن اتصافها بالشدة فإن ارتباط خروج الهمزة المحققة (وهي الأصل) بإغلاق فتحة الزمار إغلاقاً يمنع النفس مناً تاماً قبل نطقها أو بعده، بحيث لا تُنطق بغير مقارنة ذلك الإغلاق = ذلك يجعلنا نطمئن إلى وصفها بالشدة لأن الشدة لازمة لإخراجها. أما الهمزة المخففة بالتسهيل بين بين والهمزة المبدلة حرف مد فكل منهما رخوة، لأن زميرها يخرج والأوتار بينها فتحة ضيقة، لا يُسبق زميرها ولا يُلحق بإغلاق الأوتار

(١) ينظر كتابه «الرعاية» ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) ينظر الموضع السابق.

الصوتية فنفسها لا يقترب بحبس، فهي رخوة. ولا يخفي أن الهمزتين (ين بين والمبدلة) تفقدان أيضا خصيصة أخرى من خصائص الهمزة المحققة - بجانب فقدتهما صفة الشدة، هي خصيصة انقطاع زمير الهمزة من أحد طرفيه عما يليه. فالهمزة المسهلة بين وبين والمبدلة يتصل زميرهما بزمير ما يسبقهما ويلحقهما ما دام ليس هناك ما يفصلهما عنه. لكن همزة بين بين تظل موجودة و متميزة عن الزمير السابق واللاحق بدرجة من العنصر أقل من عنصر المحققة وذلك عند بداية أدائها. وبهذه الدرجة من العنصر يتميز زميرها عن زمير الحركة، وبعض المؤدّين لها لا يحسن تلك الدرجة من العنصر فيؤديها كالهاء - وهذا غلط، لكنه يثبت وجودها وتميزها. أما المبدلة فيحلّ بدلها محلها، والمخوفة لا يحل محلها شيء.

★ ★ ★

وبما سبق يتبين أن القول بأن دون جهر الهمزة استحالة مادية هو استنتاج مبني على التسليم بادعاء الأوربيين أن الهمزة تخرج بالتقاء الوترين الصوتيين - أي بتمام الالتقاء لا قبله ولا بعده. وقد قلنا إنه في أثناء حالة تمام الالتقاء هذه لا تخرج همزة ولا غير همزة. وقلنا إن الهمزة عصرة لزمير سابق لالتقاء الأوتار وانغلاق فتحة المزمار، أو مصاحب لانفجار النفس بعد الانغلاق. فالهمزة جسمها وحقيقتها زمير (أي جهر) معصور قصير.

★ ★ ★

وكذلك يتبين أن القول بأن همزة بين بين لا وجود لها، وإنما الموجود حركتها هو قول غير دقيق، بعضه مبني على التسليم بكلام الأوربيين السابق وكلامهم غير صحيح. فهمزة بين بين تتميز عن حركتها بغمز الزمير، غمزة أخف من غمزة المحققة (ولذا لا تؤدي إلى انغلاق فتحة المزمار، ولا تُشَبِّق بانغلاق) فهي زمير مغموز يتصل به زمير الحركة السابقة أو التالية له، وزمير الحركة سلس غير مغموز.

الألف = ألف المد

بعد أن فرغنا من الكلام عن الهمزة ننتقل إلى الكلام عن الألف.

والمقصود هنا ألف المد التي نسمعها في مثل قام ودعا وسعى.

الألف زمير ممتد يخرج بارتعاد وتَرى فتحة الزمار حين اندفاع الهواء من بينهما وهما جِدْ متقاربان - دون تدخل من اللسان أو الشفتين في أثناء ذلك الزمير. فألف المد أخت الهمزة تخرج من الوترين الصوتيين في الحنجرة، وكلاهما حقيقته زمير. لكن بينهما فروقا:

أ - فالهمزة زمير معصور والألف مجرد زمير سلس أي غير معصور.

ب - وزمير الهمزة المعصورة جِدْ قصير لا يمتد زمنه إلا بقدر امتداد زمن أي حرف صحيح (نحو ٠,٠٣ إلى ٠,٠٥ من الثانية) في حين أن زمير الألف يمتد بمقدار امتداد حركتين على الأقل (أي ٠,٣٢ من الثانية)^(١) وقد يزيد إلى مقدار ست حركات أو أكثر من ذلك كما سيأتى.

ج - الهمزة صلور زميرها له هيئتان: فقد تكون بعصر الزمير المنفجر مع الهواء من فتحة الزمار بعد أن كانت مغلقة، وقد تكون بعصر الزمير عصراً مؤدياً إلى انغلاق فتحة الزمار. فهي مرتبطة بإغلاق فتحة الزمار قبلها أو بعدها، وقد مرّ كل ذلك، في حين أن ألف المد زمير مطلق غير مقيد بهيئة معينة له أو لما قبله أو بعده: فقد تبدأ ألف المد بعد انفتاح واسع للوترين، كما إذا كان قبلها حرف مهموس مثل يشناق، أو انفتاح ضيق زامر - كما إذا كان قبلها حرف مجهور فيتصل زميرها بزميره مثل يُباع ويُراد، أو يكون زميرها امتداداً لزمير الهمزة مثل آمن، وقد يتلوها انفتاح واسع للوترين لأن ما بعدها مهموس مثل صافوا إخوانكم، أو انفتاح ضيق زامر كما إذا كان بعدها حرف مجهور مثل صاموا.

(١) تحديد طول المدّ حسب نتائج بحث علمي بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد ١٥ .

د - الهمزة مقيدة بانقطاع يميز إما بدء صوتها - وهي المتحركة، كما في نطق كلمة مسألة، وإما انتهاءه - وهي الساكنة مثل «سؤل». وقد سبق ذلك، والألف لا تنقيد بذلك - وهذا وذاك يؤخذان مما في (ج) وبهذا الانقطاع يتميز صوت الهمزة عما قد يسبقها أو يلحقها من زمير.

ه - والهمزة تقع في كل المواقع أول الكلمة مثل «أخذ»، ووسطها مثل «سأل»، وآخرها مثل «ملا». والألف لا تقع في أول الكلمة أبدًا (همزة الوصل ليست ألفًا إلا في الرسم. وهي في الصوت همزة فقط إن وقعت موقعًا تنطق فيه) فالألف تقع وسطًا مثل صام وآخرًا مثل زكا ورمى.

وجدير بالذكر هنا أن حقيقة حرفي المد الآخرين (واو المد وياء المد) وهي كحقيقة ألف المد: زمير ممدود. لكن ألف المد تميزت بأنها تخرج دون أن يتدخل اللسان أو الشفتان في صوتها. فاللسان يكون عند نطق الألف راقدًا في مهده بين الفكين السفليين دون ارتفاع يُذكر عن وضعه المعتاد، والشفتان تكونان في الوضع المعتاد المحايد. وقد نوه سيويه بذلك في كلامه عن الاختلاف بين الواو والياء من ناحية والألف من ناحية أخرى بسبب خفة الألف فقال «وإنما خَفَّتْ الألف هذه الخفة لأنه ليس منها علاج (= جهد) على اللسان والشفة، ولا تُحرَّك أبدًا. فلنما هي بمنزلة النفس»^(١).

لكن للسان والشفتين شأنًا آخر عند نطق الواو والياء المديتين. فعند نطق الواو يرتفع أقصى اللسان وتستدير الشفتان استدارة تامة، وعند نطق الياء يرتفع مقدم اللسان وتنفرج الشفتان انفرجًا تامًا. واستدارة الشفتين مع نطق الواو أقوى وأظهر وارتفاع مقدم اللسان مع نطق الياء أقوى وأظهر أيضًا. ومن هنا صبح أن يُنسب كلٌّ من حروف المد إلى أظهر ما يميزه: فالألف تُسبت إلى مصدر زميرها لأنه أبرز ملامحها ولعدم تدخل أي عضو آخر في خروجها، والياء نسبت إلى وسط مقدم اللسان، لأن ارتفاعه أظهر ما يضحِبُ نطقها، والواو تُسبت إلى الشفتين لأن استدارتهما أظهر ما يصحب نطقها. وهذا منهج

(١) الكتاب (٤/ ٣٣٥ - ٣٣٦).

عربي صحيح. وقد صرح سيويه بالملتصحين فقال: «لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك»^(١).

وخلاصة ما نريد أن نختم به الكلام في عزو الواو والياء إلى غير مخرج أختتهما الألف هو أن وضع سيويه ألف المد مع الهمزة والهاء في مخرج واحد هو الدقيق تمامًا. كما أن وضعه الياء مع حروف وسط مقدم اللسان والواو مع حروف الشفتين منهج عربي صحيح، ولا ينافي بجمع الأحرف الثلاثة عند الكلام عن المد أو عن الحركات الطويلة. لأن ثلاثتها تشترك في هذه الخصيصة. كذلك لا ينافي جمعها مع الهمزة عند الكلام عن انقلاب أحدها إلى آخر، لتمامها في المادة المكونة لحقيقة كل منها وهي الزمير الصادر بارتعاد الأوتار الصوتية - بالإضافة إلى ما يكون بينها من تقارب أو تشابه في أمور أخرى.

الهاء:

تخرج الهاء بانفراج الأوتار الصوتية انفراجًا كبيرًا أمام الهواء المتدفع من الرئة لأدائها، مع عدم تضايق أية نقطة في مجرى ذلك الهواء في الجهاز الصوتي حتى يخرج. بل ثبت بالملاحظة أن الحنك الرخو عند اللهاة وفوقها يتراجع إلى الخلف وإلى أعلى عند نطق الهاء تراجعًا قويًا واضحًا للحظة وجيزة، وذلك يساعد على إفراغ نفس الهاء بسرعة ويسر. ولهذا يمكن القول بأن أعلى الحلق يشترك جزئيًا في نطق الهاء. وهذا الاشتراك يوجه تأخير ترتيبها عن مخرج الهمزة والألف. ولكن نظرًا إلى أن انفراج وترني الحنجرة أمام هواء الهاء هو العامل المهم في تكوين صوتها - فإنها تعد حنجرية، وتقابل الهمزة التي يتكون صوتها مشتركًا تمامًا تلك الأوتار قبيل نطقها أو بعيدة. وقد أسلفنا أن قدماء اللغويين العرب قرروا أن الهاء مع الهمزة والألف «من أقصى الحلق»^(٢) والبحث يثبت أن أقصى الحلق يتحد عندهم مع موضع «صوت الصدر» أي موضع صدور زمير الجهر،

(١) السابق ٤٣٥/٤ - ٤٣٦ .

(٢) ينظر الزهر (تحقيق: جاد المولى ورفاقه) ٩٠/١ والكتاب ١٠٢/٤ ، ٤٣١ ، وسر صناعة الإعراب

(د. هندأوى) ٤٦/١ .

وهو فتحة الزمار في الحنجرة. أي أنه يمكننا أن نقول إنها عند قدماء اللغويين العرب أيضًا حنجرية. وقد صرح بذلك ابن سينا حيث قال - بعد أن ذكر حدوث الهمزة من حُضر الغضاريف الهرمية (في الحنجرة) للهواء الذي يحفره الصدر «وأما الهاء فإنها تحدث من مثل ذلك الجَفْز في الكَتم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسًا تامًا، بل تفعله حافات المخرج (يعني فتحة الزمار)، وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يماس حافته بالسواء غير مائل إلى الوَسْطَة»^(١).

هذا، وقد وضعت موسوعتا المعارف: البريطانية وتشمبزر الصوت اللغوي (h) - المائل للهاء العربية - في نهر الحروف الزمارية (الخنجرية) glottal^(٢).

ويندفع نَفْسُها من الرئة حتى الأوتار التي تنفجر فلا تهتر فلا يصدر زمير، واهتزاز عمود الهواء في الحنجرة والحلق في نطقها ضعيف، وهذا هو سرّ خفاء (جزسها). ويرز جزس الهاء بمساعدة الاختلاف بينه وبين ما يسبقه وما يليه من الحروف.

وقد وصف الخليل الهاء بأنها «نَفَسٌ لا اعتياض فيها» وبأنها «خفية لا صوت لها» ووصفها سيوييه بأنها حرف مهتوت لما فيها من الضعف والخفاء^(٣) والهاء الصب بضبط وقوة. ذلك أن النَفَس يتدفق في خروج الهاء بقوة وانصباب فلا يُستطاع الاستمرار طويلًا في نطقها ساكنة. والسر في ذلك هو سعة انفراج الأوتار أمام نَفْسها، وامتداد اتساع الحلق بتراجع اللهاة - على ما أسلفنا.

والهاء رخوة (ولعلها أكثر الحروف رخاوة) وهي مهموسة ويرى بعض اللغويين المحدثين^(٤) أنها تكون مجهورة في بعض الأحوال. ولعلمهم يقصدون حالة سبقها بحرف

(١) أسباب حدوث الحروف (محب الدين الخطيب) ص ٩، وليس هناك أي حبس للهواء مع نطق الهاء، ولا أساس يُذكر بحاقتي الغشائين الصوتيتين. (٢) انظر الجدول المأخوذ عنهما ص ٧٢ هنا.

(٣) كلمة الخليل الأولى في مقدمة العين وكلمته الثانية في الزهر ٩٠/١ وكلمة سيوييه في اللسان (هتت) والهاء ضُغَط الشيء أو دفعه بشدة حتى ينهار أو يتسبب جرمه. فوصف الخليل الهمزة بأنها مهتوتة يعني الضغط والمصر في إخراجها إلا أن يُرْفَع عنها فتخفف أو تَبْذَل أَلْفًا أو هاء. وقول سيوييه في وصف الهاء بأنها مهتوتة يعني به ضعف جرسها وخفائها أَعْلًا من التسبب والانهايار في معنى كلمة الهاء.

(٤) د. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٩٠، د. عبد الرحمن أيوب أصوات اللغة ٢١٧.

أو حركة مجهورين. ولكن ذلك ليس خاصًا بالهاء. فالأصوات كثيرًا ما تتأثر بما يجاورها. والهاء من الحروف المصمتة أي ليست من حروف الذلاقة، كما أنها لا شأن يذكر للسان بها، لكنها تحسب مع الحروف المستقلة والمنفتحة.

خاصة لهذه المجموعة:

لعله وضح مما سبق أن الأحرف الثلاثة: الهزة والألف والهاء تحدث صفة الشدة أو الرخاوة لكل منهن في نفس موضع حدوث الجهر أو الهمس، وبذا يكون موضع خروجهن هو نفس موضع اتصاف كل منهن بالجهر أو الهمس وبالشدة أو الرخاوة. وهذا أمر خاص بهذه المجموعة. فإن ما عداهن من الحروف لا يحدث في نفس موضع خروجها (مخرجها) إلا الشدة أو الرخاوة. أما الجهر أو الهمس فموضعها للحروف كلها ثابت وهو فتحة الزمار.

تطبيقات:

(أ) في الإبدال واللهجات:

ولاشترك الهاء مع الهزمة في مخرج واحد - مع سهولة الهاء - كثر وقوع الإبدال بينهما^(١). كما في «أَرْزَقْتُ المَاءَ وَهَرَقْتُهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ وَهِيَّاكَ، وَالْإِثْرِيَّةَ وَالْهَيْثَرِيَّةَ: القشر الذي في أصول الشعر».. إلخ.

ووقع في لهجة طحّاء إبدال الهزمة هاء في بعض المواضع فيقولون هَنْ فَعَلْتُ كَذَا (يقصدون: أَنَا فَعَلْتُ) ومنه قول الشاعر:

أَلَا يَأْسُنَا بَرْزُقٍ عَلَى قُلُلِ الْحِمَى لَهَيْئِكَ مِنْ بَرْزُقٍ عَلَى كَرِيمٍ^(٢)

(يعنى: إنك لبَرْزُقٍ كريمٍ على، لأنك تشطع على أعالي ديار المحبوبة فتريينها قَبِيلَ شوقى).

(ب) بين الفصحى والعامية:

الهزمة والهاء:

- يقال نَجَاهُ يَنْجُوهُ: أصابه بالعين (يعني حسده) وكذلك ائْتَجَاهُ وَتَنْجَاهُ. وهو رجل

(١) أورد ابن السكيت في كتابه ص ٢٥ خمس عشرة كلمة وقع فيها الإبدال بين الهزمة والهاء.

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ص ٨٤.

نَجْوُ العَيْنِ أَي خَبِيثُهَا وَشَدِيدُ الإِصَابَةِ بِهَا.
وَالْعَامَّةُ تَنْطِقُ هَمْزَةَ هَاءَ: «فَيَقُولُونَ نَجَّهَهُ أَي حَسَدَهُ، وَالْوَلَدُ انْتَجَهَهُ أَي
أَصَابَتْهُ عَيْنُهُ».

- كَذَلِكَ يُقَالُ فِي الْفَصْحَى أَعْجَ بِمَعْنَى عَجَلًا وَأَسْرَعَ. وَالْعَامَّةُ تَقُولُ هَجَجَ فَيَدُلُّونَ الْهَمْزَةَ هَاءَ.
- أُبْدِلَتِ الْهَمْزَةُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هَاءٌ لِلتَّخْفِيفِ. وَيَسْتَرِ ذَلِكَ اشْتِرَاكُهُمَا فِي الْمَخْرَجِ
(تَجَانُسٍ).



حرفا وسط الحلق

العين والحاء: وتخرجان من وسط الحلق. والعين أعمق كما لاحظنا ذلك بالذوق^(١)، لأن منطقة انزلاق صوتها وتكونه أعمق وأدخل من منطقة احتكاك الهواء في الحلق لإخراج صوت الحاء. وجمهور القدماء والمحدثين من علماء الأصوات على أن العين أعمق^(٢) ولم يخالف. عن ذلك إلا قليل منهم^(٣).

وقد وصف ابن سينا خروج العين وصفا أثبتته الملاحظة المتكررة فقال: «وأما العين فيعملها حفز الهواء... إلى فوق ليردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أن يكون هذا الحفز خاصاً بجانب»^(٤) أقول وهذه الرطوبة تحدث بسبب تجمع هنات لحمية رخوة (الزائدة اللسانية وما حولها من جذع اللسان، وربما هنات أخرى في قاع الحلق..) في موضع تكوّن صوت العين.

وللنطق بالعين يندفع النفس من الرئة فيضيق الوتران أمامه فيحتك بهما في مروره فيهتزان ويصدر زمير الجهر ثم يستمر الصوت (النفس + زمير الجهر) حتى يصادف الحاجز الرخو فلا يقوى لرطوبته على منع الصوت فينفذ الصوت من أثناؤه. ويكسبه مروره من ذلك المنفذ الرطب نصوعاً نحسّه مع سماعنا صوت العين^(٥). وقد أكد الخليل

(١) بتجربة ذوق الحروف مع استعمال المرآة.

(٢) انظر الإشارة المفصلة إليهم وإلى كتبهم في التعليق على مخرج الهمزة والهاء. وأما دائرتا المعارف المشار إليهما قبلاً فقد وضعتا رمزيهما ؟ = ع، h = ح في نهر الأصوات الحلقية Pharyngeal مشتركين في صفة الاحتكاك Friction ولم تشيرا إلى ترتيب بينهما من حيث العمق.

(٣) منهم للمهدوي (٤٣٠هـ)، وشريح (٥٣٧هـ) وأبو حيان (٧٤٥هـ) (نهاية القول المفيد ٣٤) وهناك رأي بأنهما من موضع واحد (المرجع السابق) وعليه بعض المحدثين (د. أنيس ٨٩، د. أيوب ٢٦، ود. تمام حسان: العربية معناها ومبناها ٧٩).

(٤) أسباب حدوث الحروف ٩.

(٥) هذا التعليل لنصوع العين رأياً. وقد قال ابن سينا في وصف خروج العين. «وإرسال الهواء إلى فوق ليردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها (رسالة أسباب حدوث الحروف ٩). وكان ينبغي أن يقول (الصوت) بدلاً من (الهواء) وقد قال الراغب في المفردات (تدى) ما يؤخذ منه صحة رأينا.

صفة نصوع العين هذه حيث وصفها بالطلاقة وضخامة الجرس^(١) ولعل قوله: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين»^(٢) يشير إلى تميز الحاء بالجفاف وأن العين بضد ذلك رطبة. وكانت عبارة الأزهرى أقوى «أما العين فأنصع الحروف جزئاً وألذها سماعاً»^(٣) وعبارة ابن جني «لنصاعة العين ولذاذة مُسْتَمِعِهَا»^(٤).

والعين صوت مجهور. وغدّت متوسطة بين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل نَفْسِهَا بالهينات اللحمية الرخوة، وقد أثّرنا وصفها بالرخاوة لمرور النفس رغم ذلك بسبب رخاوة السد، وهي مستغلة، منفتحة. وقد وُصِفَت بالإصمات، ولكن إصاعتها للألفاظ الرباعية الخالية من حروف الذلاقة^(٥) على ما قال الخليل - يُحَقِّق وصفها بدرجة من الخفة.

تطبيقات

العلاقة بين العين والهمزة:

ولقرب مخرج العين من مخرج الهمزة، ثم لاقتران حدوث كل منهما بانسداد في عمق الجهاز الصوتي (انسداداً قوياً يحبس الهواء مع الهمزة تالياً لها أو سابقاً، وانسداداً في أجزاء رخوة لا تستطيع حبس الهواء مع العين)، ولاشتراك العين مع الهمزة في الجهر، وموازة نصوع صوت العين لصوت الهمزة المحققة في القوة... لكل ذلك كثر وقوع الإبدال بين العين والهمزة^(٦) يقال آذَيْتُهُ على كذا وكذا، وأَعْدَيْتُهُ: أي قَوَيْتُهُ، ويقال كَتَأَ اللبن وكَتَعَ إذا علا دسُّهُ وخشورثُهُ على رأسه في الإناء.

(١) قال الخليل «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حشنتاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً. فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما العين ٦٠/١. ورواية تهذيب اللغة ٤٥/١ «لأنهما أطلق الحروف. أما العين فأنصع الحروف جرساً وألذها سماعاً، وأما القاف فأصحبها جرساً. فإذا اجتمعا...».

(٢) العين ٦٤/١ تأليف الحروف.

(٣) لسان العرب - أول باب العين.

(٤) سر صناعة الإعراب ٧٥/١.

(٥) كما سيأتي في الكلام على تأليف الحروف. وانظر التعليق رقم ١ بهاليه.

(٦) أورد ابن السكيت في كتابه القلب والإبدال ص ٢٢ عشرين كلمة وقع فيها الإبدال بين الهمزة والعين.

وتميم ومن جاورهم من قيس وأسد يدلون الهمزة المفتوحة عينا إذ وقعت أول كلمة - كقول جرّان العوّد:

فما أبْرَنَ حتى قُلْنُ ياليت عَتْنَا تراث، وعن الأرض بالناس تُخَسَف

[الطويل]

وقول الآخر:

أَعْنُ تَرَسُفَت من خَوْقَاءَ مَنَزِلَةً ماء الصَّبَاةِ مِنْ عَيْتِكَ مَشْجُومٌ^(١)

[البسيط]

(خرقاء: اسم المحبوبة. يسأل سؤال تعجب أو تأنيب: أُنشفخ دموع الشوق بهذا التابع والغزارة بسبب أنك تبيئت رسوم منزل خرقاء).

بين الفصحى والعامية:

الهمزة والعين:

- يقال في الفصحى «فَقَّا عينه» فتنطقها العامة (فَقَم) يدلون الهمزة عينا. وفي الفصحى جَار بمعنى صاح تنطقها العامة جَقَر، وتلكأ ينطقونها تَلْكَع، وأهل الصعيد يقولون فلان سَعَل عليك. ويقولون لع يقصدون لأ. والأَكَّة: الشديدة من شدائد الدهر والعامة تنطقها عَكَّة.

- رجل زَأْبِل أي قصير. والعامة تصف صغير الحجم بأنه زَغْبِل، زَغْبَلَه بضبوط مختلفة.

- أبدلت الهمزة في كل هذه الكلمات عينا للتخفيف، ويسر ذلك تجاور (تقارب)

مخرجيهما.

وفي التعريب قيل إن كلمتي «الغربان» و «العُزْبون» معربتان عن الأربان والأربون الأعجميتين^(٢) - قلبت العرب الهمزة عينا^(٣).

والفُرْس - كالأوربيين - ينطقون العين همزة.

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ٨١ .

(٢) العربون بالضم وبالتحريك أيضا. وانظر المعرب للجواليقي ٦٧ واللسان (عرب).

(٣) «القطوف واللباب» مختارات من الأدب الفارسي: حامد عبد القادر ٨/١ .

أما بين العين والهاء فلم تورد كتب الإبدال كلمات وقع فيها الإبدال بينهما^(١) بالرغم من تجاوز مخرجيهما، وذلك للاختلاف الشديد بين جرسيهما؛ إذ الهاء أخفي الحروف والعين أنصتها. والتقابل بين هيتي خروج كل منهما، وبين صفات كل منهما واضح من مراجعة حديثهما^(٢).

الحاء:

وأما الحاء فإنها تخرج باحتكاك الهواء بجدران الحلق، وبخاصة في أعلاه دون اللهاة وحولها، ويلحظ تراجع الحنك الرخو - عند إخراجها - إلى الخلف وإلى أعلى مقاً، بحيث يمثل امتداداً حقيقياً للحلق - كما يحدث مع الهاء، ولكن هذا التراجع يستمر مع الحاء أكثر مما مع الهاء. وهذه الصورة لنطق الحاء تبين أن مخرجها من أطول المخارج وأكثرها فراغاً أو اتساعاً أيضاً (ولا يضارعهما في ذلك إلا الهاء. ولكن خفاء الهاء - لعدم احتكاك هوائها بجدران الحلق - يقلل من الإحساس باتساع مخرجها وامتداده). هذا، ومخرج الحاء (وسط الحلق) تشترك معها فيه الهاء على ما وصفناه، والعين أعمق منها فيه، ومخرج الحاء من أقصى اللسان والحنك مجاور لأعلى الحلق أي أدناه من القم. وهذا يفسر اختلاط كل منهن بالحاء في نطق الأعاجم.

والحاء حرف مهموس منفتح مستقل مصمت. وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين فيمر بين الوترين غير زامر لانفراج ما بينهما، ويتراجع الحنك الرخو بحيث تستقيم قناة الحلق ويستوى باطنها فيحتك الهواء بجدرانه احتكاكاً نسمع منه جرس الحاء. ويمكن إثبات هذا الاحتكاك بإحداثه - عند نطق الهاء - بالضغط من باطن العنق على العظم اللامي فنسمع جرس الحاء. وذلك الاحتكاك هو الذي يميز جرس الحاء بالبيحة. قال الخليل: (ولولا بيحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين)^(٣).

(١) لم يرد في كتاب «القلب والإبدال» لابن السكيت، و«المزهر» للسيوطي إبدال بين العين والهاء.
(٢) انظر ما سبق. والمقابلة بين خروج الهاء بأوسع انفتاح وخروج العين انزلاقاً بين تجمع رخو يسدّ السبيل، وبين همس الهاء وجهر العين، ورخاوة الهاء رخاوة كاملة، وقرب العين من الشدة.
(٣) العين، ٦٤/١.

تطبيقات:

بين الحاء والهاء:

- أ- كثر وقوع الإبدال بين الحاء والهاء^(١) لاشتراكهما في المخرج وفي الصفات - ما عدا ما تمتاز به الهاء من الخفاء والحاء من الاحتكاك مثل مَدَحُهُ وَمَدَحَهُ، وَسَقَطَ من السطح فتكُدَح، وتَكْدَةُ. وَحَبَشَ له أشياء وَهَبَشَ له أي جمع.
- ب- ووقع الإدغام بين الحاء والهاء في نحو لا تكره حسناً (تنطق لا تكرر حسناً) ولكن البيان أحسن.

بين الفصحى والعامية:

في الفصحى أطَّحَرَ الخائن قُلُقَةً الصبي: استأصلها. قلبت العامة حاءها هاء لتقارب مخرجيهما فقالوا طَاحَرَه والولد اطاھر.

وفي النقل أو التعريب بين العربية وغيرها يقع بينهما الإبدال أيضاً. جاء في المعرَّب للجواليقي أن الحبس تسميه النبيط هُرزوقاً، والعرب تقول منه حَزَزْتُهُ، وأن الحَزْدَى من القصب نبطي تقول له العامة هُرْدَى^(٢). وأكثر الأوربيين الآن ينطقون أهد بدلاً من أحمد.

بين الحاء والعين:

- أ- بالرغم من اشتراكهما في المخرج كما رأينا إلا أنه قل الإبدال بينهما^(٣)، لقلة الشبه بين جَزَسِيَّهما، فالعين ناصعة، والحاء بَحَاء. ومثال الإبدال (لا وعهد الله) ولا وَعَهد الله^(٤).

(١) وقع الإبدال بينهما في كتاب ابن السكيت في ١٥ كلمة.

(٢) انظر المعرَّب للجواليقي ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) وقع منه في القلب والإبدال لابن السكيت ٦ كلمات بعضها قابل للنقض.

(٤) السابق ص ٣٤ .

وفي اللهجات نجد أن قبيلة هذيل تشيع فيها الفصحفة وهي قلب الحاء عيئًا. ومن ذلك قراءة ابن مسعود (عَتَى حين) أي ﴿حَتَّى حين﴾^(١).

ج- ووقع الإدغام بين الحاء والعين مثل (اطرح عنك الهموم)، (اتبع حامدًا)، والبيان في الأولى أحسن، وفي الأخير حسن.

بين الفصحى والعامية؛

العين والحاء:

أ- في الفصحى القَنْزُع والقَنْزُعة: الريش المجتمع في رأس الديك، وكذلك خصلة الشعر التي تكون وحدها في أعلى الرأس ممتدة إلى أعلى - أخذت العامة منها القَنْزُعة فأبدلوا العين حاء، وأخذوا من معناها الارتفاع والظهور فوصفوا بها السلوك والتصرف المقصود به الظهور بين الآخرين دون أهلية لذلك الظهور..

ب- وفي الفصحى بَغَثَر الشيء: فَرَقَه. وفي القرآن الكريم: ﴿وَبَغِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ والعامة تقول هو بَحْثَر الحب والفلوس، ويقولون فلان يَحْثَل (يزفر زفيرًا شديدًا من ثقل حِثَل أو مشي) وأصلها يَحْثَل. والعامة تقول كَحْكَ وهي عن المعربة كعك^(٢).

- وفي الفصحى: الحِفْتُ: الكَرِشُ (الكلمتان بوزن كَيْف) والعامة ينطقونها العَفْشَة يدلون الحاء عيئًا للتجانس في المخرج - كما يدلون الثاء شيئًا لتقارب المخرج مع تشابه جرس الصوتين.

وفي الفصحى التَحْتَحَة: الحركة وهو لا يَتَحْتَح من مكانه والعامة تبدل الحاء عيئًا لتجانس مخرجيهما فيقولون تَتَع في الماضي، وفي الأمر اتَفَتَع بمعنى تحرك.



(١) هي لهجة هذلية - ينظر لهجات العرب لتيومور ١٣٣ .

(٢) وانظر المغرب للجواليقي ٣٤٥ .

حروف أصل اللهاة

(- الحنك اللين - الطبق) وأقصى اللسان

الحاء والغين والقاف الفصحى. ومن قَصَوِيَّات يخرجن بارتفاع أعلى جذع اللسان (وهو أقصى اللسان) إلى أصل اللهاة، حتى يحتك به أو يعتمد عليه. (ونقصد بأصل اللهاة الحنك اللين الذي يرتخي امتداده الداخلي حتى تتدلى منه اللهاة. والحنك اللين هو الذي يسميه المحدثون الطبق، فيقال لهذه الحروف لهوية أو طبقية أيضًا.

وتحديد مخرجهن هكذا هو قولنا بناء على تذوق الغين والحاء خاصة، لأنهما موضع الخلاف. وبهذا قال جمهور المحدثين أيضًا. وقد سبق إلى القول بهذا من القدماء ابن سينا (٤٢٨هـ) والقاضي علي بن مسعود بن الفرخان صاحب المستوفي في النحو، وشرح الرعيني (٥٣٨هـ) والخفاجي (٤٦٦هـ). وقد أغفلوا - عدا الخفاجي - دور أقصى اللسان في نطقهن. والتحديد المذكور قد يفهم من كلام ابن جني عن مخرج الغين والحاء^(١). أما القاف فقد فصل مخرجها وأخره عن مخرج الغين والحاء. فاستدراك المحدثين بالنسبة لمخرج الغين والحاء لا يتسحب على كل اللغويين العرب القدماء، بل على سبويه ومن قلده في تحديد مخرج الغين والحاء.

(١) ابن سينا في رسالة (أسباب حدوث الحروف) جمل الحاء والقاف بين اللهاة والحنك والغين أخرج منهن يسيرا أي أقرب إلى جهة خارج الفم. وعلي بن مسعود قاربه (في المستوفي ٥٨٨/٢). وعبارة شرح أن القاف من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الحاء منه (ارتشاف الضرب لأبي حيان (تحقيق: النحاس) ٦/١، ولم يذكر قول شريح عن الغين. وعبارة ابن جني في سر الصناعة (تحقيق: السقار...) ٥٢/١. (ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والحاء، ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف) ويلحظ إضافته (أول الفم) أي أوله من الداخل الذي جانباه أصل اللهاة من أعلى وأقصى اللسان من أسفل. وعبارة ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة (تحقيق: الشيخ عبد المتعال الصعيدي) ٢٢ كعبارة ابن جني تقريبًا.

الحاء:

فالحاء يمر لها الهواء بين الوترين الصوتيين غير زامر - لاتساع ما بينهما - حتى إذا وصل إلى أعلى الحلق لينفذ إلى الفم من بين أصل اللهاة واللسان = ارتفع أقصى اللسان وتراجع حتى يكاد يماس أصل اللهاة، فكلما كادت الرطوبة تحبس الهواء الخارج زوحت وقُسرَت إلى خارج ذلك الموضع بقوة^(١) والاحتكاك في تلك المزاخمة والقسر هو الذي نسمع صداه خاء.

والحاء حرف مهموس رخو مستعلٍ منفتح مصمت.

تطبيق :

بين الحاء والحاء:

ولتجاور الحاء والحاء، وخروج كل منهما باحتكاك دون منطقة اللهاة أو حولها، واشتراكهما في الهمس والرخاوة:

وقع الإبدال بينهما بصورة متوسطة^(٢) ربما لئلا يشر التخفيف الذي يأتي به ذلك الإبدال - نحو حَمَص الجُرْح وَحَمَص: ذهب وَزَمَه، وَكَزَمَ وَكَزَمَخ: حتى ظهره. ولذلك التجاور والتشابه في هيئة الخروج يدل غير العرب - كاليونانيين - الحاء خاء. وقال العلماء إن الحُب الذي يُجعل فيه الماء معرب عن الفارسية حُنْب، قَلَبَت العرب الحاء حاء وحذفت النون^(٣).



الفين :

والفين تخرج بنفس الهيئة التي تخرج بها الحاء إلا أن الهواء يخرج لها من بين الوترين زامراً لتضايق ما بينهما. ويقول ابن سينا^(٤) وتصدقه التجربة فإن حركة دفع الرطوبة بين

(١) ينظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا ١٠ .

(٢) أورد ابن السكيت في كتابه ص ٣٠ . (١٢ كلمة) وقع فيها الإبدال بينهما.

(٣) المعرب للجواليقي (تحقيق عبد الرحيم) ٢٦٧ .

(٤) أسباب حدوث الحروف.

جذع اللسان^(١) واللهاة - أيسر في الغين عما في الخاء، يعني أن الاحتكاك في نطق الخاء أقوى منه في نطق الغين ووقفه أخشن أو أجف - وهذا ملحظ صحيح. فإن جهر الغين يطنى على خشونة الاحتكاك. كما يقول إن مخرج الغين أخرج يسيرًا من مخرج الخاء. والذي يبدو لنا أن الصواب عكس ذلك.

والغين حرف مجهور رخو مستعل منفتح مصمت.

تطبيقات:

ولاشترك الغين أو مجاورتها للخاء في المخرج، واتفاقهما في ما عدا الجهر والهمس من الصفات.

أ- وقع الإبدال بينهما إلا أنه قليل^(٢)، وهذا غريب ولعل السبب أنهما متوازنتان: فجهر الغين يوازيه ارتفاع صدى احتكاك الخاء، وهما من موضع واحد حقيقة أو تقريبًا - فلم يكن في إبدال إحداهما بالأخرى تخفيف في النطق، فلم يكثر ذلك. ومثاله زَعَرْتُ دجلة وزَعَرْتُ: جاءت بالماء الكثير، ويقال: أغْنِ من ثوبك واخْنِ من ثوبك (أي أثنيه في يدك حتى لا يتدلّى على الأرض). ولذلك التجاور والاشتراك بينهما تلتبس إحداهما بالأخرى على غير العرب.

ومما يجدر ذكره هنا أن كثيرًا من الفتيات أو النساء العربيات يتعمدن إبدال الراء في نطقهن غينا، يتوهمن أن ذلك يكسب نطقهن طرافة، والحقيقة أنه يجعلهن موضع سخرية، ويفسد نطق من يتولين تربيته من الناشئة.

ب- كما وقع الإدغام بينهما - وإن كان البيان أحسن - في مثل بَلَّغْ خالداً (بَلِّغْ خالداً) وليرسَخْ غرسك (ليزسَخْ غرسك)^(٣).



(١) أعلى اللسان هو أقصى اللسان.

(٢) وقع الإبدال بينهما في ٤ كلمات في القلب والإبدال لابن السكيت ٣٢ .

(٣) انظر الكتاب ٤٥١/٤ .

أما القاف فهي أنواع: الفصحى، والحديثة، والسودانية التي تشبه الغين، والريفية^(١) (البدوية) المعقودة.

فالقاف الحديثة هي التي تُشتمع من القراء والمتعلمين في مصر وفي أقطار أخرى في هذا العصر^(٢). وهي تخرج بالتقاء أقصى اللسان بأصل اللهاة. وهي شديدة مهموسة مستعلية مفتحة مصمتة.

والقاف السودانية تسمع في نطق إخواننا السودانيين كالغين وهي تخرج باقتراب أقصى اللسان من أصل اللهاة. وهي مجهورة مستعلية، وتبدو رغوّة. (ثم هي مفتحة مصمتة كسائرهن).

والقاف الريفية البدوية (المعقودة) ويسمونها ابن الجزري الكاف الصماء (هي التي تسمع في نطق الريفيين والبذور كالجيم القاهرية) وهي تخرج بالتقاء الثلث الأدخل من اللسان (أي في نقطة أخرج من أقصاه) بما فوقه من الحنك اللين التقاء محكمًا، وهي شديدة مجهورة مستقلة.

وأما القاف الفصحى فتخرج بالتقاء أقصى اللسان (والمقصود أعلى جذعه) بأصل اللهاة - التقاء محكمًا يحبس النفس.. أي أنها تخرج من مخرج الخاء والغين - إلا أنها شديدة. وهذا التحديد لمخرج القاف الفصحى من حيث كون أصل اللهاة هو ملتقى

(١) عد محققو سر الصناعة (٥٧/١): «من الحروف المستقبحة حرقًا بين الجيم والكاف (هو القاف الريفية هذه) وقرروا أنه ينطق به بدل الكاف في لغة اليمن فيقولون في كافر كافر بجيم كافية، وبدل الجيم في لغة البحرين فيقولون كمل بجيم كافية، وبدل القاف في لغة أهل البوادي فيقولون في قعد: كعد مع تفخيم الجيم الكافية» اهـ. بتصرف يسير. وأصل بعض هذا في الجمهرة (بعلبكي) ٤٢/١ والصاحبي ٣٦.

(٢) في علم. الأصوات د. كمال بشر ١٢٨ أن القبائل الملاحية والحميرية في منطقة مشتركة بين اليمن الجنوبية والشمالية تنطق القاف الحديثة المهموسة وينطقون الجيم قاهرية أي كافية. أقول وهذه القاف ما زالت مستعملة في كلام أهل البرلس وأهل رشيد.

أقصى اللسان بها صرح به الخليل^(١)، وابن سينا^(٢) وابن يعيش^(٣)، وشريح^(٤).. لكنهم عبروا «باللهاء». وعلل ابن جني لكسر النون في (نقيذ) ونحوه إبتاعًا لكسر القاف - رغم أن هذا الإبتاع خاص عندهم بما كان حلقي العين نحو شعير ورغيف - بأن القاف قريبة من الحاء والتين، وتقبل أبو علي الفارسي تعليل ابن جني هذا ووافقه عليه^(٥). وقد عرفنا أن المحدثين أيضًا عدوا القاف لهوية. والملاحظة والذوق المتكرر يؤيد هذا الذي قدمناه. فنحن نرى أن عبارة سيويه - ومن تبعه - في تحديد مخرج القاف بأنه «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى» يمكن أن تفهم عبارة (أقصى اللسان) فيها أنها أقصى نقطة داخلية في اللسان الراقد، وهي عيئها أعلى جذعه، وعبارة (وما فوقه من الحنك الأعلى) أنها أول نهاية الحنك الأعلى من الداخل، وهي بعينها منطقة أصل اللهاة. وبذلك تلتقى التحديدات.

وهذه القاف شديدة مجهورة مستعلية مفتحة. وجزس صوتها يشبه جزس القاف الريفية البدوية المعقودة (التي تخرج من قرب وسط اللسان). وهذا الشبه هو الذي جعل البدو والقرشين يظنون أن المعقودة التي ينطقونها هي الفصحى، كما أنه هو الذي سوغ للسودانيين نطقهم بإهاها كالغين، لأن جزس نطقهم يشبه جزس نطق الفصحى أيضًا لكن قافهم رخوة.. وقد هُذيت إلى نطق القاف الفصحى قَصْوة شديدة مستعلية مجهورة حسب ما وصفها القدماء وأمارسه وأعلّمه لقنائي (= تلاميذي)، ويتوفر فيها بهذا النطق كل ما قاله الأقدمون - ولله الحمد والمنة.

(١) قال الخليل في العين ٥٨/١ «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عَكَّة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم، غُتِي بالمكة أول اللسان، أي أقصاه، ولم يرتب الحروف. ووضَّح الجيم مع حروف اللهاة وعكدة اللسان تجاوز. وقال في ٦٤ «ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع». يقصد أن مخرج الكاف بعد مخرج القاف إلى جهة خارج الفم.

(٢) قال في أسباب حدوث الحروف «والقاف تحدث حيث تحدث الحاء ولكن بحبس تام» يعني أنها شديدة - وكلامه صواب في تحديد المخرج والوصف بالشدة.

(٣) شرح المفصل (١٢٤/١٠).

(٤) لرتشاف الضرب (٦/١).

(٥) الخصائص لابن جني (٣٦٥/١).

ولنطق هذه القاف يندفع الهواء من بين الوترين زامرا - لتضابق منفذه بينهما - فإذا وصل إلى أعلى الحلق ارتفع أعلى جذع اللسان (أقصاه) وقابلته نهاية الحنك اللين - أصل اللهاة - فالتقيا التقاء محكما يسد مجرى الهواء، ونسمع صوت القاف.

والدليل على أن تلك القاف اللهوية المجهورة كما وصفناها هي الفصحى ما يلي:
أ- أنها هي التي ينطبق عليها تحديد الأقدمين من حيث المخرج والصفات. فهي التي تخرج بالتقاء عكدة اللسان (= أعلى جذعه = أقصاه) بأصل اللهاة - كما صرح الخليل وابن سينا، وشريح وابن يعيش، وكما تكشف لابن جني وأبي علي الفارسي، بل كما يمكن أن تفهم عبارة سيوييه وفاقا لهؤلاء^(١). وهذه القاف كذلك هي التي تتوفر فيها صفات الجهر والشدّة والاستعلاء والتفخيم، في حين أن القافات الأخر لا يجتمع لأي منها ذلك المخرج وتلك الصفات معًا.

قاف القراء الحديثة مهموسة فقدت صفة الجهر.

والقاف السودانية رخوة فقدت صفة الشدة.

والقاف الريفية تخرج من نقطة أمامية تالية لأقصى اللسان. وبذا فقدت المخرج الصحيح وصفة الاستعلاء، وفقدت - بالتالي - التفخيم (الطبيعي) الملازم للاستعلاء، وقد يتكلف مستعملوها من البدو وأبناء الصعيد تفخيما لها تعودوه ليميزوها عن الجيم في نطقها القاهري، لكنه تفخيم متكلف.

هذا، ويترجح لنا أن النطق المهموس للقاف (= القاف المصرية = الحديثة) هو لهجة بنى تميم. جاء في الجمهرة أن بنى تميم «يلحقون القاف باللهة (وفي رواية بالكاف) فتغلظ جدًا فيقولون للقوم الكوم»^(٢).

القاف المعقودة = القاف الريفية = الجيم القاهرية = الكاف الصماء = الكاف الفارسية ذكرها سيوييه باسم الكاف التي بين الجيم والكاف، وعدّها من الحروف غير

(١) عبارة سيوييه «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف» الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) ينظر جمهرة اللغة لابن دريد (تح. د. بعلبكي) ٤٢/١ «والصاحبي» (صفر) ٣٦.

المستحسنة. ولا الكثيرة في لغة من ترتضى عريته^(١) وتابعه في تسميتها وعدم استحسانها ابن جنى^(٢)، وابن سنان^(٣) وابن الحاجب^(٤) وعبارة أبي حيان «كاف كجيم»... وذكر ابن دريد حرفاً بين القاف والكاف يتكلم به العرب (عند الضرورة) وذكر ابن قتيبة أن الحرف المتوسط مخرج القاف والكاف غير عربي^(٥). ويترجح أنه يقصد هذه الكاف. وقد حدد ابن سينا مخرج هذه الكاف الفارسية بأنها تحدث حيث الكاف العربية إلا أنها أدخل قليلاً (يعني في اللسان والحنك) والحبس أضعف^(٦) وقوله «والحبس أضعف» وهم. وقد وصفها الدراسات الحديثة بأنها حرف رَخَوِي أي يخرج من الحنك الرخو^(٧) (عندما يلتقي الثلث الداخلي من اللسان به). والملاحظة المكررة تبين أن مخرجها يشمل نقطة أخرج مما قال ابن سينا فإنها تخرج بالتقاء من الثلث الأدخل من اللسان الراقد بما فوقه من الحنك اللين (وهو أول الحنك الرخو من جهة جوف الفم).

وهذا الحرف مجهول شديد إلا أنه ليس مستعليا - أي لا يستعلي به أقصى اللسان - وإنما ثلثه الداخلي كما قلنا، وربما كانت أعلى نقطة حيثذ هي نقطة انتهاء الثلث الداخلي من جهة وسط اللسان. ومن عدم استعلائه هذا - الذي نص عليه ابن الجزري^(٨) - فقد التفخيم الطبيعي، فلا يفخِّم إلا بتعمد. ولعل هذا - أعني فقد صفتي الاستعلاء والتفخيم - يشكل أمانة جازمة على أن هذه الكاف الفارسية ليست هي القاف العربية الفصحى بحال، لأن القاف الفصحى مستعلية مفخمة بالإضافة إلى أنها قصوية.

وهذه الكاف الفارسية تنقل في العربية جيماً أو قافاً أو كافاً أو غيماً كالجاموس أصلها كاوي ميش، وقالوا إن تسمية العنق قَوْدًا أو كَرْدًا معربة عن الفارسية كَزْدن^(٩) والعامية تقول كَزْدال أو كَزْدان لحيلة الرقبة - وتقول كليم من الفارسية كَلِيم، وأرغول أو أرغن

(١) الكتاب (٤/٤٣٢). وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٩٦ أن أهل عدن يجعلون الجيم كافاً فيقولون لرجب رَجَب، ولرجل رَجُل. ونرجح أنها كاف فارسية. ومر هنا أنها تنطق بدل القاف والكاف أيضاً.
(٢) سر صناعة الإعراب ٥١/١. (٣) سر الفصاحة ٢٢. (٤) الشافية باب الإدغام.
(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٤. (٦) أسباب حدوث الحروف ١٠.

(٧) وضعها الموسوعة البريطانية وموسوعة تشمبرز في نهر الأصوات الرخوية وكذلك صنع دكتور عبد الرحمن أيوب (أصوات اللغة ٢١٢). (٨) النشر ٢٢١/١ وسماها «الكاف الصتاء»..

(٩) انظر لسان العرب (قرد/ كرد)، والقواعد الكافية ٢١٩، والقطوف واللباب ٨٤/١، ٨٩.

من اليونانية Organ (ومنها Organon)^(١) وقالوا إن لفظ خندق أصله كنده^(٢)
أبدلت الكاف الفارسية خاء لتجاور المخرجين، وذبلت الكلمة بقاف بدلاً من الهاء.

الكاف العربية:

وتخرج بالتقاء متن اللسان - عند نهاية الثلث الداخلي منه - بما فوقه من أول الحنك الصلب من الداخل مجاورة أو مشتركة في الحنك اللين وفي مخرج الكاف الفارسية. فهما يكادان يطابقان في المخرج، والفارسية مجهورة. وضابط مخرج الكاف العربية أنها أنزل من أقصى اللسان وقبل وسطه. وإن اختلف تبصير الأقدمين والمحدثين عنه. ولكن بعض عبارات الفريقين يصدق ما قلناه^(٣).

وللتطابق بها يندفع الهواء من الرئتين ويمر بين الوترين غير زامر، لاتساع منفذه بينهما، حتى إذا وصل إلى أول التجويف القموي من الداخل ارتفع له متن الثلث الأول من اللسان حتى تلتقي نهاية ذلك الثلث بأول الحنك الصلب التقاء محكمًا يحبس النفس، ونسمع (صوت) الكاف.

(١) انظر المحكم في أصول الكلمات العامة أحمد بك حمسي من ١٨٥، ١٨٩، ٨ على التوالي.

(٢) انظر للعرب للجواليقي (تحقيق وتأليف عبد الرحيم) ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) ربما كانت أقرب عبارات المتقدمين إلى عبارتنا هي ما نقله صاحب (نهاية القول المفيد) ص ٥١ عن للرعي حيث قال (والكاف لا يستعلي بها إلا ما بين أقصى اللسان ووسطه) أما الآخرون فكان في عباراتهم اتساع قلل من دقتها. فعبرة العين (القاف والكاف لهوتان والكاف لرفع) (العين ٦٤، ٦٥) وهنا نسمع لأن اشتراك اللهاة في إخراج الكاف غير مسلم، وقوله: (والكاف لرفع) يقصد أنها أخرج أي أقرب إلى الخارج - وهذا حق. وعبرة سيويه (ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل (يقصد أخرج) من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف (الكتاب ٤/٤٣٣) وهذه عبارة أقرب إلى الدقة. فالأسفل من مخرج القاف في اللسان هو ما عبرنا عنه بنهاية الثلث الداخلي. وعبرة سيويه هي التي اتبعها جمهور المتأخرين. أما عبارة ابن سينا فهي أن الكاف تحدث حيث تحدث الفين. وقد قال من قبل إن الحاء لهوة والقاف تخرج من حيث تخرج الحاء، والفين أخرج من ذلك بسيوياً. يعني أخرج من موضع الحاء والقاف. ولا نسلم له أن الكاف من موضع الفين وإن كنا نسلم أنها أخرج من الحاء والقاف والفين. أما المحدثون فقد وضعت موسوعتا المعارف البريطانية وتشميز صوت K في نهر الأصوات الرخوة نسبة إلى الحنك الرخو، وبعض صور هذا الفونيم في نهر الأصوات الصلبة. وقد أضفنا أن التقاء اللسان مع الحنك في إخراجها يكون بجهة لا بموضه كله، ولهذا أثر كبير في دقة صدق الكاف أي عدم غلظه كالتفاف.

ووقوع الالتقاء بمن اللسان لا بكل غرضه، وعلى أول الحنك الصلب لا على الحنك الرخو هو الذي يكسب الكاف العرية صداها الذي هو أدق من صدى القاف. والكاف مهموسة لا زمير معها، وشديدة لا ير معها النفس، وهي مستفلة ليست مستعالية، لأن الذي يستعلي بها ليس أقصى اللسان، وإنما ما بين أقصاه ووسطه. وهي مصمتة، ومنفتحة فيها ارتفاع واحد لا اثنان. هذا، وقد وصفها بعض القدماء بالجهر^(١)، وهذا خطأ وقعوا فيه بسبب التباس تعريف سيبويه للجهر عليهم، حيث اكتفوا منه بعبارة (منع النفس).

تطبيقات:

ولمجاورة مخرج الكاف، لمخرج القاف مع بعض التشابه بين صدييهما كثر وقوع الإبدال بينهما مثل دَمَقَه وَدَمَكَه أي دفع في صدره، وأعرابي قُحَّ وَكُحَّ أي مَحْض خالص، وإناء قَرْبان وَكَرْبَان: دنا أن يمتلئ^(٢).. وفي العبرية تنطق الحاء بديلاً رخوا للكاف الشديدة في بعض الحالات إبدالاً مطرداً فيقال يَخْتِف أي يَكْتَب^(٣). - ووقع الإدغام بين القاف والكاف في مثل لا تصدق كلامه (تَنْطَق لا تصدُّ كلامه) وأدرك قومك (أذِر قَوْمك)^(٤).

(١) في مفتاح العلوم للسكاكي ه أن (الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف، والهمس جرى ذلك فيه والمجهورة عندى الهمزة والألف والكاف والجيم والتاء.... يجمعها (قدك أترجم ونطايب). وفي الشافية لابن الحاجب باب الإدغام أن المجهور (ما ينحصر جرى النفس مع تحركه... وخالف بعضهم فجعل الكاف والتاء من المجهورة ورأي أن الشدة تؤكد الجهر). وانظر: مناقشتنا لتعريف سيبويه للجهر في فصل صفات الحروف ومخارجها في (الموسع في أصوات اللغة العرية).

(٢) انظر: كتاب القلب والإبدال لابن السكيت. ص ٣٧.

(٣) ينظر التوطئة في اللغة العبرية، د. فؤاد حسنين ص ١١٧ حيث تناول الإبدال المطرد في اللغة العبرية بين ستة أحرف شديدة ونظائرها الرخوة.

(٤) انظر: كتاب سيبويه ٤/٥٢٢.

بين الفصحى والعامية:

- أَقْشَعُ الجلد: قَفٌ وَتَقَبُّضٌ. والعامية تقول كَشْتَرِ وَشَهْ بمعنى يجعله عُيُوسًا أو استغرابًا. فقلبوا القاف كافًا لتجاور مخرجيهما. وقلبوا جيم (وجه) شينا وحذفوا هاءها.
- القَقَّة: العَقَى يخرج من بطن الصبي حين يولد وهو أشبه بالدم المعقود. وهذا هو أصل كلمة كَكَّاه التي يستعملها النساء تمييزًا عن بُراز الصبي عامة. يقلب القاف كافًا.



أحرف وسط مقدم اللسان

المخرج الذي حدّده سيبويه ومن بعده لأحرف هذه المجموعة الجيم والياء والشين هو وسط اللسان وما فوقه من الحنك^(١). ولكنني أرى أن هذا التحديد غير دقيق، وأن التحديد الدقيق هو أن هذه الأحرف تخرج من وسط مقدم اللسان أي دون طرف اللسان، وليس من وسط كل اللسان. وذلك لما يلي:

١- أن التذوق والتجربة المكررين يقضيان بهذا.

٢- أن علاقات هذه الأحرف بغيرها تقضي بهذا.

٣- أن كلام سيبويه نفسه عن ضوابط إدغام هذه الحروف يعطى هذا.

٤- أن تحديد الخليل تخرج هذه الأحرف بشجر الفم يعني هذا. وشجر الفم مُنْفَتَحُه من الشُّدْق إلى الشُّدْق، بحيث إذا وُضِعَ القلم في الفم هكذا غرّضا من الشُّدْق إلى الشُّدْق فإنه يمر فوق مقدم اللسان قرب طرفه لا فوق وسطه. وستبين تفاصيل هذا في معالجة كل من هذه الأحرف.

أما عن ترتيب هذه الأحرف في هذا المخرج فهي الجيم والياء ثم الشين. فالشين متأخرة عنهما قطعا، والجيم قبل الياء ترجيحاً، والذوق يحقق هذا، فوضع سيبويه الشين بعد الجيم وقبل الياء^(٢) غير مسلم. وسيأتي من كلامه ما ينقضه.

الياء الصامتة^(٣)؛

(الياء الصامتة) وهي التي في مثل يلد، يمت، يتيس، سقى هذبي.

(١) ينظر الكتاب (٤٣٣/٤).

(٢) السابق نفسه وهذا رأي جمهور من تلامه. وهناك من قدم الشين على أختيها أي جعلها أدخل منهما في اللسان كالمهدوي (ارتشاف الضرب ٦/١، والنشر ٢٠٠/١) ويدّو أنه رأي مكّي بن أبي طالب أيضًا - على ما في (الرعاية ١٣٩، ١٧٥، ٢٤٤) ولكنه قال في ص ١٧٦ إن الجيم تخرج من مخرج الشين. وانظر نهاية القول المفيد ٣٥.

(٣) قدّمناها على الجيم في المعالجة، لأن الكلام عن الجيم مطوّل.

وهي تخرج بارتفاع وَسَط مقدم اللسان - إلى ما فوقه مِنْ مُقَدَّم الحنك حتى يقترب منه جدًا - فلا يبقى إلا مضيقٌ بين اللسان والحنك ينفذ منه نَفْسُها ومعه زمير الجهر فيسمع صوت الياء. وهذا التحديد لمخرجها يملية الذوق والتجربة كما قلنا. ويؤيده قول سيويه إن الياء أقرب الحروف إلى مخرج الراء واللام لأن الأثغ فيهما يجعلهما ياء^(١). ومعلوم أن طرف اللسان يشترك في إخراج الراء واللام والنون فما قبل الطرف هو وسط مقدمه وكذا قول ابن سينا إن الياء الصامتة تحدث حيث تحدث السين والزاي. وقد ذكر هو ارتباط مخرجهما بطرف اللسان أيضًا^(٢).

والياء مجهورة رخوة وهي مستقلة جدًا^(٣) أي يظل أقصى اللسان معها في وضعه المعتاد لا يرتفع، وهي مفتحة مصمتة.

الجيم:

وهي تنطق بعدة طرق: فقد تحدثنا عن الجيم الكافية التي هي كالكَاف الفارسية. وهناك الجيم الشامية التي تنطق مثل J في Join، وتنطق باقتراب مقدم اللسان - دون طرّفه - إلى ما فوقه من مقدم الحنك الأعلى والثلة اقترابًا شديدًا بحيث لا يمر الهواء بينهما إلا باحتكاك مسموع.

وهذه الجيم الشامية رخوة، مجهورة، مستقلة، مفتحة. وسميناها شامية لأنها تشيع في نطق إخواننا الشوام من سوريين ولبنانيين. ولعل هذه الجيم هي التي عناها سيويه ومن تبعه حين ذكر من الحروف الفرعية غير المستحسنة (الجيم التي كالشين)^(٤).

(١) ينظر الكتاب ٤٥٢/٤ والعين (د. الخزومي) ٥١/١، ٥٢، ٥٨ عن حروف الذلاقة اللام والراء والنون التي تخرج من ذلق اللسان وهو حد طرفه.

(٢) يستخلص ذلك مما ذكره عن السين أنها تمس الهواء (يقصد تضيق مجراه) عند طرف اللسان، مع قوله عن الزاي إن صوتها يجري مما يلي وسط اللسان إلى طرفه. وما يلي وسط اللسان إلى طرفه يشمل وسط مقدمه.

(٣) هذا نقله في نهاية القول المفيد ص ٥٢ عن التمهيد لابن الجزري.

(٤) الكتاب ٤٣٢/٤، سر صناعة الإعراب ٥/١، سر الفصاحة ٢٢، وقد أغفلنا الجيم التي كالبدال كما في نطق أبناء صعيد مصر (ديش أي جيش، القلر أي القجر) ونطق العراقيين (دَرَار أي جزّار) (على ما قيل لنا) وهي في بعض مناطق الجزائر أيضًا، وكذلك الجيم التي كالزاي. فالأولى متطورة عن الجيم المعطشة الشديدة، والثانية عن الجيم الشامية الرخوة.

وأخيراً هناك الجيم المعطشة الشديدة. وهي التي نسمعها من القراء المجيدين اليوم وهي تخرج بالتقاء وسط مقدم اللسان (لا طرفه) بما فوقه من مقدم الحنك التقاء محكمًا يحبس النفس حبسًا تامًا. ونظرًا لِعَرَض منطقة الالتقاء والحبس فإن الهواء يحتك في انفجاره بمساحة واسعة من اللسان والحنك، ويُسمع هذا الاحتكاك شبيهًا بهزّوس الشين، وهذه المشابهة هي التعطيش. فهذا مع صدى الانفجار وزمير الجهر كلهن يكون صوت الجيم. (وسنين بعد قليل أن هذه هي الجيم الفصحى).

وفي ضوء هذا كله نقول إن قول د. أنيس، ود. السعمران وغيرهما إن الجيم انفجارية احتكاكية معًا له وجه. أما القول بأنها تبدأ وكأنها دال وتنتهي بجيم معطشة فهذا غير صحيح بالمرّة، ولا يتأتى إلا باشتراك طرف اللسان في نطقها، في حين أنه لا عمل لطرف اللسان في نطق الجيم. وذكر ابن سينا اشتراك طرف اللسان في الحبس في نطق الجيم تسامح غير مقبول.

وللنطق بهذه الجيم المعطشة يندفع هواء الرئتين ويمر بين الغشاءين الصوتيين زامرًا حتى يصل إلى تجويف الفم فيرتفع وَسطُ مقدّم اللسان ليلتقي بمقدم الحنك التقاء محكمًا ثم يفارقه في شيء من البطء، فنسمع صوت الجيم. فهذه الجيم صوت مجهور شديد، مستقل مصمت، يقلقل إذا سُكُنَ.

أية هذه الجيمات هي الفصحى؟

الجواب أنها هي هذه الجيم التي وصل إلينا وصفُ علماء القرن الثاني وما بعده لإياها، وهي الجيم المعطشة الشديدة التي تخرج من وسط مقدم اللسان. وقد عدّ سيبويه الجيم التي كالكَاف (= القاهرية)، والجيم التي كالشين (وهي الشامية) ضمن الحروف غير المستحسنة. ومما يعيد الشامية أيضًا أن الجيم مقلقلة، والقلقلة خاصة بالحروف الشديدة، وقد عرفنا أن الشامية رخوة. ثم إن من المقرر في العربية أن لام التعريف لا تدغم إلا في الحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان، ولذا لا تدغم في الجيم في حين أنها تدغم في الشين والزاي لتلك العلة، فدل ذلك على أن الفصحى ليست كالشين ولا الزاي اللتين تشبههما الجيم الشامية. وهذا يؤكد ما أشرنا إليه من قبل أن طرف اللسان

لا عمل له في إخراج الجيم الفصحى. وأخيرًا فإن الجيم المعطشة هي الأقرب مخرجًا
وصدى إلى الياء، ولذا تأتى أن تُبدَل الياء إليها في عجمجة قضاعة في مثل قول
شاعرهم:

خالي عُويْفٌ وأبو عَلِيجٍ المَطِيمان اللحم بالعَشِيجِ
وبالعُدَّة كُئِلَ البَرْجِ يُقْلَعُ بالوَدِّ وبالصَّيْمِجِ

[الرجز]

أما الجيم الكافية فقد أسلفنا أن القدماء استقبحوها وهذا ينفي أنها كانت الفصحى
عند أهل الحجاز في قرون الاحتجاج. وذلك بالرغم من أن لها أصلًا في نطق عرب
اليمن.

تطبيقات :

الإبدال بين الكاف والجيم:

نظرًا لتجاور مخرجيهما وقع الإبدال بينهما^(١) في مثل مَرَّ يَرْجُ وَيَرْتَكُ إذا ترجرج،
وأخذه سَكُّ في بطنه وَسَجَّ إذا لَانَ بطنه، ويقال رِيحَ سَيْهَكَ وَسَيْهَجَ أي شديدة.
والإبدال بين الجيم العربية والكاف فاشٍ عند تعريب الألفاظ أو تعجمها فقد قالوا إن
الزُّرْجُون: (الخم) أصلها الفارسي زُرْجُون (أي لون الذهب) كما قالوا إن الفُنْجَان أصله
الفارسي بَنْكَان، والفَنَنْك أصله الفَنَنْج^(٢). وتحولت جيم الجمل والمسجد إلى كاف في
الإنجليزية mosque, camel .

- الإدغام:

الجيم لا تدغم في القاف أو الكاف لأن ذلك يضيع تعطيشتها وهو خاصتها، ولا
يدغمان فيها لصلابتها وتباعد الحيزين^(٣).

(١) أورد ابن السكيت من ذلك في كتابه ثمانى كلمات ص ٣٨.

(٢) انظر: المعرب للجواليقي ٢١٣، ٢٩٧، ٢٩٦ على التوالي.

(٣) انظر: الكتاب ٥٤٢/٤، والنشر ٢٨٩/١ .

بين الفصحى والعامية:

الجيم والغين:

- الجلّبة: الصياح. والعامّة تنطقها غَلْبة يدلّون الجيم غيتًا. والأشبه أن هذا الإبدال وقع بين النطق القاهري للجيم ($G = ك$) وبين الغين لتقارب المخرجين تقاربًا كالتجانس.

الياء والجيم:

- اليربوع حيوان برّي كالغار أو أكبر قليلًا يُصاد.

والعامّة تصف من هو ضئيل الشأن بأنه (جربوع) تشبيهاً به، يدلّون الياء جيماً لتجانسهما في المخرج.

الشين:

نؤكد أولاً أن الشين أُخرج من أختيها: الجيم والياء أي أقرب إلى خارج الفم، فهي مستطيلة يتصل مخرجها بطرف اللسان. وقد نص سيويه على هذه الاستطالة أكثر من مرة: إحداها قوله إنها «أحد الحرفين اللذين خالطاً طرف اللسان» (الضاد والشين)، وقوله إن الشين تستطيل فتصل بمخرج الطاء، (وطرف اللسان يشترك في إخراج الطاء)، وتكريره أنها تستطيل حتى تخالط أعلى الثنيتين^(١) (أي تقترب من لثتهما) وكل ذلك يكون بطرف اللسان - في حين أن أختيها لا تتصلان بطرف اللسان ولا تصلان إليه. وتخرج الشين باقتراب مقدم اللسان - مع أول إطار طرفه - إلى مقدّم الحنك حتى يضيق ما بين مقدّم اللسان بإطار طرفه ومقدم الحنك بثثة الأسنان الأمامية التي تعترض أمام الهواء المارّ، وينفذ الهواء غير زامر من ذلك المضيق المستعرض بين حافة مقدم اللسان وبين اللثة العليا المحيطة بها. ونظرًا إلى خروج هوائها منتشرة على دائرة مقدم اللسان - وليس متحيزًا في خط طولي دقيق مستقيم كالسين - فإنه يُحدِث ما يشبه نشيش المقلّي، وهو الجزّس

(١) ينظر الكتاب ٤/٤٥٧، ٤٦٦ (مرتين)، ٤٧٩ - على التوالي.

المميز للشين. وهيئة الخروج التي وصفناها - مع أثرها الذي وصفناه أيضًا هو ما يسمى التفشي.

والشين مهموسة رخوة مستقلة منفوحة مصمتة متفشية.

وواضح من تحديد مخرجها أن الشين تلى الجيم والياء في ظهر اللسان، ولذا يقع إبدال الجيم إلى شين في مثل اجتمع واجتزأ (حين تنطقان اشتمع واشتر). والمجدير بالذكر أن هذه الحالة غير حالة إشراب الجيم صوت الزاي (ينطق الجيم رخوة) إذا وقعت الجيم ساكنة قبل دال في مثل هو أجدُر هكذا. وهي في هذا النطق تفقد الشدة والقلقلة أيضًا.

تطبيقات :

- الإدغام: الشين لا تدغم في الجيم في مثل افرش بجيلة وذلك لأن الإدغام يُضيع الخاصة البارزة للشين وهي التفشي. أما عكس ذلك فإن الجيم يجوز إدغامها في الشين مثل اتهج شيئًا تنطق اتهشئًا. والبيان حسن أيضًا.

بين الفصحى والعامية:

الجيم والشين:

- (الجمع) هو الصنغ الأحمر المعروف تنطقه العامة الشنع الأحمر يدلون الجيم شيئًا لتجاوز المخرجين، ولأن تعطيش الجيم قريب من جرس الشين. ومن هذا الإبدال أن العامة تنطق كلمة وَجْه: وَشْ فيكسرون الواو ويدلون الجيم شيئًا ويحذفون الهاء لتطرفها، ثم يضعفون الشين. والعامة تقول للشوب المبلول إذا جفّ وفيه بعض النداءة شَفَشَف أو تشفشف وأصلها تَجَفَجَف.



حروف طرف اللسان

وهي تضم نحو شطر الأبجدية، ولعل ذلك لأن طرف اللسان أكثر مرونة، فتأتي منه شتى الحركات والأوضاع.

وحروف طرف اللسان^(١) عدة أنواع من عدة مخارج..

١- من ذلق اللسان مع ارتكاز طرفه أو تردد مسه لثة الثنايا العليا: اللام والنون والراء.

٢- من حافتي اللسان أو إحداهما مع ارتكاز طرفه على لثة الثنايا العليا - أي بين موقع طرف اللسان في اللام وموقعه في الطاء والذال والتاء: الضاد.

٣- من مقدم اللسان مع وصول طرفه - أو ارتكازه - على أصول الثنايا العليا وصفحتها: الطاء والذال والتاء.

٤- من طرف اللسان مع أقصى اقتراب منه إلى ما بين أطراف الثنايا وإلى صفحة الثنايا العليا: الصاد والسين والزاي.

٥- من طرف اللسان بامتداده بين أطراف الثنايا العليا والسفلى: الظاء والذال والتاء.



(٢) قال سيبويه في معرض الكلام عن إدغام لام التعريف في ثلاثة عشر حرفاً.. «وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان. والأحد عشر حرفاً: التون والراء، والذال والتاء والطاء، والصاد والزاي والسين، والطاء والذال والتاء. والذان يخالطها: الضاد والسين» الكتاب (٤٥٧/٤).

حروف ذلق اللسان

وهي اللام والراء والنون. وتخرج كل منهن بامتداد طرف اللسان حتى يلتقى بأعلى لثة الشاها العليا، ثم يتخذ هواء كل منهن سبيلاً أو هيئة في خروجه مختلفة عما يتخذه الآخران.

اللام:

وتخرج بامتداد طرف اللسان حتى يلتقى بأعلى لثة الشاها العليا، ويخرج صوتها زامراً من جانبي اللسان^(١). اجاورين للطرف المتلقى المذكور، ويصدق عليهما اسم ذلق اللسان.

وواضح أنها مجهورة فإن معها زميراً، وأنها رخوة لأن النفس لا يحتبس في مخرجها بل يمر، لكن سيويه نظر إلى اعتراض اللسان - جزئياً - سبيل نفسها الزامر فوصفها بالشدة (يقصد أن فيها من الشدة هذا المظهر) لكن مرور نفسها الزامر من جانبي اللسان - رغم ذلك الاعتراض ووصفها من بعده بالتوسط بين الشدة والرخاوة^(٢). ثم إنها مستفيلة لا يرتفع معها أقصى اللسان، ومنفتحة لا يجتمع في نطقها الارتفاعان. أما وصف أختيها الراء والنون بالذلاقة فلخروجها بوضع طرف اللسان الوضع الذي ذكرناه، كما أنها تتميز بخفة تولدها وسلاسته، كاللام. ومن هنا ضُمَّت إليها تحت هذه الصفة ثلاثة أحرف تشاركها في سلاسة الخروج أيضاً وهي الفاء والباء والميم.

(١) وضعتها دائرتا المعارف البريطانية وتشتمل في نهر الحروف الثوبه والأسانية، والجانبيه غير الاحتكاكية.

وفي الكتاب (الأمريه) ٤٠٥/٢ أنها «من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والتاب والرباعية والثنية» ٤٠٦/٢ «وليس يخرج الصوت من موضع اللام (أي من موقع طرف اللسان معها) ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فوق ذلك».

(٢) انظر: (الكتاب ٤٣٥/٤)، ومر صناعة الإعراب (مثلاً) ٦٩/١ - ٧٠.

وربما لم يشع إبدال اللام حرفًا غير ذلعي بسبب خفتها. وفي طُطْطُمَانِيَة حمير يدلون لام التعريف ميمًا في مثل طاب الهواء - يقولون طاب امهواء. والميم تخرج من الشفتين وهما قريتان من مخرج اللام، إلا أن ذلك القرب ليس شديدًا، وكذلك فإن صديهما متميزان بوضوح. ولعله لهذا قال ابن جني عن إبدال اللام ميمًا إنه شاذ لا يسوغ القياس عليه، وقد تعقبوه في هذا الحكم، لأن هذا الإبدال لغَةٌ قوم بأعيانهم^(١) فلا يوصف بالشذوذ. وقد يجاب عنه بأنه يقصد ضعف مسوغاته الصوتية.

والألتغ قد ينطق اللام ياء لأن اللسان إذا قلت مرونته أو عجز عن مد طرفه مستدقًا إلى الحنك ليخرج اللام اكتفي برفع وسط مقدمه فخرجت ياء^(٢).

ومن أسباب اللتغ أو المعجز الذي أشرنا إليه قَصْرُ الرباط الذي يشد اللسان - من أسفل مقدّمه - إلى قاع الفم، فلا يمكن إيصال طرف اللسان إلى النقطة التي تتطلبها نطق الراء أو اللام، فتنتطقان ياء.

وستتناول إدغامها في حروف طرف اللسان (اللام الشمسية والقمرية) عند معالجة موضوع الإدغام في التطبيقات الصرفية.

الراء:

تخرج كما تخرج اللام بامتداد طرف اللسان إلى موضع اللام، إلا أن طَرَف اللسان مع الراء لا يثبت كما يثبت مع اللام، وإنما يلمس أعلى لثة الثنايا العليا ويفارقها عدة مرات فيخرج الصوت مكرّرًا. فهي حرف مكرر باصطلاح سيبويه، مرتعد أو مرفرف Flapped باصطلاح المحدثين. والمعنى بذلك الوصف هو ارتعاد طرف اللسان مع لمسه اللثة أكثر من مرة عند نطقه^(٣).

(١) انظر: لهجات العرب للعلامة محمود تيمور ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) راجع في هذه النقطة الحديث عن الياء.

(٣) وضعت الدائرتان رمز الراء الموافقة للعربية في نهر الأصوات اللثوية المرتعدة. وهكذا وصفها الدارسون العرب المحدثون. ومع أن سيبويه حدد مخرجها بأنه من مخرج النون إلا أنه أدخل في ظهر اللسان فإنه لم يفضل دور ظهر اللسان بحيث يذكر أن صوتها (= النفس + الزمير) يمر من فوق ظهر اللسان إلى طرفه، وأن لمسات الطرف للحنك تقطعه فيسمع كأنه مكرر. بل عبّر بما قد يفهم منه أن صوتها ينحرف إلى =

وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين الصوتيين زامراً لتضايق ما بينهما، ثم يستمر إلى تجويف الفم فإذا وصل إلى اللسان امتد طرفه مرتعداً حتى يلمس لثة الشاها لمستين أو أكثر فتسمع صوت الراء. فالراء مجهورة رخوة (وعند سيوييه متوسطة بين الشدة والرخاوة). مستقلة مفتوحة ذلقية^(١)، وقد وصفها سيوييه بالتفشي^(٢) إذا كان معها غيرها. والتفشي يعني انتشار الصوت عند خروجه، وهذا واضح فإنها تبدو وكأنها عدة حروف لا حرف واحد.

وتتطلب هيئة إخراجها زيادة مرونة في طرف اللسان وحركاته. فإذا قل مدى المرونة وخفة الحركة حتى ثقل طرف اللسان عن الارتعاد في نطق الراء لكغ في نطقها لائاً. فإذا عجز عن مد طرفه المستدق إلى الحنك خرجت ياء^(٣) وبعض الناس لا يطوع لسانه بنطق الراء الساكنة فينطقها نوناً لخروج النفس بالصوت من الأنف لا الفم.

تطبيقات:

يكثر الإبدال بين اللام والراء لأنهما من موضع واحد تقريباً (كما قلنا الآن) - كالجلف والجؤف: الذي قد ذهب مائه، وسهم أملت وأمرط: لا ريش له.

= جانبي اللسان فيخرج منهما كما يخرج صوت اللام منهما. (الكتاب ٤/٣٣ و ٤٣٥)، وقال في معرض تفصيل إدغام اللام في الراء في نحو (اشغل رحبة) «لقرب المخرجين (أي مخرجي اللام والراء) ولأن فيها اتحراقاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجرى الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج» (٤/٥٢). وهذا الفهم خطأ تماماً. أما عن صفة التكرير فإنه أكد تكرير الراء في (٤/٤٣٥، ٤٤٨) ثم نجد صاحب نهاية القول للمفيد ينقل ما يكاد يذهب السبب العضوي للتكرير فيقول (ص ٨٤) «قال سيوييه إذا تكلمت بالراء خرجت كأنها مضاعفة وذلك لما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف. وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها للمرة بعد المرة... والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها... فينبغي للقارئ عند النطق بها أن يلمص ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقاً محكماً مرة واحدة بحيث لا يرتعد، لأنه متى ارتعد حدث من كل مرة راء اه. وأقول إن هذا الذي يوصي به لا يُخرج إلا لائاً فينبغي التنبيه إلى ما في كلامه هذا من غلط، فإن الراء إنما تخرج بإرعاد طرف اللسان إرعاداً يجعله يلمس أعلى اللثة أكثر من مرة.

(١) انظر: ما قيل عن الدلالة في حرف اللام.

(٢) الكتاب (٤/٤٤٨).

(٣) راجع التعليق ص ١٢٣ عن الياء.

وجذع متقطّر ومتقطّل^(١): مقطوع مُلقى.

الإدغام :

عرفنا أن الراء أخت اللام في المخرج والصفات غير أنها تتميز عن اللام بأنها مكررة، ومن أجل هذا التكرير الذي عده سيبويه تفشياً مُنَع إدغام الراء في اللام، في مثل اجبر لبطّة. لأن الإدغام يتسبب في فقد صفة التكرير وهي صفة مهمة وفقدتها يُعدّ إجحافاً كبيراً. وقد فعلوا الشيء نفسه مع الشين فكروا إدغامها في مجانستها، لأن إدغامها يذهب التفشي ويجحف بالكلمة.

أما إدغام اللام في الراء إذا تواليا فهو أحسن من بيانها، لأنهما من موضع واحد تقريباً. وذلك مثل اشغل بحبة، وانهل رحيقاً وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في قراءة من لم يسكت على لام «بل». بين الفصحى والعامية:

الراء واللام:

والعامة تقول خدلت رجله ورجله خدلانه والفصحى خَدِرَتْ. فيبدلون الراء لآماً لتجانسهما في المخرج.

النون:

تخرج النون المظهرة بامتداد طرف اللسان حتى يستقر أعلى لثة الثنايا العليا، مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف^(٢). وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين ثم يمر بين

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٥٠ - ٥١ وقد وقع الإبدال بين اللام والراء فيه في ٢٢ كلمة. ودعوى الإبدال في المجلف والمجرف مبنية على تسامح.

(٢) وضمت دائرة المعارف البريطانية وتشمبرز ال II التي تتفق مع النون العربية في نهر الحروف الأسنانية اللثوية والأنفية - وهناك أنواع أخرى. والدوق يثبت أنه لا عمل للأسنان فيها فهي لثوية أنفية فقط. ونحن نتفق في هذا التحديد فخرجها مع أستاذنا د. إبراهيم نجا رحمه الله (التجويد والأصوات ٥٨/٩٦)، د. عبد الرحمن أبوب (أصوات اللغة ٢٠٢) ولكن د. إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٦٨)، ود. كمال بشر (علم اللغة العام الأصوات اللغوية ط ١٣٠/٥) عداها أسنانية أيضاً لاجتماع طرف اللسان في نطقها على أصول الثنايا العليا والحقيقة أن اللسان لا يقتصر في نطقها على الأصول المكسوة باللثة - بل يمتد قليلاً إلى =

الوترين زامرا - لتضاميهما - حتى إذا أشرف على تجويف الفم انفتح أمامه سبيل تجويف الأنف فاتجه الصوت إليه (ومنه إلى الخارج) ويمتد طرف اللسان ليستقر أعلى اللثة سادا السبيل الفموي للهواء.

فالنون حرف مجهور رخو (وعده سيويه متوسطا بين الشدة والرخاوة) - مستفل منفتح ذلعي - أغن.

تطبيقات:

سبق أن أشرنا إلى أن بعض اللغخ يدلون الراء الساكنة نونا، لأنهما من موضع واحد، والنون أخف لأن اللسان يثبت معها فلا يرتعد وإنما تكسب غنتها المميزة من مرور صوتها في الخياشيم. ويبدو أن هذا الإبدال يكون لمعب خلقت. أما الإبدال اللغوي فيقع بينها وبين اللام لأن دور اللسان في إخراجهما متماثل يقال هتت السماء وهتلت، والشدون والشؤل: ما مجلل به اليهودج من الثياب وأرخى عليه، والكتل والكتن: التلزع ولزوق (الأثر) بالشيء^(١).

- الإدغام: تدغم النون في أختيها اللام والراء بلا غنة وبغنة مثل: من رأيت؟ من لنا إلا الله؟ كما تدغم بغنة وبلا غنة في الواو للتجاوز واللين، وفي الياء كذلك لأن الياء يشترك في إخراجها مقدم اللسان كما سبق. مثل من يكون هذا. وللنون مع سائر

= الصفحة الداخلية للألسنان. والخطب هنا أيسر. وأما الأقدمون فقد قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ٥٢/١ (وهذه عبارة سيويه أيضا إلا أن طبعة الكتاب تح هارون (طبعة الهيئة) أشوت سطرا فجعلت معظم كلام سيويه عن مخرج اللام لمخرج النون وأسقطت صدر الكلام عن مخرج النون. انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣) قال ابن جني «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الشاها مخرج النون اه وفوق الشاها هو لثتها. ثم قال سيويه (٤٣٥/٤) «ومنها - أي من الحروف = حرف شديد يجري معه الصوت (لأن ذلك الصوت غنة) من الأنف، وإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون». اه وما ذكره من أنها شديدة فلما يعني اعتراض اللسان مجرى الصوت على ما فصلناه في الكلام عن اللام، وقلنا إن الشراح وصفوها بالتوسط بين الشدة والرخاوة. وقد عددنا نحن الحروف التي عدوها متوسطة بين الشدة والرخاوة - عددناها رخوة، لأن النفس يمر من مخرجها حين نطقها.

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٣-٥ ولم يرد بين النون وبين غير الميم واللام إلا في حرف هو قرطاق وقرطان. وجاء أن أزد شئوه تقول تفكهون، وتميم تقول تفكنون (الزهر ١/٤٧٢/٤٧٣). والذي في تاج العروس القرطاط والقرطان: الداهية، وهما أيضا: البرذعة أو الحلس. وما ليس فيه تجانس هو لهجات وليس إبدالاً.

الحروف الأبجدية أحكام أخرى سترد مفصلة في باب التجويد.

بين الفصحى والعامية :

اللام والنون:

في الفصحى «يالي» أسلوب استغاثة فهو يستغث لأجل نفسه، العامة تقول «ياني» فتقلب اللام نونًا. وفي الفصحى يقال نظم الحيط في الإبرة والعامة تقول لضم فيبدلون النون لامًا والطاء ضادًا.

- ويقال في الفصحى نَعَّ الصارخ بصوته: رفعه. والعامة تقول رَقَعْتُ بالصوت أي رفعت صوته بالصراخ - يبدلون النون راء.

النون الخفية أو الخفيفة أو المخففة:

هذه النون قال سيويه عن مخرجها «ومن الحياشم مخرج النون الخفيفة» ولا عمل للسان في هذه النون. وبالحبرة نعرف أن اللسان يبقى في نطق النون المخففة ممتدًا في وسط تجويف الفم أي لا يرتفع إلى سقف الحنك ارتفاعًا يعتد به، وهي في صفاتها كالنون المظهرة. (أما في الإدغام بغنة فإن اللسان يرتفع أكثر لكن لا يصل إلى سقف الحنك).

وهناك أنواع من الإخفاء سيأتي بعضها في قسم التجويد.

الضاد:

وتخرج من بين حافتي اللسان - أو إحداهما - وما يحاذيهما من الأضراس العليا، مع التقاء طرف اللسان بثلة الشاها وأصولها بين موقع طرف اللسان مع اللام، وموقعه مع الطاء وأختيها، ويخرج الهواء الزامر من الشدين أو أحدهما. وهذا التحديد لمخرج الضاد ذكر أصله أئمة القدماء.

تحديد سيويه لموقع طرف اللسان في نطق الضاد:

وما يظن جديدًا في هذا التحديد ليس جديدًا، فقد ذكره سيويه، حيث حدد موقع طرف اللسان معها بأنه بين موقع طرف اللسان مع اللام وموقعه مع الطاء فقال إن الضاد

«استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام» (ووضع طرف اللسان مع اللام عنده أنه يكون فريق الثنايا.. أي يركز على لثتها أعلى من أصولها ييسر) وتطأطأت عن موقع طرف اللسان مع اللام حتى خالطت أصول (الثنايا)، ولم تقع من الثنية موضع الطاء... التي تضع لسانك لها بين الثنيتين»^(١) وأنا أنطقها وأعلمها طلائي حسب الوصف القديم تماما.

وزكى هذا النطق أمام نخبة من العلماء - عالم القراءات المعتمر الشيخ إبراهيم شحاته السمنودي المولود في منتصف يوليو ١٩١٥م. (وقد توفي رحمه الله في ٧ رمضان ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/٩/٧م) وعده هو النطق الصحيح، ولم يقبل نطق الضاد شديدة كما يشيع في مصر. ووقع ذلك في زيارة من لجنة من كلية القرآن الكريم^(٢) بطنطا إليه في منزله بسمنود يوم الأحد (٨ من ربيع الأول سنة ١٤١٢ هـ = ٢٠٠٠/٦/١١م).

وينطلق الهواء لها من الرئتين حتى يمر بين الأوتار الصوتية زامرا لتضايق ما بينهما - حتى إذا وصل إلى أول تجويف الفم استعلى أقصى اللسان فصداً النفس الزامر عن وسط الفم فانحرف إلى جانبي اللسان، ويتقعر وسط اللسان ويمتد طرفه مرتفعاً حتى يماس لثة الثنايا العليا وأصولها، مع التقاء أسنان الفكين حينئذ أو تقاربهما جداً. ويمر الهواء بحافتي اللسان إلى الشدين، حيث يخرج منهما، أو لا يتفرق فيخرج من أحدهما. وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرجها من الجانبين، وكذلك كان عمر رضي الله عنه^(٣).

(١) أصل هذا الذي ذكرناه في كتاب سيبويه ٤/٤٥٧ سطر ٩ - ١٠ و ٤٦٥ سطر ٤ - ٦ ونصه هنا «لأنها (أي الضاد) اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين».

وقال في ٤/٤٦٦ «لأنها قد خالطت... باستطالتها الثنية (يعني أصول الثنايا) وهي مع ذا مطبقة» اهـ. (٢) كانت اللجنة برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور جودة محمد المهدي عميد كلية القرآن الكريم بطنطا، وضمت الأستاذ الدكتور سامي عبد الفتاح هلال وكيل الكلية والأستاذ الدكتور حمدي عجوة الأستاذ بكلية العلوم جامعة طنطا، وأ.د. محمد حسن جبل مؤلف هذا الكتاب.

(٣) أ- ينظر البيان والتبيين ١/٦٢ وفيه أيضاً أن الضاد لا تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا إن كان المتكلم أعسر يمتزاً فيخرجها من أي شديقه، ولا يمكن غيره ذلك إلا بالاستكراه الشديد. وانظر أيضاً لطائف الإشارات ١/١٩٢، ونهاية القول المفيد ٣٦٥ والمراجع المذكورة فيه.

ب- لحة من الوصف الواضح لنطق الضاد في ما نقله د. رمضان عبد التواب عن أبي بكر الصديقي (٦٣٤هـ) في زينة الفضلاء. لابن الأنباري تحقيق: د. رمضان ص ١٩.

وواضح من هذا الوصف أن الضاد حرف مجهور رخو مستعمل مطبق مصمت. ولكن هناك - على مستوى النطق الواقعي في الأقطار المختلفة - صفات وهيئات ذُكرت عن الضاد تجعل ما سقناه آنفاً ضاداً واحدة من مجموعة ضادات. فقد روى ابن الجزري عن ابن جني في كتابه «التنبيه» أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً في جميع كلامهم. وهذا غريب وفيه توسع للعامة، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهمل لا يقدرون على غير ذلك وهم أكثر المصريين^(١) وبعض أهل المغرب، ومنهم من يجعلها دالاً مفخمة، ومنهم من يخرجها لاتماً مفخمة - وهم الزياليين ومن ضاهاهم لأن اللام مشاركة لها في المخرج لا في الصفات فهي بعكس الظاء - لأن الظاء تشارك الضاد في الصفات لا في المخرج^(٢).

والمرجح أن ما عدا نطق الضاد ظاء مطلقاً هو من كلام ابن الجزري (أعني في النص السابق) وقد ذكر في النشر نطق الضاد ظاء، وذالاً، ولأما مفخمة، وشبيهاً بالزاي^(٣) وقد سمعت أنا أهل نيجيريا - وهم من الموصوفين بالزياليين - ينطقون اسم مَرْتَضَى وكأنه مُرْتَضَى (بلام مفخمة ويكتبونه بالإنجليزية Mortala).

فإذا أضفنا إلى ذلك أن سيبويه ومن تبعه عدّوا من الحروف الفرعية المستقبحة الضاد الضعيفة^(٤)، ولم يَصِفُوا صوتها، وقال ابن يعيش عن هذه الضاد الضعيفة، «والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم (أي الضاد) فربما أخرجوها ظاء. وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم ذلك فخرجت بين الضاد والطاء...»^(٥).

(١) يؤخذ من كلام ابن الجزري هذا أن الطاء الفصحى شبيهة بالضاد المصرية، وهي كذلك في نطق أهل صعيد مصر.

(٢) نهاية القول المفيد ٧٧، ٧٨، وهو عن التمهيد لابن الجزري ١٣١، وليس في التمهيد نطقها دالاً مفخمة فلعله سقط بانتقال النظر.

(٣) النشر لابن الجزري ١٠٢١٩/١. (٤) الكتاب ٤/٤٣٢، سر صناعة الإعراب ٥١/١.

(٥) شرح المفصل ١٠/١٢٧. وكلمة «طاء» التي في قوله «ربما أخرجوها ظاء» كتبت في شرح المفصل مهملة وهذا لا يصح، ما دام قد قال عنها إنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا. فالذي =

تحصل لنا من كل هذا أن الضاد تُنطق - إلى جانب الصورة الفصحى الناتجة من اتباع طريقة إخراجها ووصفها كما ذكرها الأئمة المتقدمون - على الأنحاء أو الصور التالية.

أ - طاء - كتنطق العراقيين. وهي ليست الطاء الفصحى وإنما الطاء العامية التي تشبه الزاى المفخة، ويكون طرف اللسان فيها خلف ملتقى الشاى العليا والسفلى. وأرجح أن هذه هي المقصودة بالضاد الضعيفة.

ب - طاء (فصيحة - كتنطق أكثر المصريين للضاد أى أن نطقنا للضاد هو النطق الفصيح للطاء - تقريباً).

ج - دالاً مفخمة - كتنطق بعض المصريين وبخاصة النساء.

د - لاما مفخمة كتنطق أكثر إخواننا النيجيريين.

هـ - (ممزوجة بالذال)، [والراجع أن هاتين من صور رقم (أ)].
و - (مشمة زايًا).

ز - شبيهة بالثاء. وأرجح أن هذه أيضاً من صور (أ) لكنها أكثر بعداً.

ح - بين الطاء والضاد. (والراجع أن هذه هي عين رقم ب).

هذه تسع صور فإيهن الفصحى؟ الذي أجزم به هو أن الضاد الفصحى هي التي تُنطق تبعاً للمحدده سيويه وتابعوه بشأن مخرجها وصفاتها، وهي التي سبق أن وصفنا طريقة إخراجها. وهي رخوة يشبه صدى صوتها صدى صوت الطاء، لكن صدى صوت الضاد أغلظ وأفخم وليس معها إخراج لسان. ومن أقوى ما يشهد لأفصحية هذا النطق أن سيويه ذكر علامة نطق الحرف الرخو أنه يمكن مد الصوت به إذا وقفت عليه ومثل لذلك بكلمتين أحدهما آخرها (س) مشددة وهي «الطس»، والأخرى آخرها (ض) مشددة وهي «انقض» أي أنك تستطيع أن تقول الطس س س س ... وأن تقول انقض ض ض ض، وهذا لا يتأتى في الضاد إلا إذا

= يخرج بهذا هو الطاء المعجمة: إن أخرج اللسان معها كانت فصيحى وإلا كانت عامية. وكلمة «الطاء» التي في آخر النص المنقول كتبت معجمة. ولكن السياق يقضي بإصجاب الأولى وإعمال الأخيرة كما أسلفنا، وكما أثبتناه في النص هنا. وأرجح أن النطق الذي وصفه بأنه بين الضاد والطاء هو الضاد المصرية.

كانت رخوة، ويستحيل وقوع هذا المد في نطق الضاد المصرية لأنها شديدة. ثم إن الضاد الفصحى التي وصفنا طريقة إخراجها يشبه صدها صدى الظاء كما قلنا.

والدليل على أن الضاد الفصحى تحمل صدى مشابها لصدى الظاء ما سجله القدماء من وقوع الالتباس بينهما منذ وقت مبكر: وأدلة تشابه صدى صوتيهما ما يلي:

أ - فقد قال أبو عمرو (١٥٤هـ) سمعت غير واحد من الفقهاء يقول إن الصلاة غير جائزة خلف من لا يميز الضاد من الظاء ولم يفرق بينهما بمعرفة اللفظ^(١). أي أن التباس صوت كل منهما بصوت الأخرى لشبهه به واقع منذ صدر القرن الثاني، وربما منذ القرن الأول).

وذكر الجاحظ قصة رجل كانت له جارية تسمى ظمياء فكان يناديها يا ضمياء، وكان ابن المقفع (المتوفي ١٤٥هـ) ينجس عليه حتى يجبهه الرجل. وحكى الفراء (٢٠٧هـ) عن المفضل (١٦٧/١٧٧هـ) قال «من العرب من يبدل الضاد ظاء فيقول عَطَلَت الحرب بني تميم» ومن العرب من يعكس فيبدل الظاء ضادا فيقول في الظهر ضُهر^(٢).

ب - وألف الأئمة من قديم تأليف خاصة بالتمييز بين الضاد والظاء - ولولا أنهما كانا متشابهتين في صَدَيَّيهما إلى درجة التباس إحداهما بالأخرى ما استدعى الأمر تأليف خاصة لكشف ذلك الالتباس^(٣).

(١) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ٥٨ .

(٢) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٥٥ .

(٣) هذه الفكرة سبق إليها ابن سنان الحفاجي. قال في (سر الفصاحة ٥٧) إذا تأملت (اللغات الأخرى) وجدت بعض الحروف التي فيها تشابه بعض كثيرا على جد تشابه الظاء والضاد في لغة العرب فإن هذين الحرفين لتقاربان، لأجل ذلك احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ولم يتكلفوا ذلك في غيرهما من الحروف.

(٤) ينظر تحقيق د. حاتم الضامن لكتاب الاحكام في نظائر الظاء والضاد لابن مالك ٦-١٢ حيث أورد قائمة من تسعة وثلاثين كتابا في الضاد والظاء، ثم استدرك عليها أحد عشر كتابا في تحقيقه لكتاب أبي الحسن بن علي بن أبي الفرج القيسي الصقلي في معرفة الضاد والظاء ص ١٠ وكان د. رمضان عبد التواب قد ضمن تحقيقه لكتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات بن الأنباري قائمة من ثلاثين مؤلفا أفاد منهما د. حاتم الضامن في قائمته.

وقد أحصى بعض اللغويين المحدثين من تلك المؤلفات خمسين مؤلفاً^(١)، طُبِعَ منها كثير. أما سبيل التمييز بين الضاد والظاء في تلك الكتب فإن الجمهور الأعظم منها جعل سبيله إلى التمييز تعيين الكلمات التي فيها ظاء وحدها^(٢)، أو مع الكلمات التي فيها ضاد أيضاً، أو سرد أزواج الكلمات التي تناظرتا فيها. والسبيل الثاني - وقد اتخذه كتبٌ جِدُّ قليلة - هو بيان مخرج كل من الحرفين وصفاته وما يتميز به كلٌّ عن الآخر، وقد جمع الإمام أبو عمرو الداني في كتابه بين السبيلين^(٣).

والأهم لنا هنا هو السبيل الثاني. وأشفى معالجة وأوفاهها هي معالجة علي بن غانم المقدسي (١٠٠٤هـ) وقد أثبت فيه أدلة علمية صحيحة عقلية ونقلية (أي عن الأئمة) لتشابه صدى الضاد الفصيحة والظاء، وأن الفرق بينهما إنما هو في المخرج، وساق أقوال سبعة من الأئمة المشهورين في إثبات التشابه بين صدى الحرفين، منهم مكِّي بن أبي طالب والسخاوي والجعبري وابن الجزري والتَّجِيبِي والهُوَارِي^(٤) ولم يذكر ضمن هؤلاء أبا عمرو الداني (٤٤٤هـ) - مع أنه نص على أن الفرق بين الظاء والضاد إنما هو المخرج والاستطالة لا غير، وهي بعد ذلك موافقة لها في الجهر والرخاوة^(٥)، وكذلك لم يذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) مع قوله مُهَوَّنَا من كثرة حروف بعض اللغات الأخرى: «إنك إذا تأملتَها (أي تلك اللغات) وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه ببعض كثير، على حدِّ تشابه الظاء والضاد في لغة العرب، فإن هذين الحرفين متقاربان، لأجل ذلك

(١) من أمثلة ذلك قول القاسم بن علي الحريري (المزهر ٢/٢٨٦):

أبها السائل عن الظاء والضاد د ل ك ي لا تُضِلُّهُ الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك قاسم بها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء وللظالم والإظلم لام والظلم والظلمى واللحاظ

[الخفيف]

الخ. وفي رسالة ابن مالك (المزهر ٢/٢٨٢) «تعين الظاء بافتتاح ما هي فيه بدال لاحاء معها، وبكونها مع شين لا تليها إلا شَمَطَةٌ مَلَكٌ قلبه... الخ.

(٢) انظر كتابه «الفرق بين الضاد والظاء» بتحقيق د. أحمد كشك ص ٦١ - ٦٢ ثم سائر الكتاب.

(٣) ينظر بقية المرتاد لتصحيح الضاد «مجلة المورد» (١٣٧ - ١٣٨).

(٤) المرجع قبل السابق ٦١ - ٦٢. (٥) سر الفصاحة ٥٧.

احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ولم يتكلفوا ذلك في غيرهما من الحروف^(١).

ج - قوبلت الضاد في الفواصل والقوافي بالظاء - ولولا تشابه صدييهما ما جاز ذلك. قال أبو الأسود (٦٧/٦٩هـ) لغلامه: ما فعلت امرأة أليك التي كانت تشارّه، وتجارّه، وتزازه، وتمازه؟ قال: خيرا، طلقها وتزوج غيرها فحظيت ورضيت وبظيت^(٢). فقابل الظاء في حظيت وبظيت بالضاد في رضيت.

وثبوت التشابه والالتباس منذ القرن الأول أو الثاني دليل على أن صدى الضاد في نطق القدماء كان يشبه صدى الظاء. فهو النطق الفصيح لأن القرن الأول والثاني هما آخر قرون الاحتجاج.

على أنه يمكن الحكم بأن التخفف في نطق الضاد بأدائها شديدة كان يقع منذ وقت مبكر بسبب الكلفة في أدائها فصيحة أي رخوة جانبية كما وصفنا. وتكون في هذا النطق المتخفف كالضاد المصرية التي تشبه الدال المفخمة. وشاهد وقوع هذا النطق مبكرا قول الأغلب العجلي - حين استنشده عاملُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أرجزا تريد أم قصيدا - زوي: أم قريضا -

لقد سالت هينا موجودا

أم هكذا بينهما تعريضا.

كلاهما أجيد مستريضا^(٣).

فمقابلته الضاد في القافية بالدال في كلمتي «قصيدا» و«موجودا» أو الأخيرة فقط يعني أنه كان يحس أنهما متقاربان وكأنهما سواء - وهذا لا يكون إلا بنطق الضاد شديدة. ولهذا الأمر - إن صححت الرواية به - قيمته؛ إذ يعني أن الضاد المصرية (= الدال الشديدة المفخمة) لها أساس قديم فصيح.

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ص ٩.

(٢) انظر معاني القوآن للفراء ١/١٤٠، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥١٦، وبعض روايات هذا الرجز خالٍ من الشاهد. وفي قصة مثل «يسار الكواعب» ما يشهد لقدم نطق الضاد شديدة.

- وأيضا نجد في وصف ابن سينا لخروج الضاد أنها شديدة.

بقى بيان سبب تسمية العربية لغة الضاد. إن سبب ذلك هو تفرد العربية بهذا الصوت إذا أُدي الأداء الفصيح، وأنه يكون حين هذا الأداء ضخيم الوقع مجهدا. ولعل الجهد الذي يتطلبه إخراجها فصيحاً هو سبب تصرف الألسنة فيه على الصور التي أسلفناها من قبلُ تخففاً. ولقد قيل بتفرد العربية بأصوات أخرى كالعين والحاء والظاء. لكن العين والحاء مستعملتان في السريانية والعبرية. وإذا صدق تفرد العربية بالظاء كان تفردا بالضاد أصدق^(١).



(١) انظر ما ذكرناه في هذه النقطة عند المقارنة بين الأصوات العربية وغيرها (الوحدة الصوتية والصورة الصوتية). وللإعراب ١/٥٢، ٦٨ - ٧١، أسباب حدوث الحروف ١٠، نهاية القول المفيد ٦٠/٣٦، قبل، سر صناعة الإعراب ١/٥٢، ٦٨ - ٧١، أسباب حدوث الحروف ١٠، نهاية القول المفيد ٦٠/٣٦، العربية ليوهان فك ١٠٢ - ١٠٣ وكتب الأصوات للأساتذة د. أنيس ٤٨، د. إبراهيم نجما ٥٣، د. أيوب ٢٠٢، د. كمال بشر ١٠٤.

حروف مقدم اللسان أو طرفه مع أصول الثنايا العليا وصفحاتها

أ - الطاء والبدال والتاء:

وهن يخرجن بالتقاء مقدم اللسان أو طرفه بأصول الثنايا العليا وأعلى صفحاتها - أي دون أطرافها - التقاء محكما^(١) ونقصد بأصول لثتها ما يشمل لثتها المغطية لجذورها. فهي لسانية من جهة، وأسنانية من جهة أخرى. ولكل منهن حديث.

الطاء:

فالطاء تخرج بالتقاء مقدم اللسان وطرفه بأصول الثنايا العليا ولثتها وأعلى صفحاتها. وذلك مع ارتفاع أقصى اللسان وتقرع وسطه، لأنها مستعلية مطبقة. والشعور بضغط نطقها يشمل اللسان كله تقرينا. ومع البالد تقل مساحة ما يلتقي من مقدم اللسان وطرفه بأصول الثنايا العليا وصفحاتها، والشعور بضغط نطقها يقتصر على مقدم اللسان وطرفه، وكأنه طولي، لعدم تقرع وسط اللسان؛ لأنها مستقلة، منفصلة أيضا. - ويندفع للطاء الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين زامرا - لتضايقهما، حتى إذا وصل إلى تجويف الفم استعلى أقصى اللسان وتقرع وسطه، بحيث ينحصر نَفْسها بين الوسط المتقرع والنطع مع الغار، وامتد مقدم اللسان وطرفه ليلتقي بالثة وصفحة الثنايا - على ما وصفناه - التقاء محكما، فنسمع صوت الطاء.

فالطاء حرف مجهور، شديد، مستعل، مطبق مفخم، مصمت يقلقل إذا سكن. وهذا

(١) في كتاب سيبويه ٤/٣٣ «وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والبدال والتاء»، ٤/٥٨ «كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا»، ٤/٦٥ «لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنتين». وعبارة ابن سينا أن الطاء من الحروف الحادثة عن القلع دون القرع أو مع القرع. أما عبارة الخليل فهي أن «الطاء والبدال والتاء نطعية، لأن مبدأها من نطع الغاز الأعلى» (العين ١/٦٥). والنطع هو مقدم الغار الأعلى. فلعل الخليل كان يقصد أن هذا الجزء - أي ما بين اللسان والنطع هو الذي ينحصر عنده الهواء في نطق الطاء (وأختيها) دون فروق، فكانهن يتولدن فيه. وقد تبع ابن جني في (سر صناعة الإعراب ١/٥٣) عبارة سيبويه.

الذي وصفناه هو الطاء الفصحى التي وصفها الأقدمون. ولا يزال أبناء صعيد مصر الأتقاح ينطقونها، وهي تشبه في صداها الضاد المصرية الشديدة، وقد قال ابن الجزري إن أكثر المصريين وبعض أهل المغرب يخرجون الضاد ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرّون على غير ذلك،^(١) وهو يقصد الطاء الفصحى ولا شك. فاستنتجنا نحن من كلام ابن الجزري أن نطق الضاد المصرية الذي يشيع على ألسنتنا الآن شبيه جدا بنطق الطاء الفصحى. وبعبارة أخرى أن نطق الطاء الفصحى يشبه نطق الضاد المصرية. وأيد ذلك أن نطق الطاء قريبة من الضاد المصرية هكذا هو الذي يتحقق فيه الجهر وسائر صفات الطاء الفصحى، وأن نطق أهل صعيد مصر للطاء يكاد يطابق ضادنا المصرية. فهو النطق الفصحى للطاء لأنه يتحقق فيه مقررات الأئمة عن الطاء. ولا عجب في هذا فأهل صعيد مصر جمهورهم قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية. ثم هم معروف عنهم قوة الحفاظ على الموروث. أما الطاء التي ينطقها أهل شمال مصر وتشيع الآن فهي مهموسة، فليست هي الفصحى قطعاً. ولعل طاءنا هذه هي المقصودة بالكلام عمن ينطقون الطاء تاء^(٢).

ودليل آخر أن من شعراء العرب من قابل الطاء بالدال في قوافي الشعر، ولا يستسيغون ذلك إلا إذا كان صدى الطاء والدال متشابهاً، وهما لا يكونان متشابهين إلا إذا كانت الطاء مجهورة كما وصفوها قديماً. وهي حينئذ تكون كالضاد المصرية الشديدة التي ننطقها الآن وتشبه الدال ولا تمتاز عنها إلا بالتفخيم. قال الراجز:

إذا رحلتُ فاجعلوني وَسَطًا إني كبير لا أُطيق التَّئِداً^(٣)

وقال أبو النجم:

جاريةٌ مِنْ ضَبَّةٍ بِنِ أَدُّ...

(١) انظر نهاية القول المفيد ٧٨ .

(٢) ذكر هذا النطق سيبويه في الكتاب ٤/٤٣٢ ومن بعده ابن جني (سر صناعة الإعراب ١/٤٦). وابن سنان (سر الفصاحة ٢٢) وابن يعش - مع فضل بيان - (شرح المفصل ١٠/١٢٧) والفيروزآبادي وسماها طاء العجز والضرورة (بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩٢).

(٣) لسان العرب (عند) ٤/٣٠١ .

كَانَ تَحْتَ دِرْعِهَا الْمَنْعُطُ..

شَطًّا رَمِيَتْ فَوْقَهُ بِشَطٍّ^(١)

أما سر التطور الذي أصاب صوت الطاء على السنة بعض المصريين وغيرهم فهو التخفيف من ثقل الفصحى بتجريدها من الجهر. ولعل أصل ذلك من التأثير بالطاء الفارسية في العصر العباسي، فهي مهموسة.

الدال:

وتخرج بالتقاء طرف اللسان بلثة الشاى العليا مع لمس أعلى صفحتها - على ما وصفناه من قبل. ويمر لها الهواء بين الوترين زامرا حتى إذا وصل إلى تجويف الفم لم يرتفع أقصى اللسان ولم يتقعر وسطه وإنما يمتد طرفه ليلتقي بلثة الشاى وصفحتها التقاء محكما يحبس النفس.

فهي مجهورة شديدة مستفلة مصمتة تقلقل إذا سكنت.

التاء:

وهي كالدال إلا أنها مهموسة يمر لها الهواء بين الوترين غير زامر لسعة انفراجتهما، حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان ليلتقي بصفحتي اللثتين ولشهما التقاء محكما يحبس النفس.

فهي مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمته. وهي غير مقلقلة، إذ لم يجتمع لها الجهر والشدة. وأما وصف السكاكي^(٢) - ومن تابعه - التاء بالجهر فمبني على تلخيصهم معنى الجهر في عبارة «منع النفس» وحدها من تعريف سيبويه للجهر. وهي نظرة ينقضها المعنى اللغوي للجهر.

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٥٨ (وهناك مزيد من الأمثلة) وتكملة رجز أبي النجم في اللسان ٢٢٦/٩.

(٢) مفتاح العلوم ٥ - وقد أوردنا نص كلامه في ص ٩٨ عند الكلام على الكاف.

وطرف اللسان الذي يلتقي مع الشايبا ولتتها في هذه الثلاثة - يكون نقطة الالتقاء منه مع التاء أدق، ومع الدال تمتد نقطة الالتقاء إلى ظهر اللسان قليلا. ومع الطاء تتسع مع ذلك الامتداد فهي في القوة والغلظ بهذا الترتيب: الطاء أغلظ، والتاء أدق، والدال متوسطة.

تطبيقات :

ولا تحادهم في المخرج تقريبا، وتقارب أصداثهن - وقع بينهما الإبدال إلا أنه بين الدال والتاء أكثر منه بين الطاء وأي منهما^(١) - لأن غلظ الطاء باعد بينهما. كسدى الثوب وستاه (= ما مُدَّ من خيوطه طولاً من المنوال عند النسج)، والدُّوْلَة والثُّوْلَة (بضم ففتح) الداهية، والدُّفتر والثَّقْطَر، ومثل مَدَّ الحرف ومَطَّه، والإبعاد والإبعاط، وقَزَمَد الخطأ وقرمطها: ضيقها، ومثل الأقطار والأقْطار: النواحي، ما أَشْطِيع وما أَسْتِيع، والتَّخوم والطُّخوم.

- وفي التعريب وقع مثل ذلك الإبدال فالدُّخْدَار أصله بالفارسية تَحْت دَار، (التخت: وعاء تصان فيه الثياب) والطارِج أصله تازِه (والعامَة تقول طازَة)، والرُّشْدَاق أصله رُشْتاق (كل موضع فيه مُزْدَبَجٌ وقُرَى = ريف أو منطقة زراعية) والبِطْرِيق أصله بتريريك^(٢).

الإدغام:

وتدغم كل منهن في الأخرى. تقول اضْبِطْ دُلَاما، واضْبِطْ تَلْكَ، وانْقُدْ طَالِبا، وانْقُدْ تَلْكَ، وانْعَتْ طَالِبا، وانْعَتْ دُلَاما بالإدغام فيهن^(٣).

ومن الجدير بالذكر هنا أن إدغام الطاء في التاء أي في مثل اضْبِطْ تَلْكَ يجوز فيه إذهاب صفة الإطباق التي هي خاصة بالطاء دون التاء - وذلك حسب الأصل في

(١) ذكر في كتاب القلب والإبدال لابن السكيت ١٢ كلمة فيها إبدال بين التاء والدال (ص ٥٣)، ٩ للإبدال بين الدال والطاء، ٧ للإبدال بين التاء والطاء (ص ٤٧).

(١) انظر المعرب للجواليقي ١٨٩، ٢٧٧، ٢٠٦، ١٢٤ على التوالي.

(٢) ينظر الكتاب ٤/٤٦٠ - ٤٦١.

الإدغام وهو إفاء الحرف الأول في الثاني. وعلى هذا قرأ أبو عمرو قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فُوتَتْ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ بالتاء دون إطباق مع أن أصلها «فَوُتْتُ». ولكن أهمية صفة الإطباق وقوتها رجحت إبقاءها في الإدغام فتقرأ «فرطت» و«أحطت» بإبقاء الإطباق^(١).

بين الفصحى والعامية:

التاء والطاء:

- في العامية يقلبون التاء طاء أحياناً كما في نطقهم قُترة الأرنب أي المحجر الأرضي الذي (كان) يحفره ليعيش فيه هو وما يلدو. ويبدو هذا انتقالاً من حرف خفيف (التاء) إلى حرف ثقيل (الطاء). وجاء هذا بتأثير وجود القاف لأنها مستعالية مفخمة، فاستقلوا الانتقال من مفخم إلى مرقق، ففخموا التاء فانقلبت طاء لأن هذا هو الفرق بين التاء والطاء المهموسة.

- وسمعت بعض المصريين يقلن بتيخ وكنية التَّب - فيقلبن الطاء تاء ترققاً وتظرفاً. وهو نطق مقزز.



(١) ينظر شرح المفصل ١٤٥/١٠ - ١٤٦ .

حروف أسلة اللسان مع صفحتي الثنيتين العليين

الصاد والسين والزايء

وهن أسليات يخرجن من بين أسلة اللسان وهي مستدق طرفه، وصفحة الثنايا العليا. فهن أسنانيات أيضًا^(١). وإنما تفصل بينهما الصفات. والخروج أي منهن تمتد أسلة اللسان حتى تقترب من صفحتي الثنيتين القليين فلا يبقى للهواء إلا منفذ دقيق بين أسلة اللسان وصفحتي الثنيتين، فيخرج منه صافرا.

ومع الزاي يخرج من الأوتار الصوتية زمير يصحب نفسها فيخرج مجهوزا، وهي رخوة منفتحة مستقلة مصمته.

ومع الصاد يخرج النفس بلا زمير، ويستعلي أقصى اللسان ويتقعر وسطه ويرتفع مقدمه أيضًا فيتكون فراغ يكون الحنك كالطبق له - ينلظ الصفيير ويفخمه. فهي مهموسة رخوة مطبقة مستعلية مصمته.

ومع السين لا ارتفاع لأقصى اللسان أو مقدمه، ولا تقعر ولا زمير، فهي مهموسة رخوة منفتحة مستقلة مصمته.

(تطبيقات):

ولتجانسهن وقع الإبدال بينهما كثيرا. فبين السين والصاد في مثل: سفق الباب وصَفَقه، وسَفَط وصَفَط (وعاء كالجؤال أو كالقَفَّة)، وماء سُخْن وصُخْن^(٢). وبين

(١) ذلك تحدیدنا للمبني على الملاحظة وهو لا يخالف ما قرره الخليل من أن الصاد والسين والزاي أسلية (العین ٦٥/١) وسيبويه من أنهن يخرجن من بين طرف اللسان وفوق الثنايا (الكتاب ٤/٤٣٣) وتبعه ابن جني (سر الصناعة ٥٣/١) وتحدث ابن سينا (أسباب حدوث الحروف ١١) عن كيفية خروجهن بانطباق اللسان على الحنك - أو اقترابه منه جدًا - وخروج الحرف بتسرب النفس من المضيق بينهما. وكلامه عن إنطباق اللسان على الحنك في نطق هذه الحروف مردود. ووضعت دائرتا المعارف البريطانية وتشمبرز صوتي S، Z في نهر الأصوات الأسنانية والثوية. كما وضعت صورًا منهن في أنهار الأصوات اللثوية الحنكية، والحنكية اللثوية، والراجعة. وانظر نهاية القول المفيد ٣٧، ٨٩، والتجويد والأصوات د. إبراهيم نجما ٥٩ - ٦١. الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٧٧، وأصوات اللغة د. أيوب ٢٠٤.

(٢) القلب والإبدال لابن السكيت ٤٢.

السين والزاي مثل مكان شَأْسْ وشَأَزْ: غليظ، ونَزَعَه ونَسَفَه: طعنه بيد أو رمح،
والشَّايِبُ والشَّارِبُ: الضامر^(١) وبين الزاي والصاد مثل جاءتنا زمزمة من بني فلان
وصنصمة أي جماعة. ونَشَرَت المرأة على زوجها ونَشَصَت (عَصَتَه مستعلية)، والشَّرْزُ
والشُّزس واحد وهو الغلظ^(٢). (= خشونة أو دغك شديد/ شوء مخلق)

وقد وقع الإبدال بين السين والشين لخروجهما من مقدم اللسان مع طرفه كالجِخاس
والجِخاش: المزاحمة، وناقَة يزداح وشزداح: طويلة أو كثيرة اللحم. وَحِمَسَ الشروخِمَس: اشتد.
وفي اللغة الفارسية تنطبق الصاد كالسين^(٣). وينقل ما هو بالزاي صَادًا كالْبُوصِي
أصله بُوزِي : (ضَرَبَ من السفن)، وما هو بالشين ينقل بالسين كالْبِنْفَسَج أصله
يَنْفَسَه، والدَّشَت أصله دشت^(٤). والسين في العربية تقلب شيئًا في العبرية مثل سلام
وشالوم.

وتدغم كل منهن في الأخرى: احبس صابرا، افحص سألما، رز سَلَيْمًا، احبس زُهَيْرًا،
أوجز صَادَقًا، افحص زَيْدًا.

بين الفصحى والعامية:

السين والصاد:

- في الفصحى «الخلايس: الأباطيل والأشياء التي لا نظام لها ولا تجري على استواء.
أخذت منها العامية الخَلْبُوص (بقلب السين صَادًا) وهو الملتوي غير المنضبط. وفي الفصحى
أيضًا الخلايس: اللقام من الناس وفي الفصحى كذلك الخَلْبُوص (بوزن قربوس): الطَوَاؤُ وهو
ما يسمى الآن: النشال. فهذا ساعد على إكساب «الخَلْبُصة» العامية معناها.

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) ذاته ٤٠ .

(٣) انظر القطوف واللباب في اللغة الفارسية للعلامة حامد عبد القادر ٨، القواعد الكافية في اللغة الفارسية.

(٤) انظر المغرب للجواليقي ١٠٢، ١٢٧ ، هامش ١٨٦ على التوالى، والبوصي ضرب من السفن، والدشت الصحراء.

- وكلمة بَلْبُوص التي تستعملها العامة تأكيدًا لمعنى الغُزي نرى أن أصلها «بِلَا لَبُوس»
فحذفوا إحدى اللامين وقلبوا السين صاذاً.
- وكلمة هَجَاص بمعنى الذي يقول كلامًا لا أصل له هي من الهَجَس بسكون الجيم
بمعنى خُطور الشيء في البال، وأن يُحَدِّث الإنسان نفسه في صدره.
(السين والشين) - من معاني الشَّلَق في الفصحى إدخال إحدى عروتي الجوارق في
الأخرى دون أن تُثْنَى. وكان العَوَام يستعملون شيئًا كذلك عند خياطة أفواه الأجنولة
خياطة يسيرة غير مؤزّبة فيسمون الخيط الذي يستعمل في ذلك شَلَقًا بالشين. فأبدلوا
السين شيئًا لتجاوز مخرجيهما.



حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا

الظاء والذال والطاء

ويخرجن بامتداد طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، وخروج الهواء تَشْرِبًا من جانبي طرف اللسان، ومما بين الثنايا واللسان من مسارب دقيقة. ومع الظاء يمر الهواء بين الوترين زامرًا حتى يصل إلى أول تجويف الفم فيرتفع أقصى اللسان ويتقعر وسطه، ويمتد طرفه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى ويمر الهواء من بين جانبي طرف اللسان وما بينه وبين الأسنان. فالظاء مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة.

ومع الذال يمر الهواء بين الوترين زامرًا أيضًا حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى وتكون رعوس الثنايا العليا فوق طرفه في نقطة أدخل في اللسان مما يكون مع الظاء. لأن استعلاء أقصى اللسان وتقعر وسطه في نطق الظاء يقصران طوله فيقل امتداده بين أطراف الثنايا. فالذال مجهورة رخوة منفحة مستقلة مصمتة.

ومع الطاء يمر الهواء بين الوترين غير زامر لاتساع ما بينهما - حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان بين رعوس الثنايا حتى تكون رعوس الثنايا العليا فوق طرفه كالحال في نطق الذال. فالطاء مهموسة رخوة منفحة مستقلة مصمتة. ولعله وضح أن الظاء أغلظ وأقوى للإطباق والجهر، والذال أقل قوة لأن فيها الجهر وحده، والطاء أضعفهن في هذا لخلوها من الإطباق والجهر. ولكنهن في اتساع انتشار الهواء بعكس ذلك، لأن خلو الطاء من الزمير يبرز الشعور باحتكاك خروج النفس معها من نقط كثيرة حول طرف اللسان، وربما كان طرف اللسان يمتد مع الطاء أكثر. والظاء أقلهن من حيث ذلك الشعور، والذال متوسطة^(١).

(١) عن هذه المجموعة انظر العيين والكتاب وسر صناعة الإعراب في المواطن الممهودة قبلا، ونهاية القول المفيد ٣٧ ، ٨٩ والأصوات اللغوية د. أنيس ٤٧، التجويد والأصوات د. إبراهيم محمد نجما ٥٤، وأصوات اللغة د. أيوب ٢٠٢.

تطبيقات:

وقد وقع الإبدال بين الثاء والذال بصورة متوسطة^(١) مثل التَّيْبِثَة والتَّيْبِذَة للتراب الذي يخرج من البئر، وقَسَمَ له من ماله وقَدَمَ إذا دفع إليه دَفْعَةً فأكثر، وقرأ فما تَلَعَمَ وما تَلَعَمَ.... ولم يوردوا إبدالاً بين الظاء وأَيٍّ منهما - ربما لما تميزت به الظاء من غلظ يباعد البون بينها وبينهما.

وقد وقع الإدغام بين كل منهن والأخرى فالثاء في الذال مثل ابعث ذلك، وفي الظاء مثل ابعث ظاهراً، والذال في الثاء مثل أنقذ ثابثاً، وفي الظاء اللهم خذ ظالمًا، والظاء في الثاء مثل احفظ ثابتاً، وهي في الذال مثل احفظ ذلك.

وواضح أن الإدغام هنا يوفر جهداً أكثر مما يوفر في حالات الإدغام الأخرى، لأن هذه الحروف نطقها مجهد حيث تتطلب مد اللسان حتى يقع طرفه بين أطراف الشنايا العليا والسفلى. فالإدغام في نطق المتواليين منها يخفف شطر الجهد الذي يجب بذله عند عدم الإدغام، كما يوفر التحفظ الذي يجب عند عدم الإدغام.

وقد تعرضت حروف هذه المجموعة الثلاثة للتطور على السنة العوام وأشباههم. فالظاء تنطق كالصاد المشمة زايا في بعض الأنفاظ كالظلم والظهور والظن - فتنتقل إلى مخرج الزاي وتُفَحَّم أو الصاد وتُجْهَر - وبعض النساء ينطقها زايا خالصة أي غير مفخمة - وفي هذا الانتقال تخفف للتخلص من إخراج اللسان تحت أطراف الشنايا، وقد تنطق كالضاد المصرية الشديدة كما في الضهر والضلمة والضلل - وهو تخفيف بترك مد طرف اللسان، وترك الرخاوة إلى الشدة. والذال تنطق زايا خالصة تخففاً من مد طرف اللسان بين أطراف الشنايا كما تنطق العامة الذكور والمذهب والذنب، وقد تنطق دالاً تخففاً من مد اللسان ومن الرخاوة كما ينطقون الذيل والذهب والمذنب. وقد تفخم حيثذ كما ينطقون الذرة ضرة. والطاء تنطق سينا أو تاء، وفي كليهما تخفف من مد طرف اللسان تحت الشنايا كما ينطقون المثل (مَسَل) والثواب والثورة، وكما ينطقون الثوم

(١) وقع في ١٠ كلمات في القلب والإبدال لابن السكيت ص ٣٩.

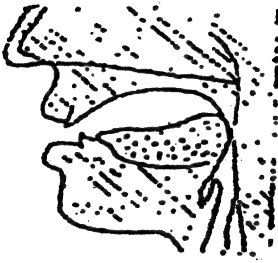
والثَّوْب والفعل ثنى ومشتقاته، وقد تفخم حيثُذ فتشبه الطاء كما ينطقون الطُور (ذكر البقر) وفي نطقها تاء أو طاء تخلص من الرخاوة أيضًا.. وقل تطورهن إلى غير ذلك. وكل ذلك خطأ عاتمي فاحش.

وقد رأينا أن كل ذلك التطور كان للتخفيف بالاعتصاف في حركات اللسان وعدم التقيد بمآ. طرفه بين أطراف الثنايا فيفقد كل من هذه الحروف مخرجها، وأحيانًا صفة الرخاوة، وصفة الاستعلاء أيضًا. وينبغي أن يتنزه المثقف عن كل ذلك.

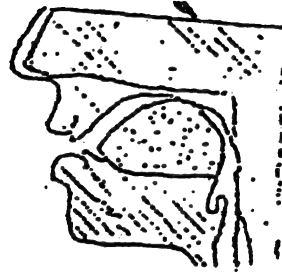
وفي ضوء هذا يبدو منطقيًا أن تقلب التاء في اللفظ الأعجمي إلى تاء عند تعريبه كما قالوا إن التوت أصله ثوث، والتَّجِير - عصارة التمر - أصله التَّجِير. ويبدو صنيعهم عكس ذلك مخالفًا للمعتاد كما قيل إن الساذج أصله ساده، وإن الجردق - الخبز الغليظ - أصله بالفارسية كَرده^(١) (أي بالكاف الفارسية G). ولا تفسير لذلك إلا أنهم حاولوا أن يكسبوها مزيدًا من صبغة العربية فنقلوها بالرخاوة.



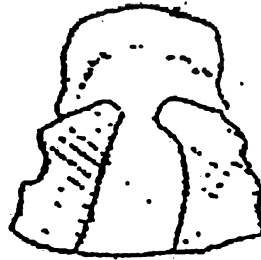
(١) انظر المعرب للجواليقي ١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٤٦ ، ١٤٣ على التوالي.



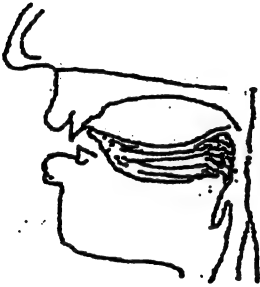
ومع القاف



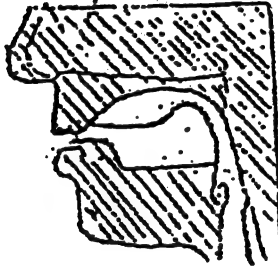
وضع اللسان مع الكاف



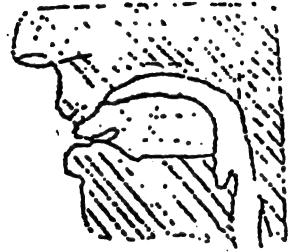
ما ينطبق من اللسان على الحنك عند النطق بحرف
الشين في الإنجليزية والفرنسية على التوالي



ض



ظ



ذ

وضع اللسان مع الذال ثم الظاء ثم الضاد

حروف الشفة مع الأسنان

الفاء:

وتخرج بالتقاء أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى. ويندفع لها الهواء مازاً بالوترين غير زامر حتى يصل إلى تجويف الفم خارجاً فيعترض طريقه التقاء رءوس الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى، ويخرج الهواء من أثناء الملتقى وجوانبه باحتكاك نسمع منه حرف الفاء^(١). والفاء مهموسة، رخوة، مستفلة. مفتحة، وضمت إلى حروف الذلاقة واتصفت بها ليسر نطقها، إذ لا تكاد تكلف الجهاز الصوتي إلا جذب الشفة السفلى إلى الداخل قليلاً فيلتقي باطنها بأطراف الثنايا العليا، وبهذا الوضع تخرج الفاء.

تطبيقات:

ونظراً لتقارب مخرجي الفاء والثاء وتشابه صدييهما فقد كثر الإبدال بينهما - كما في الجَدَف والجَدَث: القبر، الحَفَّالة والحَفَّالة الرديء من كل شيء، العَفَّة والعَفَّة - بالضم : الشيء غير الكثير من المرعى أو العيش.

ويبدو أن الإحساس بخروج الفاء من مخرج مختلف عن مخرج الثاء، وبهيئة مختلفة، قصر التشابه بينهما على ناحية الصدى، كما قصر الصلة بينهما على هذه الناحية بوقوع الإبدال بينهما، فحسب. إذ لم يرد بينهما إدغام.

وهذه من الحالات النادرة - أعني امتناع الإدغام مع قرب المخرجين. ولكن هذا يثبت - من ناحية أخرى - أن الإدغام ليس أمراً عشوائياً، ولا تلقائياً. وإنما يخضع لضوابط

(١) لا يكاد يوجد خلاف في مخرج الفاء. وقد وضعت دائرتا المعارف (البريطانية وتشمبرز) حرفي V (الفاء المجهورة) و F (الفاء المهموسة) في نهر الحروف الشفوية الأسنان. وانظر العين، والكتاب وسر الصناعة. وأسباب حدوث الحروف في المواطن المعهودة، نهاية القول المفيد ٣٨ و ٩١ والتجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ٤٨ ، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٤٠ .

علمية، فإن اختلاف هيئة خروج كل من الحرفين مع الآخر بحيث لا يمكن الجمع بينهما في هيئة واحدة = منع الإدغام.

* ولكن للفاء مع الباء شأنًا آخر سيأتي.

* هذا وقد يفيد هنا أن نشير إلى أن الحرف الأعجمي V هو المقابل المجهور للحرف F المساوي للفاء العربية. فهو من مخرجه ولا يمتاز عنه إلا بالجهر. ولعل قيمة هذا أنه قد يوجد في كلمات تُعْرَب وتدخل العربية. فقد يُعْرَب واؤًا وقد يعْرَب فاء كما سيأتي.



الحروف الشفوية

الباء

وتخرج بانطباق الشفتين في نقطة أقرب إلى باطنهما. ويندفع لها الهواء من الرئتين فيمر بين الوترين زامراً ويستمر إلى الفم فالشفتين حيث تنطبقان في نقطة أقرب إلى باطنهما انطباقاً محكماً قوياً، يحبس الهواء حبساً تاماً ونسمع صوت الباء^(١).
* والباء مجهورة شديدة مستقلة مفتحة، وهي من حروف الذلاقة بسبب نطقها بمجرد التقاء الشفتين. أي بسبب خفتها.

تطبيقات :

* ومع تجاور الباء والفاء في الأخرج إلا أنهم لم يوردوا وقوع إبدال بينهما، ولعل مراد ذلك إلى أن مثل هذا الإبدال لا يضيف كسباً، إذ لا يترتب عليه تخفيف مثلاً. فالباء والفاء خفيفتان وكتلتاهما من حروف الذلاقة. ولكن وقع في لهجة عُقَيْل وغيرهم عَكَبَت الطير أي عكفت، والخَزَب - يعنون الخَزَف، والمِصْطَفَة أي المِصْطَبَة^(٢) ويشيع بين إخواننا الهوسيين في شمال نيجيريا إبدال الباء الثقيلة (P) فاء فيقولون الدفلوم يقصدون الدبلوم. وفي المغرب للجواليقي أن الفَصْفَص أصلها بالفارسية إسبست، وأن كلمة فارس (اسم القطر) أصلها بالباء، وأن الفنجان أصله بَنَكَّان، والفالوذق - والعامة تقول بالوظة - أصلها بالفارسي بالوده

(١) هذا التحديد تثبته الملاحظة ولا يكاد يوجد فيه خلاف (انظر المراجع السابقة) إلا أن ابن سينا التبس عليه مخرج الباء فجعله من موضع الفاء بغينه إلا أنه مع حبس تام (أسباب حدوث الحروف ١٣) وهذا غير صحيح. أما بالنسبة لكون ملتقى الشفتين هنا أقرب إلى باطنهما فشبهه الملاحظة أيضاً وقد قال في نهاية القول المفيد ١٢٥ «إن الميم والباء تخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقاً اه. وفي ص ٣٨، وانطباقهما مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم، والمنطبق في الباء طرفا الشفتين اللذان يليان داخل الفم. وأما كون الانطباق هنا قوياً أو أقوى مما مع الميم فذلك لأن انطباق الشفتين هنا يحبس الهواء، ويتم في منطقة أكثر رخاوة مما مع الميم وهي باطن الشفتين - وهي لرخاوتها أكثر استجابة لإحكام الانطباق وحبس الهواء. وحبس الهواء في حد ذاته بهذه الصورة يُشعر بقوة الضغط والانطباق.

(٢) انظر اللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين المهندي ٣٢٣ .

والباءات في هذه الألفاظ التي عُرِبت كلها ثقيلة^(١) والحرفان يتبادلان في العبرية، وبينها وبين العربية: فالكتابة (كتف). وقد ذكرنا ذلك قبلاً.

وللتجاور وتقارب الهيئة وقع إدغام الباء في الفاء في مثل اذهب في ذلك (اذهقني ذلك)، وفي الميم في مثل القول المشهور «اصحَب مطراً» تنطق (اصحَمَطَراً)، وتقول «اطلب محمداً». فتدغم الباء في الميم.

- أما الميم فلا تدغم إلا في مثلها تجنباً للإجحاف بحذف غنتها.

• ووقع في القراءات^(٢) إدغام الباء في الفاء في مثل ﴿وَأَن تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٣)، و﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِن جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾^(٤).

﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).
﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦).

﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِن لَّكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾^(٧).

كما وقع إدغام الفاء في الباء: ﴿إِن نُّشَأْ نُخَسِّفَ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾^(٨) - في قراءة الكسائي وحده^(٩).

الميم:

وهي أنفية شفوية، وتشترك مع النون في صفة الأنفية أي اشتراك الأنف في إخراج

(١) العرب ص ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٩ على التوالي.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٨/٢ .

(٣) سورة الرعد ٥ .

(٤) سورة الإسراء ٦٣ .

(٥) سورة النساء ٧٤ .

(٦) سورة الحجرات ١١ .

(٧) سورة طه ٩٧ .

(٨) سورة سبأ ٩ .

(٩) النشر في القراءات العشر ١٢/٢ .

كل منهما، ولذا قد يوصفان بأنهما (أَنْفِيَّان) أي يشترك الأنف والفم في إخراج كل منهما. ولكننا نظرنا إلى أن الجزء الفموي منهما ليس واحدًا فهو مع النون طرف اللسان، ومع الميم الشفتان، فآثرنا وضع كل واحدة منهما في المجموعة التي تشترك معها في الأحكام^(١).

والميم تخرج بانطباق الشفتين مع مرور هوائها وزميرها من الأنف إذ يمر هواؤها من بين الوترين زامرًا ويستمر ويكون سبيله في الفم مغلقًا بانطباق الشفتين، فيخرج من الأنف، وهناك يكتسب تلك الغنة الشبيهة بغنة النون. هذا وانطباق الشفتين مع الميم يتم في نقطة أقرب إلى ظاهر الشفتين أي خارجهما من نقطة التقائهما مع الباء، وبضغط وإحكام أخف مما مع الباء^(٢).

والميم مجهورة رخوة (حسب ما حكمنا بالنسبة لما وُصِف بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل الهواء - بانطباق الشفتين، وخروج الهواء رغم ذلك من الأنف)^(٣) وهي منفحة مستقلة مذلقة. أما ذلاتها فلخفتها في النطق إذ لا يكلف نطقها إلا التقاء الشفتين أيسر التقاء.

تطبيقات :

ولاشتراك الميم مع الباء في بعض المخرج أعني الشفتين - كثر وقوع الإبدال بينهما جدًا كما في بَتَاتٍ بَخْرٍ وَبَنَاتٍ مَخْرٍ (لسحاب يأتين في قُبُل الصيف منتصبات في

(١) فالتون مع حروف طرف اللسان ولهذا تدغم فيها لام التعريف كما تدغم في سائر حروف طرف اللسان، والميم مع حروف الشفتين ولهذا لا تدغم فيها لام التعريف كسائر الحروف الشفوية.

(٢) هذا يشهد له الحس، وانظر تعليقنا على نحو هذا في الكلام عن الميم. ولعل سبب الإحساس بلطف الضغط والإحكام هنا هو أن انطباق الشفتين هنا لا يحبس الهواء، كما أنه يتم في نقطة من الشفتين ظاهرة وهي أيضًا أجف من نقطة الالتقاء مع الباء. وليس مخرج الميم موضع خلاف (انظر العين والكتاب وسر صناعة الإعراب في المواضع المعهودة قبلًا)، وقد وضعت دائرتا المعارف البريطانية وتشمبرز صوت ال M في نهر الحروف الشفوية، إلا أن ابن سينا قرر أن حبس الهواء مع الميم بعضه يحدث عند الشفتين وبعضه في الخيشوم وقتيا (أسباب حدوث الحروف ١٣) وهذا غير دقيق.

(٣) هذه وجهة النظر التي استنبطها التأخرون من كلام سيبويه. والاعتداد بخروج النفس يجعلها رخوة.

السماء. وظأْبُ التيس وظأْمه: صياحه في هياجه، والشأْسَمُ والشأْسَبُ شجر^(١)، ويفشو الإبدال بين الباء والميم في لهجة مازن ربيعة وغيرها فيقال بأسمك؟ ومكر، اظْبَانُ في ما اسمك، وبكر، واطْمَأَنَّ^(٢).

ويقع في القراءات إدغام الباء في الميم في ﴿تَا بُنَىٰ أَزْكَبَ مَعْنَا﴾^(٣) ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) أما إذا تقدمت الميم، فإنها لا تدغم ولكن تُخْفَى فحسب - وسيأتي ذلك في التجويد مثل ﴿وَمَنْ يَغْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥) ولعل السر أن الإدغام حينئذ سيذهب بالميم وگتتها وهي مزية لها، ويأتي بالباء مشددة مع أن الميم أخف كما عرفنا في مخرجها وصفاتها، ولا يستساغ الانتقال من الخفة إلى الثقل فذلك عكس الهدف من الإدغام.

أما الميم والنون فقد سبق بيان اشتراكهما في خروج هوائهما من الأنف مكونًا غنة تعقد شبهًا بينهما، بالإضافة إلى تقارب مخرجيهما. ومن هنا وقع الإبدال بينهما كثيرًا^(٦) كالغَيْم والغَيْن، وماء آجن وآجِم، وأمغزت الناقة وأنغزت (خالطت لبنها حمرة من دم).

- الإدغام: وتدغم النون في الميم مثل يَمَا وَعَمَا (مِنْ مَا. عَنْ مَا) ولكن لم يدغموا الميم في النون... قال سيويه: (ولم يدغموا الميم في النون لأنها (أي الميم) لا تدغم في

(١) وقع في ٥٦ كلمة في القلب والإبدال لابن السكيت ١٠ - ١٧ وهو أكبر عدد من الكلمات وقع فيه الإبدال - مما أورده هذا الكتاب.

(٢) انظر لهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين ص ٣٢٢ .

(٣) سورة هود ٤٢ .

(٤) العبارة وردت في القرآن ٦ مرات: البقرة ٢٨٤، آل عمران ١٢٩، المائدة ١٨، و٤٠، العنكبوت ٢١، الفتح ١٤ - وكلها (ويعذب) إلا الرابع والخامس (الإدغام كبير فيها جميعًا ما عدا الأول. النشر ٢٨٧/١ .

(٥) سورة آل عمران ١٠١ .

(٦) وقع في ٢٤ كلمة في القلب والإبدال لابن السكيت ص ١٧ .

الباء^(١) التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين^(٢)، فكذلك لم يدغموها في ما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة^(٣).

هذا وقد قالوا إن السَّمْسَار أصلها بالفارسية السُّفْسِير^(٤). والفاء والميم كلاهما شفوي. إلا أن الميم أنفية أيضًا ومجهورة في حين أن الفاء مهموسة وصداهما متباعد ولذا لم يوردوا إبدالاً بينهما في العربية.

بين الفصحى والعامية:

الميم والنون:

الفصحى (مضغ) اللبان تنطقه العامة أحيانًا: (تدغ) بقلب الميم نونًا لتقارب المخرجين مع تشابه جرس الصوتين، وقلب الضاد دالًا نقلًا عن النطق المصري للضاد وهو نطقها شديدة فتشبه الدال المفخمة ثم يضيفون التخلص من التفخيم أيضًا.

- وفي حالة سكون الهواء مع الحر يقولون (الدنيا زنته). وأصلها (زامته) (أي خانقة).

الواو:

والمقصود هنا الواو في مثل وَلَد، وَقَوْل، وَذَلُّو. وسنعرف بعد أن الواو هنا تعد من الحروف الصامتة. ويشارك اللسان والشفتان في إخراج الواو. وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين الصوتيين زامرًا لتضايق تمرّزه بينهما، فإذا وصل إلى اللسان ارتفع أقصاه واستدارت الشفتان مع ذلك فمر الهواء بصوت الواو^(٥).

(١) سبق أن بينا أنها تخفي لا تدغم.

(٢) يقصد بالشدة انطباق الشفتين أو تلاقيهما - لا حبس النفس.

(٣) الكتاب ٤/٥٦.

(٤) العرب للجواليقي ٢٢٣.

(٥) هذا التحديد تشهد له الملاحظة وقال بشرطه الخاص باستدارة الشفتين سيويه ومن تبعه (الكتاب ٤/٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/٥٣) أما بخصوص ارتفاع أقصى اللسان فقد جاء عن المتأخرين أن الضمة تستعلي في الحنك (نهاية القول المفيد ١٠٢) فإذا أضفنا هذا إلى ما قرره من أن الضمة بعض الواو (سر صناعة الإعراب ١/١٩ وانظر الكتاب ٤/٣١٨) ننتج عن ذلك أن الواو أوضح وأشد استعلاء. ومعروف أن الاستعلاء إنما هو استعلاء أقصى اللسان. وقد وضعت الدائرتان البريطانية وتشمبرز حرف W =

فالواو صوت مجهور رخو (مستعل)^(١) منفتح مصمت.

ولم يوردوا إبدالاً بين الواو والميم رغم اشتراك الشفتين في إخراج كل منهما؛ ربما لتباين صدييهما^(٢). ولذلك أيضاً لم يقع بينهما إدغام.

وللتجاور بين الواو والباء، وقع الانتقال من إحداهما إلى الأخرى عند التعريب. فقد قالوا إن الشبَّثَ (البقلة المعروفة التي تنطقها العامة بالتحريك والتاء) أصلها بالفارسية شوذ، وإن كلمة قابوس أصلها كاووس^(٣).



= في نهر الحروف الشفوية. وانظر عن الواو الكتاب ٤/٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/٥٣، ٦٩، وأسباب حدوث الحروف ١٣، نهاية القول المفيد ٣٣، ٣٨، ٩٢.

(١) كان القدماء يصفونه بالاستفال (انظر سر صناعة الإعراب ١/٧١)، وانظر ما جاء في التعليق السابق لهذا.

(٢) يُعدّ نادراً إبدال الواو ميماً في كلمة فوه، حيث حذفت الهاء ثم أبدلت الواو ميماً. ينظر العين (درويش) ١/٥٦ - ٥٧.

(٣) انظر المعرب للجواليقي ٢٥٧، ٣٠٧ على التوالي.

الحركات Vowels

الحركات نوعان رئيسيان: حركات طويلة وهي حروف المد: ألف المد وواو المد وياء المد، وحركات قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة. وهناك حركات فرعية قيمة أكثرها أدائية أي أنها ليست حركات مستقلة لها مقابل في المعنى، بل هي مجرد أداء للحركات الأصلية يختلف كيفاً أو كمّاً أو موقعا عن الأداء الأشهر للحركات الأصلية. وهي كالحركة الممالة، وكحركة الزؤم والحركة المختلطة (والحركة فيهما جزء من الحركة القصيرة).

ولكن المهم الآن أن نعلم :

(أ) أن تلك الحركات سميت كذلك لأنها تخلق الحرف الذي تترن به. إلى موضعها هي^(١). أي أنها نقلة عن مخرج الحرف إلى مخرجها هي. فيتيسر انتقاله لمخرج الحرف التالي.

(ب) وأن الحركة تلي الحرف في النطق لا تسبقه ولا تزامنه في تكوينه. وقد برهنوا على ذلك أيضاً بما يكفي^(٢).

(ج) أن الحركات القصيرة أبعاض الحركات الطويلة أي أن الفتحة بعض من الألف (أي نصفها في المد الطبيعي)، والضمة بعض من واو المد (أي نصفها عند المد الطبيعي) والكسرة بعض من ياء المد (نصفها المد الطبيعي)، وقد برهن ذلك القدماء بما فيه الكفاية^(٣).

كما ينبغي أن نعي أن الحركات بنوعها من أهم أصوات اللغة، وقد حظيت - لأهميتها تلك - باهتمام دارسي الأصوات في كل اللغات، وذلك لأنه لا يمكن بناء اللغة بدون الحركات، في حين أنه يمكن بناؤها مع الاستغناء عن عدد من الحروف يساوي عدد الحركات. ونحن نعلم أن توالي حرفين غير متحركين ليس مستساعاً في

(١) سر صناعة الإعراب (تحقيق: السقا..). ٣٠/١. (بتصرف) وعبارته: «لأنها تخلق الحرف الذي تترن به وتجذب نحو الحروف التي هي أبعاضها».

(٢) ذاته ٣٢ - ٣٨.

(٣) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ١٩/١ - ٣١، وفي الكتاب ٣١٨/٤ (ومنهن) يعني من حروف المد كل حركة).

العربية بصفة عامة. يقل جداً في الإنجليزية مثلاً توالي أكثر من ثلاثة أحرف بلا حركات بينها. وإنما تصاغ الألفاظ المركبة من حروف بتخلل الحركات إياها. ومن العجيب أن يلحظ سيوييه كثرة اشتراك الحركات (الطويلة) ثم القصيرة في الكلام منذ ذلك العصر المبكر أيضاً فيقول: «فأما الأحرف الثلاثة (بمعنى حروف المد) فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف (بمعنى كلمة) أو من بعضهن... ثم ليس شيء من الزوائد يُعَدَّلُ كثرتهن في الكلام.. هن لكل مد، ومنهن كل حركة، وهن في كل جميع (بمعنى: كل مجتمع)، وبالياء الإضافة، والتصغير، وبالألف التانيث، وكثرتهن في الكلام وتمكثهن فيه زوائد أفشى من أن يحصى ويدرك»^(١).

وفي تحليل سريع لدور الحركات الست مع الحروف الثمانية والعشرين (نسبتها إلى مجموع الأصوات نحو ١٧,٥٪) نجد أن سورة الفاتحة - مثلاً - تحتوي من الحروف ١٢٠ حرفاً ومن الحركات ٧٨ حركة. أي أن نسبة الحركات المستعملة في السورة إلى مجموع حروفها وحركاتها نحو ٤٠٪. وتحليل آيات السورة آية آية لم تقل هذه النسبة في أية آية عن ٣٧٪. أي أن قيمة الحركات في بناء اللغة أكثر من ضعف نسبتها بين الأصوات المجردة، وأنها تسهم في ألفاظ اللغة أكثر من الثلث. وهذا شاهد علمي كاف على خطورة الحركات (أعني قيمتها الكبيرة) في تركيب اللغة. فإذا أضفنا إلى ذلك وضوح أصوات الحركات في اللغة، وأن أي انحراف في أدائها يسطع صدها في الكلام حتى يصدم السامع أو القارئ، تبين لنا أساس اهتمام العلماء القدماء ثم المحدثين بخاصة بهذه الحركات.

وقد بلغ من اهتمام العلماء المحدثين بضبط أداء الحروف والحركات أن وضعوا لها معايير علمية تدقق المخارج والصفات، وتضبط وضع اللسان والشفثين عند أداء كل حرف وحركة. ثم عُمِّمت تلك المعايير حتى صارت عالمية تنسب إليها الحروف والحركات في اللغات المختلفة. وسنجتزئ من هذا المستوى العالمي بدواسة الحركات في لغتنا أولاً ثم نتناول الحركات المعيارية ونسبة حركاتنا إليها.

(١) الكتاب ٣١٨/٤ ..

والحركات كلها مجهورة ورخوة. وقد وصفت أيضًا بالخفاء لا بمعنى عدم الوضوح - فهن أوضح أصوات اللغة، ولكن بمعنى لطف تميز كل منهن أي ضعف حدودها كصوت مستقل - لاتساع مَدْرَجِها وعدم حصر الصوت أو تضيقه ضيقًا كبيرًا في أداء أي منهن. وتعليل مكّي بن أبي طالب خفاءها بأنها «لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها، ولا لها مخرج تنسب على الحقيقة إليه، ولا تتحرك أبدًا، ولا تتغير حركة ما قبلها، ولا يعتمد اللسان عند خروجها على عضو من أعضاء الفم. إنما تخرج من هواء الفم حتى ينقطع النفس والصوت في آخر الحلق. فهي خفية في اللفظ، ولذلك لا تكون إلا متصلة بما قبلها، ولا تختلف حركة ما قبلها، ولا تكون إلا ساكنة: اهـ^(١) فيه مأخذ: فاللسان له دور في إخراج الياء والواو يُكْمِل دَوْرَ فتحة الزمار التي هي مخرج صوت الثلاثة. وفي بعض كلامه الآخر تسامح. ويلاحظ أن الكلام عن الألف أساسًا وعن واو المد ويائه تبعًا.. أي عن الحركات الطويلة التي هي حروف المد. وبرغم هذا (التخريج) فإن وصفها بالخفاء غير مقبول - كما فصلنا في موضع آخر.

وللنطق بألف المد يمر هواء الرئتين بين الوترين زامرًا لتضايقهما، ويستمر إلى تجويف الفم إلى اللسان. وهنا يظل اللسان راقدًا في مهده، والشفتان في وضع معتاد أو محايد أيضًا فنسمع صوت ألف المد المرققة في نحو (عام وسام). أو يرتفع أقصى اللسان قليلًا - إن كانت الألف مفخمة في مثل صام وقام، وتكون الشفتان مفتوحتين في وضع شبه معتاد. فالألف المفخمة في أول درجات الاستعلاء.

وللنطق بياء المد يمر هواء الرئتين بين الأوتار الصوتية زامرًا - لتضايقهما - حتى إذا بلغ تجويف الفم ارتفع وَسطُ مقدم اللسان أكبر ارتفاع - لكن بحيث لا يحدث حفيقًا، وإلا تولدت الياء الصامتة في مثل زَيْت ويلعب - وانفجرت الشفتان فنسمع صوت الياء الممدودة. وللنطق بواو المد يمر هواء الرئتين بين الأوتار الصوتية زامرًا إلى الفم فيرتفع أقصى اللسان وتستدير الشفتان.

(٢) انظر ما يأتي.

(١) الرعاية ١٢٧ - ١٢٨ .

والضمة والفتحة والكسرة أبعاض لواو المد وألف المد وياء المد، إلا أن الضمة وأختيها أقصر من الواو وأختيها امتدادًا وزمناً، ولكن للضمة مخرج واو المد وسائر صفاتها، وللفتحة مخرج ألف المد وسائر صفاتها، وللکسرة مخرج ياء المد وسائر صفاتها. هذا وقد اكتفي القدماء بوصف الحركات الطويلة بأنها جوفية أو هوائية مفسرين ذلك بأنها تخرج وتجري في جوف جهاز النطق وهوائه، ويقولون إنه ليس لها مخرج خاص يُعتمد لها فيه أي يضيق لها أو يُغلق كسائر الحروف^(١) وكلامهم عن خروجها من (الجوف) تحريره أن زميرها - وهو قوائها - يخرج من الحنجرة. وهي باب الرثة. كما وصفوا الألف بالتصعد، والياء بالتسفل والواو بالاعتراض بين التصعد والتسفل^(٢). وأشاروا إلى استعلاء الضمة، والفتحة (المفخمة)^(٣) وهما جزءان من الواو والألف كما مر، وإلى استدارة الشفتين مع الواو الصامتة واو المد.

الحركات المعيارية:

أسلفنا أن الدارسين المحدثين جددوا بدقة الموضع الذي يرتفع من اللسان مع كل حركة، ومقدار ارتفاعه، ووضع الشفتين معها كذلك. ومن أشهر هؤلاء المحدثين دانيال جونز الذي دَرَس الحركات في لغات كثيرة ثم استخلص منها الأصوات التي يمكن أن تمثل معظم (الحركات) الشائعة في اللغات المختلفة، ثم فروع تلك الأصوات، بحيث يمكن ضبط أصوات

(١) انظر العين للخليل ٦٤/١، ٦٥ والكتاب لسيبويه ٤/٤٣٥ - ٤٤٦، نهاية القول المفيد ٣٣، وقد وضعها مكّي بن أبي طالب - تبعاً لسابقه أيضاً - تحت عدة عناوين: المد واللين، اللين فقط ... وهذا خاص بالواو والياء الساكتين وقبلهما فتحة، والهوائية، والخفية - الثلاثة ويضاف إليهن هنا الهاء، والعله ... الثلاثة ويضاف إليهن الهمزة، كما وصفهن مع الهمزة بالجوفية، ثم بالهوائية ثانية، وفسر الجوفية بأن الجوف آخر انقطاع مخرجهن - الرعاية ١٢ - ١٢٨ - ١٤٢ .

(٢) انظر نهاية القول المفيد ٢٣، ٥١، ٥٢ .

(٣) في نهاية القول المفيد ص ١٠٢ (أو ١٠٠) (والفتحة والضمة تستعلمان في الحنك) (يعني الفتحة التالية لحرف مفخم... كما يأتي الآن. وفيه ص ٩٧ (أو ٩٤) (الألف المدية... إذا وقعت بعد الحروف المفخمة تفخم... والواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم). فيه ص ٥١ (٤٩). والمعتبر في الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان (أي عند النطق بالحرف). وفي ص ٩٦ (٩٤). وتفخيم كل حرف يكون على قدر استعلائه (أي أن التفخيم لا يتم إلا باستعلاء. انظر النشر ١/١٠٣، وموضع غي الاستعلاء والتفخيم فيه... فهذا يعني أن الشراح المتأخرين على الأقل أدرّكوا ارتفاع اللسان مع ألف المد وواو المد حال التفخيم ومع الضمة مطلقاً.

الحركات في اللغات المختلفة بها، ونسبتها إليها. فهي حركات معيارية Cardinal vowels . وقد حدّد لكل حركة منها وضع اللسان معها، والنقطة التي ترتفع منه، ودرجة ارتفاعها، ووضع الشفتين مع الصوت. ثم وُضِعَ لكل حركة معيارية منها رمزًا خطيًا تعرف به.

وخلاصة هذا العمل أن الذي يؤثر في تكوين الحركات عاملان:

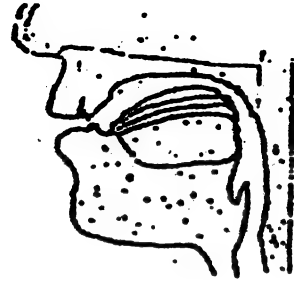
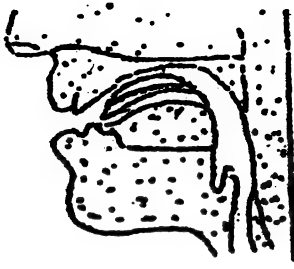
- أ- ارتفاع اللسان، ونقطة الارتفاع - ومداه. وللاارتفاع منطقتان منطقة أقصى اللسان ومنطقة وسط مقدمه وهي بعد وسط اللسان قليلاً في الاتجاه إلى خارج الفم.
- ب- هيئة الشفتين عند نطق كل حركة من حيث استدارتهما أو انفراجهما أو اتخاذهما وضعًا محايدًا.

وقد أوضحنا من قبل أن الحروف تتولد بإغلاق مجرى الصوت أو تضيقه. والتضيق في الأصوات التي يشترك في إخراجها اللسان يكون بارتفاع اللسان نحو الحنك، أو انبساطه إلى جوانب الفم فيضيق سبيل الهواء للخروج - بحيث يُحدِث الهواء في مروره بهذا المضيق بين اللسان والحنك أو جوانب الفم حفيظًا هو الذي نسمعه في صوت الحرف. لكن هنا حرفان بنائيان هما من نفس جنس حركتين من الحركات التي ذكرناها، وتخرجان كما تخرجان، وهما الواو في مثل لَوْن، وَلَد، والياء في مثل زَيْت، يَلد. فينبغي أن نلاحظ أن ارتفاع أقصى اللسان مع واو المد هو دائماً أقل من ارتفاعه مع الواو الصامتة التي هي حرف بنائي^(١).. وكذلك ارتفاع وسط مقدّمه مع ياء المد أقل من ارتفاعه مع الياء الصامتة. وأنه إذا زاد ارتفاعه مع واو المد أو يائه فسيُحدِث واؤًا أو ياء صامتين. والآن -.

- ١- فإذا ارتفع وسط مقدم^(٢) اللسان أقصى ارتفاع له لكن بحيث لا يُحدِث حفيظًا وانفجرت الشفتان تولد الصوت المعياري الأول ورمزه (I) وتمثله الكلمة الفرنسية (Si) وهو يشبه في العربية الكسرة الحادة، وياء المد الحادة في مثل (نيل وفيل) وهي تساوي حركتين من هذا فيرمز لها به مكرراً هكذا (ii) أو فوقه شرطة هكذا (T).

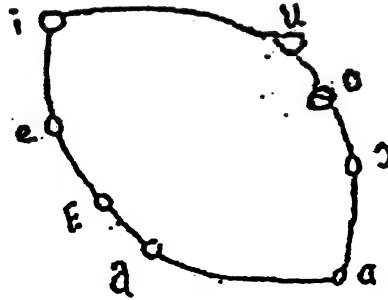
(١) ستحدث عن مصطلح (صامت) بعد قليل.

(٢) عبر عنه الدكتور إبراهيم أنيس بأول اللسان واختارنا تعبيرنا لأنه أبعد عن اللبس وأكثر تذكيراً باصطلاح علماء العرب.



أوضاع اللسان مع الحركات الأمامية

أوضاع اللسان مع الحركات الخلفية



بيان نقط ارتفاع اللسان مع الحركات الخلفية ونسبة كل منها إلى الآخر، ومع الحركات الأمامية ونسبة كل منها وبيان وضع اللسان مع كل حركة بالنسبة لوضعه مع أي حركة أخرى.



ما ينطبق من اللسان على الحنك الصناعي عند النطق بالحركات الثلاث في الإنجليزية
(عن (أصوات اللغة) د. عبد الرحمن أيوب ٣٤)

٢- فإذا قلَّ ارتفاع اللسان في ذلك الموضع قليلاً مع تراجع المنطقة قليلاً أيضاً إلى الداخل أي نحو أقصى اللسان، مع استمرار انفراج الشفتين = تولد الصوت المعياري الثاني ورمزه (e) ويمثل في الكلمة الفرنسية (the = شاي) وهو يشبه في العرية الكسرة التي تميل إلى الانفتاح قليلاً ويمكن تمثيلها بالفتحة الممالة إمالة شديدة في مثل (فَكْ رَقَبَة) عند الوقف بالإمالة الشديدة. وإذا امتد هذا الصوت أشبه الألف الممالة إمالة إضجاع في مثل (مَجْرِيها) ورمزه المعياري حينئذ (ee) أو (ē).

٣- وإذا قل ارتفاع اللسان أكثر من ذلك مع تراجع منطقة ارتفاعه نحو أقصى اللسان أكثر مما سبق ومع انفراج الشفتين أيضاً لكن بدرجة أقل = تولد الصوت المعياري الثالث ورمزه (E) وهو ممثل في الكلمة الفرنسية meme ويشبه في العرية الفتحة الممالة إمالة خفيفة في مثل (فَكْ رَقَبَة) وزيادة مده تجعله يشبه الألف الممالة إمالة خفيفة في مثل (مَجْرِيها) ويرمز له معيارياً حينئذ بالرمز (EE) أو (Ē).

٤- وإذا قل الارتفاع عن ذلك أي وصل إلى أدنى ارتفاع له في هذه المنطقة مع انفراج الفكين تولد لنا الصوت المعياري الرابع ورمزه (a) ويمثل في الكلمة الفرنسية (la) ويشبه في العرية الفتحة المرققة في مثل (حسن) وإذا امتد أشبه ألف المد المرققة في مثل عام. ورمزه المعياري حينئذ (aa)^(١) أو (a).

ونظراً لأن النقطة التي ترتفع من اللسان في تلك المواضع الأربعة هي في وسط مقدم اللسان وهي (بالنسبة للنقطة التي ترتفع في الحركات الأربع التالية) تكون أقرب إلى الأمام (أي إلى جهة خارج الفم) فكلها تسمى حركات أمامية Front vowels . وما ارتفع معه اللسان من هذه الحركات أعلى ارتفاع حتى صار ما بينه وبين الحنك أضيّق مسافة يمكن أن تكون في حالة نطق الحركات وهو الصوت المعياري الأول - يسمى حركة ضيقة أو مغلقة: Close vowel وما ارتفع في أدائه اللسان أدنى ارتفاع

(١) الصوت المعياري هنا (a أو a) مرقق - فلا تشبهه الفتحة العرية إلا إذا كانت مرققة كما مثل - أما إذا كانت مفخمة قليلاً أو كثيراً فإنها تكون أقرب إلى الصوت المعياري (a) (aa).

بحيث لا يكون ارتفاعه أقل من ذلك مع أية حركة أخرى، وبحيث تكون المسافة بين اللسان والحنك أوسع ما يمكن مع الحركات يُسمَّى حركة واسعة أو مفتوحة Open vowel كالصوت المعياري الرابع، وما كان بين تلك وهذه فهو متوسط. فالحركة المعيارية الأولى أمامية ضيقة والحركة الرابعة أمامية واسعة. وما بينهما حركتان متوسطتان. ٥- أما إذا كانت النقطة التي ترتفع من اللسان خلفية أي واقعة جهة أقصاه وكان ارتفاعها أدنى مستويات الارتفاع فإن الذي يتولد هنا هو الصوت المعياري الخامس (a) ويتمثل في الكلمة الفرنسية pas ويشبه فتحة الطاء في (طلب)، وإذا مُدَّ أشبه الألف المفخمة في طالب ورمزه حيثث (a) أو (ā).

٦- وبزيادة الارتفاع قليلاً مع تأخر نقطة الارتفاع إلى الخلف أكثر قليلاً من الوضع السابق مع استدارة خفيفة في الشفتين يتولد الصوت المعياري السادس (o) ويتمثل في الكلمة الألمانية sonne ولعله يشبه الضمة. الممالة كسراً وتفخيماً في مثل (حوك وغيض) عند نطقها بالإشمام وهي هنا ممدودة ورمزها (oo) أو (ō).

٧- وبمزيد من الارتفاع وتأخر نقطته - ومع استدارة الشفتين يتولد الصوت المعياري السابع (O) ويتمثل في الكلمة الفرنسية (Rose).

ويشبه الضمة إذا زيد تفخيمها في مثل قل، خذ، وإذا امتد أشبه واو المد المفخمة في الكلمة العامية (الثوب) ورمزه حيثث (OO) أو (Ō).

٨- فإذا كانت نقطة الارتفاع أقصى نقطة خلفية للسان مع الحركات وبلغ ارتفاعه دون أقصى الارتفاع بقليل بحيث لا يحدث مرور الهواء بين وبين الحنك حقيقاً، واستدارت الشفتان تولد الصوت المعياري الثامن (U) ويتمثل في الكلمة الألمانية (gut) وهو خلفي ضيق، ويتطابق مع الضمة العربية المرققة في مثل (عَمَر حُرّ) وإذا تضاعف امتداده مثل واو المد المرققة في مثل يعود ويسود. ورمزه حيثث هو (uu) أو (ū).

ويتأمل ما ذكرنا بعد الحركات الأربع الأولى يتبين أن الحركات الأربع الأخيرة هي حركات خلفية، وأن رقم (٥) منها هي خلفية واسعة، ورقم (٨) خلفية ضيقة ورقم (٦، ٧) خلفية متوسطة.

وبعد فإنه يتضح مما سبق في أوضاع اللسان والشفيتين عند النطق بالحركات أن الفتح أخف الحركات لأن اللسان يقرّ في مرقدته عنده - فيما عدا تنوعًا يسيرًا بين أقصاه ووسطه، وتكون الشفتان في وضع محايد، وأن الضم والكسر ثقيلان لارتفاع أقصى اللسان مع الضم ووسط مقدمه مع الكسر، ويزيد الضم استدارة الشفتين، ويزيد الكسر انفراج الشفتين..



تقسيم الأصوات الألفبائية العربية (= الحروف)

إلى صوامت وحركات

الصوامت هي الحروف البنيائية المعروفة: الهمزة والباء والتاء... إلى الواو والياء (بقيود خاصة بالواو والياء ستأتي) وهي متميزة الملامح بأنها تسد مجرى النفس أو تضيقه حتي يُسمع احتكاكه، ولا يستثنى من هذا إلا الهاء. أما الحركات فحقيقتها أنها مدّات صوتية ملساء ملامحها الصوتية ليست بالغة التحدد كالصوامت، ومن أبرز وظائفها النطقية التمكين من الانتقال من صامت (بنائي) إلى آخر، وإسماع الكلام، لأن درجة إسماعها أعلى من درجة إسماع أي صامت، ثم إنها إحدى وسائل تكوين الصيغ المعبرة عن المعاني الصرفية.

وتنوع الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات قد لحظه العلماء العرب منذ الخليل بن أحمد (١٧٥هـ)، وتهتم به الدراسات الصوتية الحديثة عند الأوربيين وغيرهم بالغ الاهتمام. والأساس الذي بني عليه الخليل وسيبويه - وبعدهما الأئمة العرب - ذلك التقسيم أو التنوع هو ما عبروا عنه بـ (سعة مدارج)^(١) الأصوات اللغوية التي سميت حركات طويلة وهي ألف المد واو المد وياء المد بالنسبة لمخارج سائر الحروف وهي التي سميت صوامت. وقد عبّر الخليل عن هذه السعة بوصف هذه الحروف بأنهن (مجوف)، وبأنهن (هوائيات). وقسّر ذلك بقوله (وسمّيت مجوّفاً لأنها تخرج من الجوّف فلا تقع في مدرّجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرّج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوّف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء)^(٢) وقد ذكرنا قبل أن ما عبروا عنه بالجوف هو فتحة المزمار التي بين وترى الخنجرة فهذه الفتحة هي مصدر الزمير الذي هو قوام هذه الأحرف أي هي مخرجها على الحقيقة. وما يحدث في اللسان والشفيتين مع الياء والواو هو ملامح مكملة لحقيقة كل منهما، لكنها أساسية. فهذه

(١) العين (تحقيق: الخزمي وزميله) ٥٦/١ وعبر سيبويه بـ (مخارج) كما سيأتي. (٢) السابق نفسه.

الحروف يجري زُميرها بعد صدوره من فتحة المزمار في تجويف الجهاز الصوتي وهوائه غير محصور في حيز ولا مَدْرَج معين - أي دون أية عوائق: لا بسد ولا بتضييق بالغ باللسان أو في الحلق أو اللهاة (أو الشفتين).

وهذا الذي قاله الخليل هو عين ما عبر عنه سيبويه بقوله: «وهذه الحروف (يعني الألف والواو والياء)... حروف لين ومد، و(مخارجها)»^(١) متسعة لهواء الصوت، فإذا وَقَفَتْ عندها لم تَضُمَّها بشفة ولا لسان ولا حلقُ كَضَمَّ غيرها...»^(٢) وأصرح من هذا قوله عنها «ليس شيء من الحروف أوسع (مخارج) منها»^(٣) وهذا علما بأن الأصل في الوقف إسكانُ الحرف الموقوف عليه. وإسكان الحرف يحضره في مخرجه. فهي واسعة (المخرج) لأنها لا تَضُمُّها (أي لا تحصر تكوينها) شَفَّةٌ ولا لسان ولا لهاة ولا حلق.

والمقصود هنا أن الخصيصة الأساسية التي ميزت هذه الحروف وسوَّغت جعلها قسماً متميِّزاً هي سعة مدارجها، وهذا ما قرره الخليل وسيبويه كما بينا الآن، وقال به المحدثون^(٤). الخاصة الثانية التي تتميز الحركات هي علو أصواتهن عن صوت أي حرف آخر. وهذه الخصيصة أبرزها المحدثون ونَوَّهوا بها^(٥). ونَوَّه بها سيبويه أيضاً مع سعة المخرج... فقال بعد النص السابق «ليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمدُّ للصوت»^(٦) كما ذكر أنه يؤنَّى بها ويحافظ عليها في الموضع المحتاج إلى تصويت كالنداء والندبة^(٧) وقد وصفها المبرد (بالمصوتة)^(٨).

(١) انظر التعليق قبل السابق. (٢) الكتاب ١٧٦/٤. (٣) نفسه.

(٤) ينظر - مثلاً - الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس (ط٦) - ٢٦ - ٢٨، دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار (ط١) ١١٣. (٥) ينظر المرجعان السابقان. نفس الصفحات.

(٦) الكتاب ١٧٦/٤. (٧) أ- ينظر الكتاب ١٦٥/١ - ١٦٦. (٨) المقتضب ط ٣ ج ١٩٩/١.

ب- لا ينبغي أن يُقَدَّح في هذا بأن علماء العرب وصفوا الحروف الثلاثة بالخفاء - يُنظر الكتاب لسيبويه ٤٣٦/٤ قال: (وهذه الثلاثة أخفي الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعن مخرجاً الألف ثم الياء ثم الواو) وانظر الرعاية لمكي ١٦٠. ونهاية القول المفيد ٥٨ - ٥٩ وفيه موافقة أبي شامة والمرعشي. ذلك أنهم يقصدون بخفائها أن صوتها يخرج أَمْلَسَ بلا ملامح حادة مثل ملامح الحروف الصامتة. ولكن التعبير عن هذا بالخفاء ليس موفقاً أبداً، لأنه مُلبَس.

(٨) المقتضب ط ٣ ج ١٩٩/١.

وهنا تكملات لمسألة تقسيم الأصوات اللغوية العربية إلى صوامت وحركات:
 الأولى: أن الحركات القصار الفتحة والضمة والكسرة هي من جنس الحركات الطوال تماماً، والفرق بينهما فرق في طول الصوت. وهذا قد قرره علماء العرب منذ الخليل وكرروه^(١). وعليه فالحركات ست: ثلاث طوال وثلاث قصار. وهذا عدا الحركات الفرعية: التفخيم والإمالة والإشمام بمالها من درجات.

الثانية: أن الواو والياء لا تحسبان مع الحركات الطويلة إلا إذا كانتا ممدودتين كما في يقول ويبيع. أما إذا كانتا متحركتين مثل وَلَدَ وَيَمَنَ وَوَصَفَ وَيُبَالِغُ وَأَصُوْبَ وَأَيِّنَ، أو سكنتا مع سبقهما بفتحة مثل لَوْنٌ وَزَيْتٌ فإنهما تحسبان مع الأصوات الصامتة^(٢) وبعض اللغويين يسمى الساكن منهما بعد فتح شبه حركة^(٣)، أما ألف المد فإنها حركة طويلة دائماً. وعلى ذلك فالأصوات اللغوية العربية الصامتة (= الحروف الصامتة = وسيأتي أنها الوحدات الصوتية الصامتة أيضاً) عددها ثمانية وعشرون أولها الهمزة (لا الألف)

(١) في كتاب سيبويه ٤/٤٤١ عن الخليل «فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو» وفيه ٤/١٠١ «وإنما الحركات (يعني القصار الفتحة والكسرة والضمة) من الألف والياء والواو» وفيه ٤/٣١٨ «ومنه (يعني من حروف المد) كل حركة» وفي ٣/٥٤٤ «وبعضها (الضمير لحروف المد الثلاثة) حركاتها. اهـ. وفي مقتضب المبرد ٣ ج ١/١٩٤ «لأن الفتحة من الألف، والضمة من الواو والكسرة من الياء. اهـ. وعبارة ابن جني في سر صناعة الإعراب (تحقيق: السقا وزملائه) ١/١٩ «أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين: الألف والياء والواو... فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو».

(٢) في الكتاب ٤/١٨٤ «لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل وذلك/ نحو/ قولك زوت القاضي» وفي ٤/١٩٣ «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل» وانظره في ٤/١٩٧ وفي ٣/٤٧١. وعبارة المبرد في المقتضب ط ٣ ج ١/٣٥٦ «وأنهما (يعني الواو والياء) يخرجان جميعاً منهما (يعني من أن يكونا من حروف المد واللين) إذا تحركتا (أو) كان قبل كل واحد منهما فتحة» في المطبوع: (وكان) بدل (أو كان) وهو تطبيع وقد كرر المبرد خروجهما من اللين في ١/٣٥٩، وقال في ١/٢٩٧ «إذا كانت الواو والياء مفتوحاً ما قبلهما (أي وهما ساكنتان) فهما كسائر الحروف ومثل لهما بجيئاً وسؤال في صحة نقل فتحة الهمزة إليهما كما تنقل إلى الحروف الصباح وذلك عند التخلص من الهمزة» وقال في ٤/٢٤٩ عبارة كعبارة سيبويه في الكتاب ٣/٤٧١.

(٣) انظر مثلاً علم الأصوات (مالبرج تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين) ٨١.

وبعدهما الباء والتاء... وآخرها الهاء، ثم الواو والياء إذا كانتا متحركتين، أو ساكتين بعد فتح.

الثالثة: لحظ كثير من اللغويين الأوربيين أن الصوامت (ل م ن ر) تشبه الحركات من حيث سلسلة خروج هوائها من مخارجها، وذلك بالإضافة إلى ارتفاع صوتها أو وضوحها السمي *sonority* إلى ما يكاد يماثل ارتفاع صوت حروف المد التي هي الحركات. ثم منهم من سمى هذه الحروف مائعة أو سائلة أو ذائبة *liquids* ومنهم من سماها أشباه حركات^(١) وهذه الأخيرة تسمية مُلَبَّسة.

وقد يُظن أن هذا الذي لحظه الأوربيون هو من إضافاتهم للدراسات الصوتية، ولكن الحقيقة أن اللغوي العربي محمد بن يزيد المبرد المتوفي (٢٨٥هـ) لحظ الشبه بين الحروف الأربعة المذكورة وحروف المد (= الحركات الطويلة) من حيث جريان الصوت فيها وجمّعها مقاً في هذه الحثية. وضم العين إلى الحروف الأربعة^(٢). وكان سيويه (١٨٠) قد سبقه إلى التنبيه إلى أن الحروف الخمسة متوسطة بين الشدة والرخاوة^(٣)، ولكنه لم ينبه - أو لم يلحظ الشبه بينها وبين حروف المد في حثية سلسلة جريان الصوت هذه. وقد استبعد لغويونا المحدثون (العين) من هذه المجموعة، وهم مُحِقُونَ، لفقد العين سلسلة مرور هوائها بزميرها - رغم أنها أنصع الصوامت جرساً^(٤).

الرابعة: بخصوص المصطلحات المستعملة في هذا التقسيم فقد استعملنا نحن

(١) سماها د. كمال بشر أشباه حركات، د. رمضان عبد التواب (المدخل إلى علم اللغة ٣٦) ود. عبد الصبور شاهين (في تعريبه لـ (علم الأصوات تأليف برتيل مالبرج ص ١١٣ - ١٤٤) ذكرنا لقبى متوسطة. ومائعة، وفضل د. إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٢٤ - ٢٥) تسمية مائعة، كما فضل د. حلمي خليل في (مقدمة لدراسة اللغة ٢١٦) إغفال تلقبيها والربط بينها وبين حروف المد مع الاختصار على اللام والميم والنون، لأن سباق التناول كان عن تصنيف حروف الأبجدية بصفة عامة من حيث الوضوح السمي.

(٢) ينظر المقتضب (ط٣، ج١/٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) سبق الكلام عن الشدة والرخاوة والتوسط بينهما.

(٤) سيأتي الكلام عن العين.

مصطلحي صوامت وحركات.

لكن هناك من استعمل للصوامت مصطلح (مواكن) وهو أصل^(١)، والمقصود به الحرف البنائي الذي ليس حركة، ولكننا تجنبناه لأنه يلتبس بالمعنى الشائع لاستعمال الساكن وهو غير المتلَوِّ بحركة، وهذا ليس مقصودًا هنا، فالصامت صامت سواء كان متبوعًا بحركة أو لم يكن. والمقصود بتلقيها بالصوامت أن درجة إسماعها منخفضة بل إن بعضها لا يكاد يُسمع له صوت، وكل الحروف التي سميناها صوامت جرسها (= صوتها) أخفض من جرس الحركات. وكان هناك مَنْ سَمَّى الحركات (صوائت) أو (مصوتات)، وَمَنْ سماها (عِلَلًا). وهي تسميات تراثية أيضًا لكننا تجنبنا مصطلح (الصوائت) لأنه يلتبس في السمع (بالصوامت)، وتجنبنا مصطلح (المصوتات) لأنه يعطي عمومية غير مقصودة، وتجنبنا مصطلح (العِلَل) لأنه صرفي.



(١) جاء في كتاب سيبويه ٢٤١/٤، (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه) اهـ. فقد يؤخذ من هذا تسمية الصوامت سواكن. رغم أن المقصود منه عدم إصحابها بحركات.

الوحدة الصوتية والصورة الصوتية

التفريق بين الوحدة الصوتية Phoneme والبديل الصوتي أو الصورة الصوتية Allophone . يبدو كأنه من مستحدثات الدراسة الأوروبية، ولكن سيويه (١٨٠هـ) سبق بالتبني إلى ما يمكن اعتداده هو الفكرة نفسها في أصوات اللغة العربية - مع زيادة ذات بال. وذلك أنه قسّم أصوات الألفبائية العربية إلى حروف أصلية هي الثمانية والعشرون المعروفة الهمزة والباء والتاء إلخ.. (ويضاف إليها الحركات القصيرة الفتحة والضمة والكسرة والطويلة ألف المد وواو المد وياء المد)، وحروف فرعية هي نوع من النطق يختلف لبعض تلك الحروف نفسها إما أن تنطق به جوازًا (أو وجوبًا) لمسوغات لهجية أو صوتية سياقية كهمزة بين يين في مثل سأل، ونطق الشين والصاد مجهورتين في مثل أشدق وأصدق، ونطق النون مخفأة، والألف مفخمة أو ممالاة - وهو نطق مقبول ومرضى للقرآن الكريم والشعر وغيرهما، وإما أن تنطق به انحرافًا عن النطق الصحيح أو الفصيح للعربية اللهجة ضعيفة أو لكنة.. كنطق (القاف) والكاف والجيم كالكاف الفارسية (G)، ونطق الجيم كالشين، والصاد كالسين، والطاء كالتاء، والظاء كالتاء، والباء كالفاء، وكالصاد الضعيفة - وهذا النطق المنحرف غير مرضى عربية، ولا يستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر^(١).

فالحروف الأصلية هي الوحدات الصوتية (الفونيمات) في العربية، والحروف الفرعية هي بدائل الوحدات أو صورها الصوتية. ويتبين من مجمل كلام سيويه أنه زاد على كلام المحدثين تقويم الصور الصوتية.

أما المعالجة الحديثة (= الأوربية) لمسألة الوحدة الصوتية (الفونيم) والبديل أو الصورة الصوتية فلنا قبل الدخول إليها ملاحظتان:

(١) انظر كتاب سيويه (هارون) ٤٣٢/٤ .

الأولى: أنها طوّلت وِعْزُرت تفاصيلها لدرجة دفعت عددًا من اللغويين الأوروبيين أنفسهم إلى أن يصرحوا بأنه يمكن الاستغناء عن هذه المسألة برأسها^(١).

والثانية: أنه قد ترجّح لدينا أن أحد ما أدى إلى تشعب هذه المسألة وغموض بعض جوانبها عند الأوروبيين أن اللغات الأوروبية ليس لديها معيار ثابت محدّد لنطق كل من الحروف الألفبائية نطقًا صحيحًا فصيحًا بحيث يُعَدّ ذلك النطق هو الوحدة الصوتية (الفونيم) ويُعَدّ ما خالفه بديلًا أو صورة صوتية له.

وقد لخصّ أحد لغويينا تعريفات الأوروبيين للفونيم - وهي عشرات حسب ما قال - في وجهات نظر أربع كلها تدور على أن الفونيم صوت (أي نطق صوتي) مثالي متوهم (أو مفترض) للحرف، ليس له وجود حقيقي مادي، وإنما هو مجرد تصور عقلي، أو تمثله أسرة من الأصوات (لا صوت واحد بعينه)، أو أنه صوت أَلْفَبَائِي يشارك في بناء كلم اللغة ويتميز عن غيره بأن الكلمة التي يشارك في بنائها يتغير معناها بإحلال أَلْفَبَائِي آخر محله^(٢). وفي جميع الوجهات فإن المنطوق المتعامل به هو البديل الصوتي أي الصورة الصوتية وليس الوحدة الصوتية، حيث إن النطق المثالي الواقعي للوحدة الصوتية لا وجود له. وفي مقابل هذه الهلامية (الميتافيزيقية) وغياب النطق المعياري عند الأوروبيين فإن لدينا نحن العرب نطقًا محدّدًا لكل وحدة صوتية، موثّقًا بتحديد المخرج والصفات تحديدًا دقيقًا شاملًا لما هو أساسي ولما هو ثانوي ولما هو إفرادي وما هو سياقي، وهو نطق ثابت وجاري منذ ما يقرب من ألف ونصف ألف من السنين إلى الآن. ولذلك نستطيع أن نقول عن نطقي ما لألفبائِي إنه هو

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ١٣٩ رأي روبنز، ص ١٤٠ رأي فيرث وأبركرمبي. وينظر أيضًا كلام آخرين في ص ٢٣٥ منه.

(٢) وجهات النظر الأربع في دراسة الصوت اللغوي ١٤٧ - ١٥٤ وقد وحدنا بين الوجهة الأولى التي تقول إن الفونيم مجرد تصور عقلي والرابعة التي يعرف بعض أصحابها الفونيم بأنه وحدات افتراضية تجريدية ليس لها وجود مادي ولا ذهني، ويقول آخر إنه تجريد ولكنه يملك بعض الوجود. والأمران يعنيان أنه مجرد تصور متوهم أو كالتوهم - وقد سبق بعض الأوروبيين أنفسهم إلى هذا التوحيد ينظر ص ١٥٣ من المرجع نفسه.

الوحدة الصوتية لهذا الألفبائي، وعن نطق آخر إنه ليس الوحدة الصوتية. وإنما هو بديل صوتي، بل ونستطيع أن نحكم على نطقي لألفبائي بأنه صحيح وعن نطق آخر له بأنه خطأ، وذلك في ضوء ما يختل من شروطه. وقد وفرت ذلك كله الدراسات التي نشأت للحفاظ على قراءة القرآن الكريم قراءة عربية صحيحة وفصيحة. والحمد لله رب العالمين. وفي ظلال ذلك الذي توفر لنطق الوحدات الصوتية العربية نطقاً صحيحاً فصيحاً يمكن التجاوز عن طوفان التفاصيل التي شغلت مئة صفحة في مؤلف الدكتور/ أحمد مختار عمر - رحمه الله، وذلك باستثناء فصلة الفونيم فوق التركيبي^(١).

وخلاصة ما نقرره نحن عن الفونيم أو الوحدة الصوتية في اللغة العربية هي:
أ- أن الوحدة الصوتية هي الصوت اللغوي الصحيح النطق عربية وله قيمة بنائية أو دلالية مطردة - ومعنى كونه صحيح النطق أنه يُنطق من مخرجه موافق صفاته حسب ما حدد اللغويون العرب أخذاً عن العرب الفصحاء. ومعنى أن الصوت له قيمة بنائية أنه تُبنى منه مع غيره تراكيب عربية في أي موقع كان هو أي أنه ليس غريباً عن اللغة - وذلك ككل الحروف الألفبائية. فالهمزة مثلاً تشترك في بناء تراكيب كثيرة: في موقع أول ك (أخذ)، أو ثان ك (سأل)، أو ثالث ك (ملأ)، أو رابع مثل (دأدا) (= عَدَا أشد العَدُو) والباء تشترك في بناء تراكيب كثيرة: في موقع أول مثل بلغ إلخ. وليس ورود وقوع الحرف - فغلياً - في كل المواقع شرطاً لكونه وحدة صوتية عربية. وما دام الصوت يشترك في بناء تراكيب الكلام فإن له قيمة دلالية ولا بُدَّ، لأن دلالة التركيب تتم به^(٢). ويدخل في تعريف الوحدة الصوتية - تبعاً لأصالة - ما له قيمة دلالية فحسب وإن كان لا يدخل في بناء التراكيب وذلك كالتنوين، والتفخيم زي الدلالة للنطق كتفخيم لفظ الجلالة، وكالتنبر المقصود به الدلالة على معنى كالاستفهام... وهكذا.

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوي ص ١٨٥ وما بعدها حيث الكلام عن النبر والنغمة والتنغيم والمفصل والطول - وكلها يمكن أن تدرس مستقلة عن الفونيم.

(٢) هنا فرق بيننا وبين الأوربيين: فهم يرون أن القيمة الدلالية للصوت اللغوي (= الحرف) رمزية أي أنه مجرد رمز اعتباطي، وكذلك الكلمات عندهم. ونحن نقول - بناء على دراسة العربية - إن الحرف يعبر عن معناه، وكذلك الكلمات، وليست مجرد رموز عشوائية.

ب- أن لكل وحدة صوتية عربية نطقًا صحيحًا دقيقًا معترفًا به عند اللغويين وقراء القرآن الكريم. فإذا التزم في نطق الحرف بمخرجه وصفاته العامة والخاصة فإن الاختلافات والفروق الفردية في أداء الحرف لا تضر ولا تخرجه عن كونه النطق الصحيح لهذا الحرف أو الوحدة الصوتية - وهذه نقطة مهمة للاختلاف بين نظرتنا ونظرة الأوربيين، إذ يبدو أنهم يدخلون الفروق الفردية الدقيقة بين أداء الأفراد - وهي فروق يُلحَظُ أكثرها بتسجيل الأجهزة الإلكترونية وحدها - يدخلونها عنصرًا في البحث فيجعلونها صورًا للأداء اللغوي للفونيم - وهذا تقعر غير علمي، لأن البشر ليسوا أجهزة إلكترونية موحدة الأداء، ولأن الأخذ به يلغي كون اللغة ظاهرة اجتماعية مشتركة، من حيث إن من مقررات الدراسة الحديثة نفسها أنه - على هذا المستوى الإلكتروني - لا يكاد يتماثل نطقان لحرف واحد ولو من الشخص نفسه. ونحن نقول إن النطق المستوفي للمخرج والصفات العامة والخاصة يأتي بالوحدة الصوتية المثالية نطقًا واقعيًا يقابل تحديثهم عنها باعتدادهما فرضًا متوهمًا. ثم نقول إن نطق الصوت اللغوي من غير مخرجه المعتمد له في النطق الفصيح (كنطق الجيم القاهرية، والكاف الخليجية، ونطق مجموعة الطاء والثاء والذال دون إخراج اللسان...) وكذلك نطق الحرف دون استيفاء صفة ما (كنطق الطاء والقاف مهموستين، ونطق الضاد شديدة) كل ذلك يعد صورًا أو بدائل صوتية، ويترتب الحكم بدرجة قُزْبِ النطق من الصواب أو الفصاحة على تقويم ما نُقِصَ أو اختلَّ من شروط الأداء الصحيح الفصيح له. والشرط الوحيد لقبول هذا النطق صورةً لوحدة ما هو عدم اختلاف المعنى بهذا النطق.

وغني عن البيان الآن أن الوحدة الصوتية الواحدة قد يكون لها أكثر من صورة صوتية أو بديل صوتي فالوحدة الصوتية (الجيم) - وهي من وسط مقدم اللسان وما فوقه من الحنك، وتتصف بالشدة والجهر والتعطيش - لها صور: فقد تنطق من نقطة في اللسان أدخل من وسطه وتكون غير معطشة وتلك هي ما يسمى الجيم القاهرية أو الفارسية (ج = G)، وقد تنطق قرية من مقدم اللسان فاقدة صفة الشدة وتكون حينئذ غزيرة الرخاوة - وهي ما سميناه الجيم الشامية (ج = J)، كلها صور لـ وحدة صوتية واحدة. ولا يتغير معنى كلمتها مهما تغير نطقها. كما لو قيل ركبت (الجمال). فكلمة الجمال تحمل نفس معناها المعروف

(الحيوان ذي السنّام والوبر والأخفاف والعنق الطويل المقوس) كيفما نُطِقت - أي أن نطق الكلمة بأي منها يكفي لتَحِيلَ نَفْسَ المعنى: أما الكلام عن درجة فصاحة هذه الصور فمسألة أخرى، ولا شك أن نطق الجيم رخوة غزيرة التعطيش (شامية) أقرب إلى الفصاحة المتحققة في النطق المثالي من نطقها قاهرة لما في النطق القاهري من انتقال المخرج، والنطق القاهري قريب إلى الصواب لأن له سنداً لهجياً قديماً، ونطق الجيم دالاً هو نطق بعيد عن الصواب لفقد المخرج وصفة التعطيش، وللإلباس، ولذا يُعدّ نطقاً عامياً.

وكذلك الأمر في (س) (السرائط، فلا يختلف معناها عند من يقرؤها (الصراط أو الزراط) وكذلك (ص) الصندوق (لا يختلف معناها عند من ينطقها (السندوق أو الزندوق) وهكذا. فكل من الجيم والسين والصاد (فونيم) واحد أي وحدة صوتية واحدة لها ثلاث صور. أما من حيث الفصاحة فالسين والصاد في السراط فصيحتان السين لأنها الأصل^(١)، والصاد لأن لها سندان لهجياً وصوتياً. والزاي في الزراط أقل فصاحة لأن سندها لهجي فقط، والسند الصوتي ضعيف. أما في الصندوق فالصاد أفصح لأنها الأصل والسين والزاي أقل فصاحة^(٢). وعلى ذلك فقد يكون للوحدة الصوتية عدة صور أو بدائل كالجيم والطاء والظاء والصاد واللقاف... وقد لا يكون لها صور متعددة معروفة أو مشهورة كالباء والتاء والحاء... إلخ - وإن كانت الدراسة الصوتية الحديثة تثبت أن لكل وحدة عدة صور، نظرًا لاختلاف الأفراد اختلافًا طبيعيًا في نطق الأصوات اللغوية، بل لاختلاف نطق الفرد الواحد للصوت عينه كل مرة عن الأخرى.

وقد ذكرنا من قبل أن الفروق البالغة الدقة (الإلكترونية) بين نطق وآخر لا ينبغي أن تُعدّ عنصرًا من عناصر تحويل نطق الوحدة الصوتية المستوفي لشروطه إلى كونه صورة صوتية أو بديلاً للوحدة الصوتية.

كذلك فإن الحرف الأبجدي الواحد قد يكون وحدة صوتية في كلمات في حين

(١) ينظر اللسان (سراط).

(٢) ينظر تاج العروس زندق، وسندق، وصندق حيث ذكر أن الأولين لغتان في الأخير، وقال إن الجوهري ذكر الصندوق في نهاية ترجمة (صديق).

يكون هو نفسه صورة صوتية في كلمات أخرى. فالصاد في صلح وصحيح وصلاة ومثات الجذور الأخرى هي وحدة صوتية، لكن الصاد التي في «الصراط» و«الصاق» (بمعنى الساق)، وماء «صخن» (= سخن) هي صورة صوتية للسين التي هي الأصل في تلك الكلمات. والشين التي في «شمل» و«شرب» و«شيع» ومثات الجذور الأخرى هي وحدة صوتية في حين أن الشين التي في نطق المجتمع -- (اشتَمَعَ)، وفي نطق الجَزْز -- (اشتَزَّ). هي صورة صوتية لأن الأصل أي الوحدة الصوتية الأصلية في هاتين الكلمتين هي الجيم. وهكذا. أما الطاء التي في اصطبيح والذال التي في اذكر ونحو ذلك. فإنها ليست صورة صوتية للثاء التي هي الأصل، ذلك لأنه لا يجوز نطق هذه الكلمات بالثاء. فالصورة الصوتية ينبغي أن تكون صورة لنطق فصيح في الكلمة.

مقارنة بين العربية وبعض اللغات الأخرى

في عدد الوحدات الصوتية؛

والآن فإنه عند حساب أصوات لغة ما = ينبغي أن تُحسب وحداتها الصوتية لاصور الأداء الصوتي. فالصوت اللغوي، إذا كان يشترك في بناء ألفاظ اللغة - (ونحن هنا نتكلم عن العربية) باعتداده صوتاً متميزاً في اللغة فإنه ينبغي أن يحسب من وحداتها الصوتية حتى لو كان هذا الصوت نفسه يستعمل في بعض الحالات بديلاً لصوت لغوي آخر كالسين والزاي في نطق صاد الصندوق وكالأمثلة الأخرى التي أسلفناها. أما إذا اقتصر دوره في اللغة على كونه يظهر أحياناً كبديل لإحدى الوحدات الصوتية فإنه لا يحتسب من أصوات اللغة أو (فونيماتها)، وذلك كالجيم الشامية والكافية مع الجيم المعطشة. وعلى هذا فصوتاً ج، G لا ينبغي أن يحسباً ضمن أصوات العربية لأنهما مجرد بدائل صوتية هنا ولم يستعملا بصورة عامة في بناء الألفاظ العربية، في حين أن كلا من الكاف والقاف (في ملك وملتق) مثلاً والذال والطاء في (قدّ وقطّ) والثاء والسين في (عثر وعثر)... كل واحد منها في تلك الثنائيات وحدة صوتية (فونيم)،

لأنه مستعمل في اللغة بصورة عامة في بناء ألفاظ اللغة، ولأن هناك فرقاً في المعنى بين الكلمة التي يشترك هو فيها والكلمة التي يشترك فيها صنوه^(١).

وبهذه النظرة - وهي موضوعية - نجد أن في العربية ٣٤ فونيمًا، وفي الانجليزية ٢٦ فونيمًا منها المركب X الذي يمكن الاستغناء عنه بغيره، كما يمكن أن يحذف منها صوت C إذ تغنى عن نطقها K ، S^(٢) - كما يمكن أن يضاف إليها صوت الشين (Sh) والذال والطاء (th) لأنها وحدات صوتية شائعة فيها - وبعدد عدم وضعهم رموزا لهن نقصا في أبجديتهم. وتتميز بأصوات G V P وبذا تعد أصوانها ثلاثين فونيمًا. وكذلك الحال في الفرنسية تقريبًا. أما اليونانية واللاتينية فلكل منهما ٢٤ فونيمًا. وفي الفارسية الحديثة اثنان وثلاثون حرفا هي الحروف العربية الثمانية والعشرون ويضاف إليها الحروف الأربعة P ، ch ، ژ وهي تنطق كحرف S في Pleasure ، ك وهي كالجيم القاهرية. وتنطق الطاء والصاد كالسين، والحاء كالحاء، والذال والضاد والظاء كالزاي، والعين كالهزمة، والطاء كالتاء، والقاف كالغين أو الكاف أو القاف تبعاً لاختلاف اللهجات، والواو ينطق بها كما ينطق بالحرف V وفي بعض اللهجات ينطق بها كما في العربية، ويتأمل يسير يمكن طرح تسعة أحرف من إحصاء أبجدية الفارسية. لأنها مجرد بدائل. ولعلها مستعارة أساساً من العربية - فيبقى للفارسية ثلاثة وعشرون صوتاً صامتاً. كما أن للفارسية عشر حركات كثير منها صور أدائية بشروط خاصة بها، وفي العربية نظائر تفوقها عدداً... فالعربية أكثر حروفاً من الفارسية أيضاً.

(١) الكلام عن الفونيم مبسوط في دائرة المعارف البريطانية (١٧/٧٧٤) وفي دائرة معارف تشمبرز Chambers وأسلمنا أنه مفصل في دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ١٣٩ - ٢٣٦ . وانظر تناولاً له في الأصوات اللغوية د. أنيس، والعربية معناها ومبناها د. تمام ٥٧ ، وعلم اللغة د. حجازي ٦ وعلم اللغة د. عبد الصبور شاهين، والمداخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ٨٣ - ٩٠ ومقدمة لدراسة اللغة د. حلمي خليل ٢٢٤ - ٢٣٢ .

(٢) هذا استنتاج مما جاء في موسوعة تشمبرز من أن صوت الـ K في Keep و Cottage (فونيم) واحد.

فإذا جئنا إلى العبرية وهي لغة سامية كالعربية وجدنا أن لها أيضاً ثلاثة وعشرين صوتاً صامتاً، منها ستة أحرف لها بدائل تعرض نقصها، فقد تنطق الباء فاءV، والجيم غينا، والدال ذالا، والكاف خاء، والP فاء، والتاء ثاء. وفي العبرية ثماني حركات بعضها صور أدائية في العبرية أمثالها^(١). وهكذا يتبين أن العربية أكثر حروفاً من العبرية أيضاً.

هذا وقد قرر بعض الباحثين أن عدد الفونيمات في اللغات المختلفة يتراوح بين ١٠ / ١٢، ٨٠/٧٠^(٢). والمرجح أن هذا الباحث نظر إلى الرموز المكتوبة للأبجديات، ولم يسقط الرموز التي تمثل أصواتاً مركبة، وأنه احتسب في هذا الإحصاء الصور الصوتية أيضاً. وأياً كان فإنه بمقارنة العربية باللغات المشهورة - أوربية وغيرها - يتبين أن العربية أثرى تلك اللغات بالوحدات الصوتية^(٣).

ويلفت النظر في هذه النقطة أن نهر (أو خانة) الأصوات الحلقية Pharyngeal في لوحة موسوعة تشمبرز للأصوات العالمية خال من الأصوات الأوربية مما يدل على تميز العربية على كل اللغات الأوربية والأمريكية وكثير من اللغات الأخرى (أي كل اللغات التي أسس عليها إحصاء تشمبرز) بصوتي الحاء والعين. أما في غير الحلقية فإن العربية تفوق عدداً أقل من ذاك بصوتي الحاء والغين^(٤)، هذا إلى صوتي الضاد والطاء الفصحيين

(١) انظر التوطئة في اللغة العبرية د. فؤاد حسنين علي ١٥ - ١٨ .

(٢) الأصوات والإشارات، كندراتوف. ترجمة شوقي جلال ص ٢٩ .

(٣) أشار ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ إلى أن الأبجدية العربية أكثر عدداً من أية أبجدية أخرى. فقد عدّ الأبجدية العربية ثمانية وعشرين حرفاً ثم قال: (والفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين. ولست واجداً في كلامهم حرفاً ليس في حروفنا إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً). تأويل مشكل القرآن ١٤. وانظر عرضاً عن الحروف الأبجدية في العربية وغيرها في صبح الأعشى للقلقشندي (المتوفى ٨٢١هـ) ١٥/٣ - ١٧ .

(٤) الهاء مستعملة في كثير من اللغات الأوربية وكذلك الهمزة تنطق في A، E، O، I إذا وقعن في أوائل الكلمات.

كما سنرى الآن. وهنا نقطة أخرى يجزنا إليها هذا الموضوع: أعنى ما قيل عن اختصاص اللغة العربية بالضاد حتى قبل إنها لغة الضاد.

وقد رأينا من قبل أن أداء الضاد كما ينبغي - تبعا لما كان ينطقها عليه العرب الأولون ووصفها العلماء المتقدمون - جانبية رخوة مجهورة مطبقة = فيه شيء من الثقل هو ما يُجسِّمه أداؤها من كلفة لأعضاء الصوت. ومن القوانين الصوتية أن جمهور اللاغين يتجه إلى الأداء السهل الخفيف، وربما لهذا خلت منها لغات كثيرة، كما أنها أصبحت في أداء المصريين دالا مفخمة، وفي أداء آخرين زايا مفخمة^(١).

وبحسبنا الآن أن الأصمعي (٢١٦هـ) هو أول من تُسبب إليه ملاحظة خلو لغة الروم من الضاد، ثم كنى المتنبي (٣٥٤هـ) عن العرب بناطقى الضاد.

وهم فخر كل من نطق الضاد، وعوذ الجاني وعوذ الطريد [الخفيف] ثم صرح بذلك ابن جني (٣٩٢هـ) مضيفا أنها لا توجد من كلام العجم إلا في القليل^(٢) وحكى ذلك ابن فارس (٣٩٥هـ) أيضا. وذكره الزبيدي في تاج العروس^(٣). ولعل قوله المستشرق (برجستراس) لها وزن كبير في هذه النقطة إذ يقول «فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب^(٤) فهذه شهادة مصدقة لما قال القدماء». (يبد أني أنطقها النطق (العتيقي) وأعلمه لقنائي. والحمد لله).

(١) انظر مزيدا من الكلام عنها في الفصل الخاص بتفصيل الكلام في الأصوات.

(٢) سر صناعة الإعراب ٢٢٢/١ .

(٣) (الضاد) ٤٠٦/٢ ذكر إطباق الجماهير على أن الضاد مختصة بلغة العرب لا توجد في لغات العجم. ثم ذكر كلام أبي حيان الذي نقلناه هنا في متن الصفحة التالية.

وفي كتابنا معالجة لمسألة الضاد أرجو أن تكون حاسمة. مزت. وفي الأصوات اللغوية د. أنيس ٤٨ - ٦٢ معالجة مطولة.

(٤) (٤) براجتراسر التطور النحوي ص ١٠ .

كذلك قال الخليل إن الظاء حرف تُخصَّص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد^(١). ويصدقه وسائر الأئمة في هذا قول أبي منصور الجواليقي (٥٤٠هـ) وهو خير بلغات الأعاجم والصلة بينها وبين اللغة العربية - في كتابه «المعرب» وليس للضاد والطاء باب، لأن هذين الحرفين لم ينطق بهما سوى العرب^(٢).

وعلة ذلك في الظاء مثل علته في الضاد - أن الظاء ينطقها الفصحى تكلف الجهاز الصوتي جهودا كثيرة متنوعة تثقلها - كما عرفنا - ولذا تجنبها أكثر الأمم.

ونختم هذه النقطة بما قال أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) وهو حجة لعلمه وتأليفه في لغات كثيرة - وفيه تأكيد لما سبق «انفردت العرب بكثرة استعمال الضاد، وهي قليلة في لغة لبعض العجم - مفقودة في لغة الكثير منهم، وذلك مثل العين المهملة». وذكر أن الحاء المهملة لا توجد في غير كلام العرب. وأن الظاء المشالة مما انفردت به العرب دون العجم، والذال المعجمة ليست في الفارسية، والثاء المثلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية.. والفاء ليست في لسان الترك.. «وقد روى بعض هذا عن شيخه الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص (٦٨٠هـ)^(٣).

وفي مقابل ذلك نقول إنَّ أهم ما تتميز به اللغات الأوربية الفاء المجهورة (V) وأقل من ذلك أهمية الباء المهموسة (P).

إن القيمة الأساسية في كثرة أصوات (أبجدية) أية لغة واستعمالها لكل الخارج الصوتية في الجهاز الصوتي الإنساني هي إتاحة المزيد من المواد الجديدة في تلك اللغة^(٤)، ومن المواد تأتي التراكيب والكلمات التي هي قوالب الفكر. فتيسرها مع تنوع أصواتها

(١) اللسان ٣١٤/٩ والقاموس (ظوى / ظي).

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي ٢٦٨ (آخر باب الصاد).

(٣) تاج العروس ٤٠٦/٢. وصبح الأعشى ١٥/٣.

(٤) مادة من ثلاثة أحرف تمكنا من بناء ستة تراكيب ثلاثية لا يتكرر أي من حروفها في أي منها؟ وأربعة أحرف تمكنا من بناء ٢٤ تركيبا ثلاثيا لا يتكرر أي من حروفها في تركيب ما. أما مع احتمال التكرار فإن ثلاثة أحرف تعطي ٢٧ تركيبا ثلاثيا.

يتيح لتبّحات الفكر اللانهائية فرص التشكل والظهور إلى عالم التداول والاستعمال. كما أن غزارة الثروة اللفظية - المستعملة فعلا - لأية لغة هي مؤشر أكيد على غزارة فكر الأمة وتناوله لكل المجالات التي يطرقها الفكر. وهنا يمكن أن نقدم إحصاء تقريبا مقارنا. فمعجم تاج العروس يحتوي على نحو اثني عشر ألف تركيب (كل تركيب فيه مفردات تصل إلى عشرات^(١)) وكثير من هذه المفردات له أكثر من معنى) والجزء الأول من المعجم الكبير الذي أخرجه مجمع اللغة العربية ويحوي الكلمات المبدوءة بالهمزة فقط يعالج نحو عشرة آلاف كلمة. وهذا يعني احتواء العربية على نحو ربع مليون كلمة منها ما يجري على الألسنة، وما يقل استعماله، وما يندر، وما احتبس في المعاجم لا يفارقها. وجدير بالذكر هنا أن هناك من المفردات والأبنية اللغوية ما فات المعاجم القديمة تسجيله^(٢)، وما استجد استعماله بعد وضع المعاجم القديمة وجري على الألسنة وُسْمِي المولّد^(٣). وقد جاء في مقدمة معجم (متوسط المادة) للغة الانجليزية وهو

The Elizabethan Reference Dictionary

أنه يحوي زهاء مائة وعشرين ألف كلمة وتعبير. هذا مع اتساع الانجليزية في تقبلها المواد اللغوية المستحدثة والمقتبسة من اللغات الأخرى. وما يهمنا هنا أن العربية من أكثر لغات العالم - في عدد التراكيب، وأن لكثرة حروف أبجديتها إسهاما في ذلك، وأن هذا يزيد القدرة التعبيرية للعربية.

(١) بل قد تزيد كثيرا. فتركيب (كتب) مثلاً يتأني منه حسب الصيغ القياسية وشبه القياسية كتب، كُتِب، أكتب، كاتب، اكتب، اُنكتب، اكتب، تكتب، استكتب. فهذه ثمانية أفعال لكل منها مصدر عادي (أو أكثر) ومصدر ميمي وأسماء مرة وهيفة وفاعل ومفعول وزمان ومكان، وتفضيل وآلة وصفة مشبهة وصفة مبالغة (أو أكثر) من الثلاثي ويتأني من كثير من ذلك مصدر صناعي أيضًا. وكل هذا للمعنى (الكتابة بمعنى خط رموز الكلمات) وهناك كتب بمعنى فرض وبمعنى خاط وكتب الجند جعلهم كتاب، وكاتب العبد. (٢) في (الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء معنيين من المستدركات على لسان العرب وتاج العروس) د. محمد حسن حسن جبل دراسة عن كل من المتني كلمة المستدركة، وفي ص ٢١، ٢٢ منه إشارات إلى كتب الفائق والمستدرك من الفصحح، وإلى أكثر من أربع مئة كلمة استعملت في المؤلفات القديمة ولحظ المحققون المحدثون خلل المعاجم منها.

(٣) في المرجع السابق ص ٢١، ٢٢ إشارات إلى عدد من المعاجم التي استدركت المولّد.

طول الصوت اللغوي

يُعنى بطول الصوت اللغوي الزمن الذي يستغرقه الحرف في نطقه. ولهذا الموضوع أهمية في ضبط إلقاء الكلام، وله أهمية خاصة في قراءة القرآن الكريم. ذلك أن بعض القراء قد يجرفهم الميل إلى أداء القراءة وفق نغمات خاصة إلى إطالة زمن بعض الأصوات رعاية لمقتضيات (حكمة) النغمة في زعمه. وهذا بالطبع خطأ فاحش في قراءة القرآن ولا يستساغ حتى في الكلام العامي.

وقد عالج العرب القدماء - لغويين وقراء - هذا المبحث لكل الحروف. واشتهر من تحديدات القراء بالنسبة لطول الحركات أن الحركة القصيرة تقاس بزمن قبض إصبع أو بسطها بطريقة متوسطة بين السرعة والبطء. وعليه فإن المد الطبيعي يساوي القبض والبسط معًا أو قبض إصبعين على التوالي أو بسطهما كذلك. وهذا المد الطبيعي طبقوه على الألف وعدّوها مقياسًا فقالوا عن المد الفرعي إن مقداره ألفان أو ثلاثة... وقد درس المحدثون طول الحركات بالأجهزة الحديثة. وقدروا طول الحركة بنحو ١٦٪ من الثانية والمد الطبيعي بنحو ٣٢٪ من الثانية، والمد الفرعي يكون بمضاعفة ذلك حسب مذاهب القراء. والقارئ المجود يحسّ بهذه المقادير إحساسًا دقيقًا ويطبقها في قراءته.



المقاطع الصوتية

المقطع الصوتي هو أقل (تأليف) للأصوات اللغوية. وإذا كانت دراسة المقاطع الصوتية في تفاصيلها من ثمرات الدرس الصوتي الحديث عند الغربيين، فإن وجود أسسها أو بذورها في دراسة العروض والبلاغة تسوغ لنا معالجتها هنا - رغم ضآلة جدواها في العربية بالنسبة لما عند الأوربيين، ذلك أن المقاطع مؤلفة من صوامت (حروف صحيحة ساكنة) وحركات (والعروض حاكم على الساكن والمتحرك) كما يقول ابن جني^(١)، كما أن أحد العناصر الرئيسية للتفاعيل العروضية - وهو السبب الخفيف - يشكّل أحد المقاطع البسيطة، بل إن التفاعيل وعناصرها يمكن اعتدادها صيفا لتجميع المقاطع بأنواعها الآتية. وأخيرا فإن المقاطع الصوتية يعتد فيها بكثير مما يعتد به في العروض: فكما أن المنظور إليه في العروض عند التقطيع مقابلة المتحرك والساكن بحركة وسكون مع قطع النظر عن خصوص الحركة والحرف، وأن الحرف المشدد يحسب بحرفين أولهما ساكن، وأن التنوين يحسب نونا ساكنة، وأن المعتد به عند الوزن والمقابلة هو اللفظ أي ما يُنْقَظ به فحسب وإن لم يرسم، ومالا يتلفظ به لا يعتد ولو رسم^(٢)... فإن كل ذلك يؤخذ به في المقاطع الصوتية كما أخذ به في العروض. وقد تكلم القرطاجني (٦٨٤هـ) عن بعض المقاطع في إطار بلاغي (ما ينبغي في الكلمة الفصيحة من حيث عدد حروفها) فذكر أقصر المقاطع وسماه المقطع المقصور نحو «قي» (الأمر من قي)، ثم استعار من العروضيين ما سموه السبب والوئد، ليعين تكون الكلمة من نوع من تلك الثلاثة مفرد أو مكرر، أو من أنواع مركبة^(٣).

(١) سر صناعة الإعراب ٦٤/١ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق: الترحيني (الجمهرة الثانية) ٢٧١/٦ وينظر المختصر الشافي على متن الكافي ص ٤ .

(٣) ينظر الزهر ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

ومع ذلك فإن اللغة العربية ليست لغة مقطعية. والنبر - الذي من أهداف دراسة المقاطع تحديدُ مواقعه - ليست له في العربية دلالة مقننة - بعكس الحال في اللغات المقطعية. والمواقع النادرة التي يمكن أن يقن للنبر فيها في لغتنا ليست من نوع مواقع النبر في اللغات المقطعية.

والأساس العضوي لتقسيم الكلام إلى مقاطع في اللغات المقطعية هو دُفَع النفس التي تصدر لإنتاج الصوت. والأساس الصوتي لذلك هو تذبذب مستوى علو الأصوات اللغوية المتوالية في الكلام بين قاع (للأصوات العديمة الإسماع)، وقمة (للأصوات الكاملة الإسماع)، وأصوات بين القاع والقمة. والمقطع الصوتي هو مجموع الأصوات التي تشكل منحني إسماعيا كاملا (من قاع إلى قمة إلى قاع) - وبهذا يتميز تميزا يساعد - مع عوامل أخرى، على تبين مفاصل الكلم. وتُميِّزُ المقاطع يقتضي تحديد درجة علو كل من الأصوات اللغوية.

ولم يعقد العرب المتقدمون مبحثا لدرجة علو كل من حروف الأبجدية، ولكنهم خصصوا الحركات الطويلة (حروف المد) باسم المصوتة^(١) مما يعني أنهم عدوها - والحركات القصيرة أبعاضها - أعلى حروف الأبجدية صوتا.

كذلك أكد الخليل على نصوع العين والقاف وطلاقتهما ويُحَّ الحاء وخفاء الهاء^(٢). وسنرى أن ماثوه به العرب بالنسبة للحركات وأنها هي الحروف الصائتة أو المصوته هو ما يُهمُّ في مجال تحديد المقاطع. لكن الأوربيين استحدثوا ما حدد درجات علو الأصوات - بما يمكن تطبيقه في العربية مرتبا ترتيبا تصاعديا كما يلي:

(١) ينظر الكتاب ١٦٥/١ - ١٦٦ ، ١٧٦/٤ والمقتضب للمبرد ط٣، ج١/١٩٩، ورسالة أسباب

حدوث الحروف ١٣ - ١٤، والمستوفي ٥٨٢/٢، ٥٩٧، مفاتيح الغيب (دار الفند) ٥٦/١ .

(٢) العين (تحقيق: د. درويش) ٦٠/١ - ٦١ ، ٦٤ .

١- الصوامت المهموسة:

أ - الشديدة (ت،ك).

ب - ثم الرخوة (س، ف، ح، ث، هـ، ش؛ خ، ص).

٢- ثم الصوامت المجهورة:

أ - الشديدة (ب، ج، د،أ،ق،ط).

ب - ثم الرخوة (ز -ل، م، ن، ر،ذ، ض،ظ، ع،غ، و،ى).

٣- ثم الحركات:

أ - الضيقة (واو المد، ياء المد، الضمة، الكسرة).

ب - ثم الواسعة (ألف المد مرققة ومفخمة، والفتحة كذلك)^(١).

فإذا أخذنا في الاعتبار بعض خصائص لغتنا، من أنه لا يبدأ فيها بصامت ساكن، ولا بحركة قبل صامت (إذ همزة الوصل المبتدأ بها صوت صامت لا تخفف)، كما أنه لا يسوغ في لغتنا توالي صامتين ساكنين إلا في حالات خاصة .. ثم إذا بسطنا الأمر بأن جعلنا الحركات وحدها هي أصوات القمة وما سواها أصوات القاع لأن كل الصوامت خفيفة الصوت بالنسبة للحركات... أمكن أن نطمئن إلى تحديد المقطع في اللغة العربية تطبيقاً بأنه تأليف صوتي يبدأ بصامت متحرك وينتهي عند ما يليه صامت متحرك آخر. ويمكن من ثم أن نطمئن إلى تنويع مقاطع العربية في ما يلي:

١ - النوع الأول: يتكون من صوت صامت + حركة قصيرة. كمقاطع /هـ/، /ل/.

٢- النوع الثاني: يتكون من صوت صامت + حركة طويلة. كالمقطع الأول من

قأ / تل، خو/طب، مي/عاد.

(١) في أساس هذا التحديد لدرجة علو الأصوات اللغوية انظر د. عبد الرحمن أيوب. أصوات اللغة ١٣٥ - ١٣٦ حيث عرض ذلك بالنسبة لبعض الأصوات الأوروبية، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٢٦ - ٢٨. ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ٢٤٤ - ٢٤٦.

٣- النوع الثالث: يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت. كمقاطع كلمة مُنْثَ /نَثَ /فَز. عند الوقوف عليها.

٤- النوع الرابع: يتكون من صامت + حركة طويلة + صامت كالمقطع الأخير من نَسَ /سَمِين. ومن سَا /هُون، وَمِي /عَاذ. والمقطعين الأخيرين من الضَّ /ضَبَّال /لِين

٥- النوع الخامس: يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامتين. كالمقطع الأخير من الـ /مَقَرَّ (عند الوقوف بالسكون) وكالكلمات رَبُّ، وَخِيزَ وَعِلْمَ عند الوقوف عليهن.

٦- النوع السادس: ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامتين - مثل رجل ضَالَّ. لا يحصيهم / عَاذ. والمقطع الأخير من الكلمات: مُخْ /حَاذ. مُخْ /ضَاذ. يَضْ /فَاذ - (عند الوقوف على كل منهن).

والمقاطع الكثيرة الشيوخ في الصيغ العربية هي الأنواع الخمسة الأولى، والسادس كثير أيضًا. وأغلب ما تتركب منه ألفاظ اللغة ما بين مقطعين إلى خمسة. وقد تتركب من مقطع واحد مثل شوق، فيل، تاب أو من ستة مثل مُتَوَفَّرَةٌ (تُن) مُتَقَدِّمَةٌ (تَن). وقد قيل إن الكلمة العربية لا تزيد بلواحقها - عن سبعة مقاطع ومثلوا لذلك باللفظين ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ١٣٧) ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ مَكُومًا وَأَنزَلْنَاهُمْ مَكُومًا﴾ (هود ٢٨). والحقيقة أنها يمكن أن تزيد عن ذلك كثيرًا. فيمكن أن تصل إلى ثمانية مقاطع كما في لَأَتَقَدِّمَنَّكُمْ - لَيَتَعَهَّدَنَّه - لَأَسْتَعِينَنَّكَه - لَيَتَقَاسَمَنَّهَا، وإلى تسعة: لَيَسْتَلْبِثَنَّكُمْهَا، وإلى عشرة؛ لَأَتَعَجَّلَنَّكُمْهَا. وإلى أحد عشر: أَفَأَتَعَجَّلَنَّكُمْهَا أَوْ فَلَأَتَعَجَّلَنَّكُمْهَا^(١).

وقد قيل إن دراسة المقاطع يمكن أن تزودنا بمقياس جديد لطبيعة تأليف الكلم العربية نميز به الكلمة العربية من الكلمة الدخيلة. ولكن الحقيقة أن تطبيق هذا سيكون تكلفًا سلبي الجدوى. فإذا قيل - بدلاً من قول سيبويه «ليس في كلام العرب (على صيغة)

(١) جاء في الخصائص لابن جني ٣٢٩/٢ (فالْحَرْفُ الَّذِي يُنْزَلُ مَعَ مَا بَعْدَهُ كَالْجُزْءِ مِنْهُ فَاءُ الْعُطْفِ، وَوَاوُهُ، وَلامُ الْإِبْتِدَاءِ، وَهَمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ، وَذَكَرَ كَافُ التَّشْبِيهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (٣٣٠/٢).

مِفْعِلُ (إلا مَنَحَر): ليس في كلام العرب (ما هو مكون من) مقطعين من النوع الثالث حركة الأول منهما أمامية ضيقة (إلا مَنَحَر) نجد أننا عبرنا عن كلمتين (صيغة مفعول) بنحو تسع كلمات، والتعبير مع ذلك غير مسلّم لأنه يشمل ما كان مثل زَبْرَج (والصامت الأول فيها أصلي لا زائد) وهذا خطأ، وإذا عبرنا عن هذا ضمن الضابط الجديد زاد عدد كلماته أيضًا - وأدّى إلى خطأ ثانٍ لأنه حينئذ يشمل نفي يَفْرَج ويفرج بالتاء والنون وهكذا. ثم على فرض الوصول إلى إحكام الضياغة فإنَّ الجدوى هي إبدال معيار فَيْج بمعيار دقيق محكم. ولكن على سبيل المجازة فإننا نقول:

العربية لا تقبل المقاطع المبدوءة بصامت ساكن وذلك وفقًا للقاعدة المعروفة (أنه لا يتبدأ بساكن)، ولنفس السبب لا توجد فيها صيغ (أي تركيبات مقطعية) مبدوءة بصامت ساكن. وقد منّا كذلك أنه لا يتبدأ فيها بحركة قبل حرف صامت. كذلك فإن العربية تستثقل الصيغ المكونة من أربعة مقاطع من النوع الأول، وتتجنب ما يؤدي إليها. فنحن نذكر تعليل النحاة لإسكان آخر الفعل الماضي الثلاثي عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك في مثل فهمت بأنه (ثَنِيَّ على السكون العارض لدفع كراهة توالي أربع متحركات في ما هو كالكلمة الواحدة) والمعاجم تصدق نظرية النحاة تلك، فلم يتعد ما جاء من ألفاظ اللغة بأربع حركات متوالية: اثني عشر لفظًا بعضها مكرر أو مبدل. منه الحَنْثِيرُ الشَّيْءَ الحَسِيسَ، والجَنْدِلُ: الأرض فيها حجارة، المُعْجِلِدُ اللبن الخائر، والعُجْلِطُ، والعُجْلِطُ، والعُكْلِطُ؛ والهْدَيْدُ: اللبن الخائر جدًّا، الدُّلُزُ: البراق، والزُّمْلُقُ: من يريق قبل أن يُفْضِي. والحَدْلِيقَةُ: العين.

وكرهوا - في الشعر بخاصة - الصيغ المحتوية على مقطع من النوع السادس - ولو في وصل الكلام (لأن كل ما فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن - إلا في ضَرْبٍ منه يقال له المُتْقَارِبُ فإنه مجوز فيه - على بُعد - التقاء الساكنين وهو قوله:

فذاك القصاص، وكان الثُّقا صُ قَرَضًا وحُثْمًا على المسلمينا

[المتقارب]

ولو قال.. وكان القصاصُ قَوْضًا وحتماً... كان أجود وأحسن. ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض، ولا نظير له في غيرها من الأعاريض (كما قال المبرد)^(١):
أما في الشر فهو كثير، وجاء في القرآن الكريم ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا لِإِنشَاقِبَتِهِمْ وَلَا جَانَّ﴾^(٢). ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾^(٣). ﴿مِنْ بَغْدٍ وَصِيبَةٍ يُوَصَّى بِهَا أَوْ ذَيْنَ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾^(٤). ﴿وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ...﴾^(٥).
وجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(٦) قراءة (التناد) (بتشديد الدال). فإذا وقف على أي من هذه الكلمات وأمثالها بالسكون كان آخر كل مقطعاً من النوع السادس.

* ويقرر سيبويه أنه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة (أي خمسة مقاطع من النوع الأول) نحو جَعَلَ لَكَ وَقَعْلَ لبيد^(٧) وهذا يصدقه أنه لا يتوالى في أي بحر خمسة أسباب ثقيلة.

* وذكر ابن سنان الخفاجي^(٨) أن من شروط فصاحة الكلمة أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف. فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قُبِحت وخرجت عن وجه من أوجه الفصاحة كقول أبي نصر بن نباته:

أَلَا إِنَّ مِغْنَاتِيْسَهُنَّ الذَّوَابُّ [شطر من الطويل]

(١) الكامل للمبرد ٢٥/١ ، ٢٦ نهضة مصر. وانظر في هذه النقطة د. عبد الصبور شاهين القراءات القرآنية ٥٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥٦ ، ٧٤ . وختام ٣٩ جَانَّ أَيْضًا.

(٣) سورة الحج ٣٦ .

(٤) سورة النساء ١٢ .

(٥) سورة الحج ١٨ .

(٦) سورة غافر ٣٢ وينظر لسان العرب (ندد، ندى).

(٧) ينظر الكتاب ٤٣٧/٤ .

(٨) سر الفصاحة ٩٥ - ٩٧ .

وكقول أبي الطيب:

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا شؤندا وإيها
[الكامل]

وكقول أبي تمام:

أينله باستماعك مَحَلًّا يفوت علوه الطرف الطموحا
[الكامل]

وكقوله:

العيس تعلم أن حوياً وإيها ريح إذا بَلَقَتْكَ إن لم تُنحر
[الكامل]

وقوله:

والى محمد ابتعث قصائدي ورفعك للمُشْتَبِثِينَ قَصِيدِي
[الكامل]

ففي رأيه أن كلمات مِغْنَاطِيْسُهُنَّ، شَوَيْدَاوَاتِهَا، باستماعك، حَوَيَاوَاتِهَا، لِلْمُشْتَبِثِينَ رديئة أو قبيحة، وخالية من الفصاحة لكثرة حروفها. ويرجم هذا هنا بكثرة مقاطعها. ونحن لا نتفق معه في اشتراط قلة الحروف أو المقاطع للفصاحة فقد جاء في القرآن الكريم (أَنْتَلِزِمُكُمُوهَا) (فَسَيَكْفِيكُمْ) وشاع جداً هذا النوع من الألفاظ المركبة في أساليب كبار المؤلفين^(١)، وما دامت الكلمة تخلو من التنافر فنحن لا نحبذ الحَجَر على استعمالها بسبب قيود تَرْفِيَةٍ.



(١) في أسلوب الإمام الطبري - مثلاً - في تفسيره الجليل تشيع مثل هذه الألفاظ الكثيرة اللواحق كضمائر الفاعل والمفعول مثل قوله وتصريفناها / ذُكِرْنَاها - انظر ١٧/١ . وانظر فصلاً في مثل هذا في دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (نحو ٣٥٠هـ) تحقيق: د. حاتم الضامن وزميله ص ٣٧٨ - ٣٨١ .

التطريز الصوتي Prosodies

عندما قورنت جهود الأئمة اللغويين القدماء في مجال التطبيقات الصوتية - بما قدمته الدراسات الحديثة في هذا المجال لم يكن متناصراً من أن تمتد إلى تلك الجهود ظلال من شك لم يكن كله ظلالاً أو عادلاً؛ فقد كانت لهم جهود تطبيقية عظيمة في هذا المجال، ولكنها لم تلقَ حظها الكافي من التقدير لأنها قُصِرَتْ في عملهم، وفي عمل المتأخرين من شراحهم أحياناً أخرى - على موضوعات معينة كباب الإدغام في النحو والصرف، وكالجانب التجويدي من قراءة القرآن الكريم، في حين تَوَارَى دَوْرُهَا في مجالات أخرى كسائر أبواب النحو والصرف، وكدراسات متن اللغة، والدراسات الأدبية النقدية. وأسهم في إلقاء هذه الظلال، أن بعض الأبواب التي اقتضتها طبائع اللغات الأخرى - الأوربية وغيرها - كالنبر stress - ليس لها في العربية من الأهمية مثل ما لها في تلك اللغات، فلم يلتفت القدماء إليها. ولما افتقدها المحدثون الذين يتطلبون في الدراسات العربية أبواباً مماثلة للأبواب التي رأوها في الدراسات الأوربية، حكموا بتقصير العرب في تلك المجالات التطبيقية. وسنرى الآن بعض تلك الدراسات التطبيقية الحديثة قبل أن نعرض لبعض التطبيقات الصوتية في الدراسات اللغوية التقليدية.



النبر، Accent، stress

ومعناه الضغط، والمقصود به في مجالنا هذا الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، أو على كلمة من كلمات الجملة.

والنبر في الكلمات مما يساعد على وضوح مقاصدها، وفصاحة وقعها لدى السامع. والنبر المقاطع في غير العربية دور خطير، إذ قد يتوقف عليه - عند السامع - نوع الكلمة أهي اسم أم صفة أم فعل. فلفظ Compact إذا نُبر مقطعه الأول كان اسمًا بمعنى اتفاق أو عهد، وإن نُبر مقطعه الثاني كان صفة بمعنى مُدمج أو مُحكم. ولفظ absent إذا نُبر مقطعه الأول كان صفة، وإن نُبر مقطعه الثاني كان فعلًا. ولفظ abstract إن نُبر مقطعه الأول كان اسمًا بمعنى مُلخصة، وإن نُبر مقطعه الثاني كان فعلًا بمعنى يستخلص أو يتنقص وهكذا^(١).

أما في العربية فنبر المقاطع قيمته أدائية، ولا يُلحظ إلا على المستوى اللهجي كما ينطق أبناء صعيد مصر كلمات مثل بَلَدُكم، مِسْطَرَّتْك، رَبَّنَا ونحوها في أوزانها - بنبر يخالف ما ينطقها به أبناء شمال مصر... ولا تتغير معاني الكلمات بين النطقين كما هو معروف - ولله الحمد. وعدم تغير المعاني هذا هو الذي يفسر عدم تعرض الأئمة القدماء للنبر، وأنه لا يتوجه عليهم بذلك اتهام تقصير أو غفلة - جزاهم الله خيرًا. أما المحدثون فقد وضعوا قواعد لنبر المقاطع^(٢) وهو نبر أكثره غريب وبعضه يمكن قبوله - كما إذا

(١) ينظر كتاب Good English 336 - 330 accent stress .

(٢) خلاصتها أنه إذا كان المقطع الأخير من الكلمة من النوع الرابع أو الخامس كان هو موضع النبر (مثل نستعين، مستقر) وإن لم يكن من أيهما وقع النبر على ما قبل الأخير بشرط ألا يكون هذا من النوع الأول مسبقًا بمثله أو مثليه وإلا وقع النبر على السابق ففي مثل استغفر / قاتل / يكتب / تقدم - يقع النبر على ما قبل الأخير، وفي مثل كتب واجتمع وعنب وشجرة ومنزلتكم وملكه - على الثالث والرابع عند بدء العد من آخر الكلمة. انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ١٧٣ / الأصوات د. نجا ٧٨، وعلم الصوتيات د. عبد الله ربيع وصاحبه ٢٩١ - ٢٩٢ .

فُتْسِر إبرازُ التضعيف في نطق نحو (أَسَدٌ) (بمعنى أصوب) بأنه نبر مقابل نطق (أَسَدٌ) (= المفترس المعروف) بالسكون (وفقاً فيهما). ولعل ما هو أجدر بالتماس قاعدة له النبر في مثل: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(١)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾^(٢)، ﴿بِمَنْ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣)، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾^(٥)، ونحوها من الكلمات المركبة، إذ ينبغي أن تساعد طريقة الأداء في القراءة على ما يشير إلى أن (ما)، هنا كلمة مستقلة. وكذلك مثل ﴿... فَفَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٦) ينبغي ألا تقرأ كلمة (فَعُّوا) وكأن الفاء حرف أصلي من الفعل (فقع) وهكذا.

* وبعض أمثال تلك الكلمات ينبغي أن تقرأ بنبر يبرزها كلمة واحدة مثل (إِيَّاكَ، وَإِيَّاكُمْ، وَإِيَّانَا، فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ﴿أَهْؤَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٧)، ﴿تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّاَنَا يَعْبُدُونَ﴾^(٨)... ونحوها، فيكون النبر على ألف المد في إياك وإيانا نبراً يقوي اتصالها بالكاف... وقد أشار إلى ذلك بعض الشراح المتأخرين^(٩)، وقيمة كل هذا إبراز المعنى، بإلقاء الكلمة (والعبارة) بالصورة المؤدية إليه. ولهذا فإن ما قرره المحدثون من إيقاع النبر في مثل (مستقر ومستمر...). من مضعف اللام - أي

(١) سورة الأنعام ١٣٤ .

(٢) سورة الأنفال ٤١ .

(٣) سورة البقرة ٩٠ .

(٤) سورة الأعراف ٣٧ .

(٥) سورة لقمان ٢٧ .

(٦) سورة الحجر ٢٩ .

(٧) سورة سبأ ٤٠ .

(٨) سورة القصص ٦٣ .

(٩) جاء في نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي أن شارح نونية السخاوي (وقد توفي السخاوي ٦٤٣هـ) قال ينبغي أن يُحْتَرَزَ في (قراءة قوله (إياك نعبد) عن ستة أشياء.. خامسها السكت على الألف، وسادسها إشباع فتحة الكاف). وتجنب هذين يكون بنبر الألف.

المنتهى بمقطع من النوع الخامس - على مقطعه الأخير يستحق التنويه به وإن كنا نرى أن هذا مجرد أداء للتضعيف الموجود فعلاً لا نبر، وقد ذكرنا هذا قبلاً.

والخلاصة أن تطبيق النبر في لغتنا العزية ينبغي أن يكتيف بما تقتضيه هذه اللغة لا أن يقاس فيها على ما تطلبه اللغات الأخرى. وقد استحدثنا باباً لنبر الكلمات المركبة في كتابنا «تحقيقات في التلقي والأداء»^(١).

أما نبر الكلمات غير المركبة، فلا شك أنه أكثر أهمية في إبراز المعنى كما في (أخوك لا يتحمل منك هذا. أهنأك اليوم محاضرات؟ لا يتأتي هذا منك لأنك معلم).

فنبر كلمة (أخوك في المثال لأول، و(اليوم) في المثال الثاني، و(معلم) في المثال الثالث يبرز المعنى المراد من الجملة، وهو - في الجملة الأولى أن أعمال المخاطب لا تُحتمل حتي من أقرب الناس إليه، وفي الجملة الثانية أن اليوم الذي وقع فيه هذا الكلام لا يُتوقع أو ليس من المعتاد أن تكون فيه محاضرات (إما لأنه يوم عطلة مثلاً، أو لأن هناك ظروفًا طارئة تجعل هذا غير متوقع أو غير متاح). وفي الجملة الثالثة يقصد بها أن صفته من حيث هو معلم تفرض عليه نمطاً من السلوك منزها عما لا يناسب أهل المثل العليا. وهكذا.



(١) ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» ١٢١ - ١٣٩ .

التنغيم Intonation

يقصد به التنوع في أداء الكلام بحسب المقام المَقُول فيه. فكما أن لكل مقام مقالاً، فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه. فالتهنئة غير الرثاء، والأمر والنهي سطوة ورَدَعًا غيرُهُما شفقة، وهما غير التأنيب والتوبيخ، والتساؤل والاستفهام غير النفي وهكذا. وقد تناول علماء العرب^(١) موضوع تنغيم الكلام بتفصيل واضح، إلا أن ذلك كان وهم بصدد قراءة القرآن، وفي ميدانه. وليس معنى هذا أنهم لم يدركوا قيمة الإلقاء في أداء الكلام غير القرآني، كيف وقد كانت الخطابة من أشرف مواقفهم، وكذلك كان الشعر وإنشاده، كما أثر عنهم أنهم يعتزون بفصاحة الإلقاء، وينهون بفصاحة الفصحاء. (وبعضها ولا شك إلقاء). كما أنهم عرفوا الإلقاء على طريقة المخاطبة^(٢)، وصنفوا فيه منذ وقت مبكر، فقد صنف أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصفهاني (المتوفي ٢٥٣/٢٤٢هـ) - وهو إمام في القراءات والنحو - كتاباً في قراءة القرآن على طريق المخاطبة^(٣)، ومعروف أن القراءة أو الإلقاء على طريق المخاطبة يعني أداء الكلام الاستفهامي بطريقة تشعر السامع بالاستفهام، والإنكارى بطريقة تشعره بالإنكار... وهكذا التعجب والتحير والندم والتلهف والزجر والإنذار والتبشير... إلخ. وقال الإمام ثعلب يصف محمد بن أحمد الطوال النحوي (توفي ٢٤٣ هـ): (وكان حاذقاً بإلقاء العربية)^(٤). فهذا الالتفات إلى (الإلقاء) وإلى القراءة (بطريقة المخاطبة) في القرن الثالث - بصرف النظر عن (التغني) بالقراءة الذي كان معروفاً منذ القرن الأول - يعني أن (تنغيم الأداء) كان معروفاً لعلماء العرب من حيث هو مجال علمي في ذلك القرن الثالث على الأقل... ولكن الخالفين أهملوه فأضاعوه.

(١) انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للأستاذ ليب السعيد. الباب الثاني كله ثم بصفة خاصة

أنواع القراءة المكرومة ٣٤٤ - ٣٤٨ . والإتقان للسيوطي النوع ٣٤ .

(٢) تنظر ترجمته في «غاية النهاية» لابن الجزري (٢/٢٢٣).

(٣) ينظر بغية الوعاة للسيوطي ٥٠/١ .

• وما يدخل في تنغيم الكلام مراعاة مواطن الوقف في الإلقاء والتزامها، إذ إنه يوجه المعنى ويغيره. ولذا قال القراء إنه يتحتم على القارئ ألا يكون وقوفه على كلمة ما مما يُجِل المعنى أو يُخِلّ بالفهم. وقرروا أنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل، واشتروطوا ألا يجيز المقرئ أحدًا بالقراءة إلا بعد معرفته الوقف والابتداء^(١).

ففي قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) قد تفصل في القراءة إلى مجمل (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي / أَدْعُو إِلَى اللَّهِ / عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي / وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي / أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ / أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي / وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وواضح أن تقرير كون الدعوة بمنهجها أو أهدافها على بصيرة هو معنى مغاير لكون الداعي - بإطلاق في كل حال - على بصيرة هو ومن اتبعه. فالبصيرة في الأول خاصة بالدعوة وفي الثاني تعم الدين بعقائده وشرائعه مع الدعوة. وإن كانا يتحققان له صلى الله عليه وسلم ولمن اتبعه ديناً ودعوة^(٣). وسنعاود الكلام عن الوقف وأحكامه وهيئاته في القرآن الكريم في قسم التجويد.

ويدخل في هذا الباب كذلك تنغيم القراءة للانتهاء، والأذان، والتكبير في إمامة الصلاة، والتنغيم في كل أداء للكلام.



(١) الإتيان النوع ٢٨ .

(٢) سورة يوسف ١٠٨ .

(٣) انظر الطبري ٢٩١/١٦ ، والقرطبي ٢٧٤/٩ .

تطبيقات صوتية في مجالات الدراسة اللغوية

أولاً : في متن اللغة :

١- دور حروف الذلاقة في بناء الكلام: عرفنا خفة حروف الذلاقة وثقل سواها من الحروف بصفة عامة. ولما كان بناء الجذور اللغوية العربية يقوم في الجمهور الأعظم منها على ثلاثة أحرف للجذر، كان البناء الثلاثي أخفّ الأبنية. وكان من الطبيعي أن يثقل على أصحاب اللغة ما زاد بناؤه على ثلاثة أحرف، وأن يزداد الثقل كلما ازداد عدد الأصوات التي يُتَتى منها التركيب. ومن هنا نجد أنهم لا يتقبلون تلك الأبنية الرباعية فما فوقها إلا إذا كان بعض حروفها الأصلية من حروف الذلاقة لتُخَفَّفَها وتُيسِّرَ استعمالها. «نحو جعفر، وَقَعَصَب^(١) وسلَهَب^(٢) وَقَرَزْدَق^(٣) وهَمَزَجَل^(٤) وَقَوَطَعَب^(٥).. فمتى وَجَدْتَ كلمةً رباعيةً أو خماسيةً مُعْرَّاةً من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه... وربما جاء بعض ذوات الأربعة مُعْرَّاةً من بعض هذه الستة، وهو قليل جدًا منه القَشَجِد^(٦) والقَسَطُوس^(٧) والدَّهْدَقَة^(٨) والزَّهْرَقَة^(٩) - على أن العين والقاف (في هذه الكلمات) قد حسنتا الحال لنصاعة العين ولذاذة مُسْتَمَعِها وقوة القاف وصحة جزسها^(١٠). وهكذا مثَّل أماننا معيارًا لغرابة البناء عن لغة العرب

(١) الضخم الشديد الجرئ .

(٢) الطويل من الخيل والناس..

(٣) قطع العجين.

(٤) الخفيف السريع.

(٥) قطعة. خرقة.

(٦) الذهب أو الجوهر النفيس عامة.

(٧) الخيزران.

(٨) التكسير.

(٩) شدة الضحك.

(١٠) سر الصناعة ٧٤/١ .

وهو تُخْلَوُه - إذا كان رباعيًا فما فوق - من حروف الذلاقة^(١) نحو طعش وخظلق وكُشْتَج وكُشْعَج^(٢).

٢- تجنب تركيب أبنية من حروف متجانسة أو متقاربة المخارج. لأن تقاربها يثقل نطقها معًا، فاللسان ينطق الحرف من مخرج ثم يفارقه لينطق الحرف التالي من الكلمة، فإذا كان التالي مجانسًا للأول وجب أن يرجع إلى ما فارقه أو إلى مجاوره. وفي هذا ثقل لأنه كمشي المقيد. أ- لا تجتمع في كلمة عربية قاف وجيم، ولا كاف وقاف، ولا كاف وجيم، ولم يبنوا في الكلام سص ولا صص، ولا ظث ولا نط، ولا ضش أو شض^(٣). ولا العين مع غير الهمزة من حروف الحلق، ولا الحاء مع الهاء أو الغين^(٤).

ب- ليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) ولا يبنون بناء تسبق فيه النون الراء. ولا اللام الراء. ولا الدال التاء أو الطاء^(٥). وتقارب أحرف كل مجموعة منها واضح. ٣- ظواهر الإبدال وتعدد اللهجات..

وقد أسلفنا منها في الدراسة المفصلة أمثلة كافية. ومعالجة الظاهرتين معالجة تفصيلية لها مواضع أخرى.

ولذا سنكتفي هنا بإحدى صور الإبدال في الأبنية المعتلة الآخر. بعض هذه الأبنية عيئها ولائها مثلاً. وهم يستقلون النطق بالمثلين المتواليين - إذا لم يدغم أولهما في ثانيهما - لأنه كمشي المقيد. ثم إن مثل هذه الأبنية قد تُصَرَّفُ إلى صيغ تضعف فيها عيئها، فيصير في آخرها ثلاثة أحرف متماثلة فيزداد الثقل. ولذا كثيراً ما يبدلون آخر تلك الحروف المتماثلة إلى حرف مد تخفيفاً. ومن هنا فإن زَيَّي أصلها

(١) العين ٥٩/١ .

(٢) طعش وخظلق مخترعتان، والكُشْتَج كالحُزْمَة من الليف معربة، والكُشْعَج مولدة.

(٣) الخصائص ٥٤/١ ومجلة المجمع ١٤٢/٨ وانظر الصاحبي ٨٧ .

(١) ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» ١٢١ - ١٣٩ .

(٤) العين (درويش) ٦٨/١ - ٦٩ والصاحبي ٨٧ .

(٥) ينظر العين ٥٩/١، والخصائص ١٦٩/٢، والقاموس وتاج العروس (لهب). وقد يستثنى (لاش).

رَبِّ، وَدَسَى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاها﴾^(١) أي أغرقها في الشهوات والضلال - أصلها دَسَسَ، وَدَلَّى ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(٢) أي دَلَّهما - أصلهما دَلَّلَ، وَصَدَّى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾^(٣) أي تصفيقا - أصلها صَدَّدَ. وَتَسَنَّى ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير - أصلها تَسَنَّنَ^(٤)، وَتَسَرَّى (اتخذ سريرة أي أمانة للفراش) أصلها تَسَرَّرَ، وَتَلَعَّى (أصاب لُعاة أي يسيرا من الشراب أو الطعام) أصلها تَلَعَّعَ، وَتَلَطَّى ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(٥) أي تضطرم وتلتهب - أصلها تَلَطَّظَ، وَلَبَّى أصلها لَبَّبَ، وَتَمَطَّى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾^(٦) أصلها يَتَمَطَّط... وقالوا إن أَمَلَى الكتاب ﴿فَهِىَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾^(٧) أصلها تُمَلَّلُ من أَمَلٌ ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾^(٨).



-
- (١) سورة الشمس ١٠ .
 - (٢) سورة الأعراف ٢٢ .
 - (٣) سورة الأنفال ٣٥ .
 - (٤) على أحد القولين - والعبارة من سورة البقرة ٢٥٩ .
 - (٥) سورة الليل ١٤ .
 - (٦) سورة القيامة ٣٣ .
 - (٧) سورة الفرقان ٥ .
 - (٨) سورة البقرة ٢٨٢ وينظر لسان العرب وتاج العروس (ملل).

ثانيا : في الصرف

يدور كثير من التطبيقات الصوتية الصرفية على تأثر الحروف بعضها ببعض عند تجاورها في كلماتها. وسنقتصر هنا على التمثيل لتلك التطبيقات بنمط واحد من أنماط التأثير هو ما يتعلق بالحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان عندما تقع...
أ - عينا لصيغة افتعل.

ب- أو فاء لصيغتي تفعل وتفاعل.

ج - أو فاء في اسم وقبلها إل.

أ- فإذا وقع أي من الحروف العشرة ت د ط / ز س ص / ث ذ ظ / ض عينا لكلمة على صيغة افتعل فإنه يجوز إدغام تاء افتعل في ذلك الحرف لاتحاد مخرج التاء مع مخارج المجموعة الأولى ومجاورته لمخارج الأخرى. ويترتب على هذا تحريك فاء افتعل حتى لا يلتقى ساكنان، وبتحريك الفاء تسقط ألف الوصل، لأنها جيء بها للنطق بالساكن. وبذلك تصبح **اَفْتَلَّ قَتَلَ** و**اَفْتَدَرَ قَدَرَ** و**اَفْتَطَعَ قَطَعَ**... وكذا يقال في انتزع، وانتسق، وانتصب، وانتشر، وابتذل، وانتظر، وافتضح.

ويظهر الفرق بين صورة الفعل بعد إجراء الإدغام المذكور وما يترتب عليه وصيغة **فَعَّلَ** المضعفة في مثل **كَسَّرَ** و**قَدَّمَ** في أن الصيغة المضعفة ماضيها مفتوح الفاء لا غير ومضارعها مضموم حرف المضارعة ومكسور عين المضارع لا غير فيهما، في حين أنه يجوز في ماضي الصيغة المدغمة كسر الفاء، كما أن مضارعها مفتوح حرف المضارعة ويجوز كسره لا غير، وعين مضارعها تفتح أو تكسر كذلك^(١).

ب- إذا وقع أي من الحروف العشرة المذكورة أو الشين أو الجيم - فاء لصيغة تفعل أو تفاعل فإنه يجوز إدغام تاء تفعل أو تفاعل في ذلك الحرف لنفس العلة المذكورة فتبدأ الكلمة بحرف مدغم ساكن، فتجئ **تَلَبَّ** ألف وصل للنطق بالساكن. فيقال في تترس: **اَتَرَّسَ** وفي تدلى **اِذْلَى** وفي تدابروا **اِذَاَبَرُوا** وهكذا.

(١) ينظر تفصيل لذلك في شرح الرضي شافية ابن الحاجب ٢٨٣/٣ - ٢٨٦ .

(اللام الشمسية والقمرية):

ج- إذا وقع أي من الحروف العشرة (المذكورة في أ) أو الشين (أو اللام) أو النون أو الراء أولاً لاسم نكرة ثم أدخلت عليه (ال) فإنه يجب إدغام لام (ال) فيه مثل الدلو... إلخ - وهذا هو ما يسمى اللام الشمسية. قال سيويه معللاً هذا الإدغام «لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان (يقصد الضاد والشين) فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام لم يجز فيها إلا الإدغام»^(١) هذا، ولم يذكر سيويه حرف اللام ضمن الحروف التي تكون في أول النكرة وتدخل عليها لام التعريف فتدغم فيها^(٢). وكذلك لم يذكرها أبو عمرو الداني في كتابه «التحديد» في حين ذكرها ابن الحاجب في الشافية.

والمستيقن أن لام (ال) تدغم في لام الاسم المبدوء باللام مثل (لبن) للتماثل مع سكون الأولى وعدم مانع الإدغام فهي بهذا تعد ضمن حروف اللام الشمسية^(٣). وواضح في ذلك كله أن سبب الإدغام هو قرب الحرف المدغم من الحرف المدغم فيه.

فهذه تطبيقات مهمة لدراسة الأصوات، وهناك تطبيقات أخرى كثيرة في الصرف والنحو والبلاغة والأدب تدرس في مجالاتها.

(١) ينظر الكتاب (طبعة الأميرية) ٤١٦/٢ ويلحظ أن عبارة «لكثرة لام المعرفة في الكلام» سقطت من طبعة (هارون ٤/٤٥٧).

(٢) عين سيويه الحروف المذكورة منها أحد عشر حرفاً (حروف طرف اللسان) ن ر، د ن ص ط، ز س ظ ث ذ، ثم حرفان خالطا طرف اللسان ض ش.

(٣) ينظر «التحديد» في صنعة التجويد» لأبي عمرو الداني تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومي ص ٣٤٥ وشرح الرضى الشافية ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ وقد التبس الأمر على بعض الدارسين فعدوا اللام قمرية بسبب ظهور لامين في نطق مثل (اللغة) (البن)، ولكن تطبيق قاعدة الإدغام وهي أن الإدغام يجعل الحرفين واحداً مشدداً كالثاني أي مثلين أولهما ساكن) يدخلها مع الشمسية.

قسم التجويد

معنى تجويد الشيء: إجادته عمله أي إتقانه وإحكامه. والمقصود هنا تجويد قراءة القرآن الكريم. وواضح أن تجويد القراءة هو من مستوى الدراسة الصوتية النظامية، وإن كانت الدراسة الإفرادية هي أساسه الأعظم. وتجويد القراءة يكون :

أ- إعطاء الحروف حقوقها بإيفاء كل حرف مخرجه وصفاته، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف^(١).
ب- فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مؤقفاً حقه فليتميل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد، إذ تتأثر الحروف بمجاورة بعضها بعضاً - وهي تختلف في مخرجها وصفاتها (قوة وضعف، وشدة ورخاوة، وجهرًا وهمسًا، وتفخيماً وترقيقًا، واستعلاء واستفالاً إلخ) - فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق... فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.

ج: ثم عليه.. بعد الأمرين السابقين - أن يراعي في القراءة ترتيل الكلمات أي نطقها بحيث يتميز بعضها من بعض في السمع.

فمن أحكم صحة التلفظ حالة أداء الحروف في كلماتها والكلمات في جملها فقد حصل حقيقة التجويد^(٢) إذا راعي الوقوف المناسبة وسائر آداب الأداء.

وتجويد القراءة واجب تقتضيه ضرورة «البيان» في الأداء من ناحية، وتوفير حق السامع في إلقاء الكلام (أو القراءة) إليه على الوجه الصحيح المعبر المفهم من ناحية أخرى، وارتباط المعاني بألفاظها بحيث يؤدي اختلال اللفظ إلى اختلال المعنى - كما

(١) ينظر عن تعريف التجويد الإتيان ١/١٠٠، النشر لابن الجزري ١/٢١٠ - ٢١٢ ، ولطائف الإشارات ١/٢٠٧، نهاية القول المفيد.

(٢) انظر الإتيان ١/١٠٠، النشر لابن الجزري ١/٢١٤-٢١٥، نهاية القول المفيد ص ١١ - ١٣ (باب التجويد).

أشرنا من قبل. ويضاف إلى ذلك كله أن القرآن الكريم ليس ككلام البشر، وإنما هو كلام الله تعالى أنزله للهدى والتشريع، وكلُّ عبارة منه تحمل قبساً من نور بسطه الله للإنسان. وإذا كان الأداء السيئ لخطبة أو حديث، والحكاية الرديئة لكلام صديق أو رئيس أو ذى مكانة = يثير إنكاراً على الخطيب والمتحدث، كما تجرع رداءة المحاكاة الصديق، وتثير سخط ذى المكانة والذين يوالونه أيضاً... إذا كان هذا حالاً مع كلامنا نحن، فإن توقير كلام الله سبحانه، وإيقاءه حق الاحترام في أدائه يصبح فرضاً متعيناً. ومن هنا جاء الأمر في القرآن بتجويد القراءة ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(١) - روي عن علي كرم الله وجهه «الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف». وقد نص كثير من الأئمة على فرضية التجويد في قراءة القرآن^(٢). وقد وصفت السيدة أم سلمة رضى الله عنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كانت قراءة «مفسرة حرفاً حرفاً»^(٣) ومما جاء في وصف قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمد مداً: إذا قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد بسم الله (أي يمد لفظ الجلالة) ويمد بالرحمن «ويمد بالرحيم»^(٤)... كان يقطع قراءته فيقول «الحمد لله رب العالمين». ثم يقف «الرحمن الرحيم» ثم يقف...^(٥) وكذلك وُصِفَت قراءته لسورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فكان يرجع آ.. آ.. (أي كان يمد ألف الإطلاق التي في آخر كل آية: ﴿لِيَنْفِزَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(٦).

ومراتب التجويد ثلاثة ترتيل وتدوير وحذر. وفصل بعضهم الأولى إلى تحقيق وترتيل، وجعل التحقيق تمهيداً للترتيل.

فالتحقيق إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات

(٢) نهاية القول المفيد ١٠ .

(١) المزمل ٤ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد والحرف يصدق في اللغة على الكلمة، وهو المراد هنا.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/١ والمقصود هنا المد الطبيعي.. مقابل القصر كقول العامة «باسم الله» وقول الآخر: قد جاء نصر الله. (دون ألف بعد لام الجلالة). (٥) الموضع ذاته.

(٦) انظر التنقيح بالقرآن لبيب السعيد ص ١٨ وتفسير الترجيع بهذه الصورة هو ما فهمته أنا. وهو الحق إن شاء الله تعالى. والآيات من أول سورة الفتح. وفي كتاب «دفاع عن القرآن» د. محمد حسن جبل ص ٧٢ زيادة تفصيل.

واعتماد الإظهار، والتشديدات، وبيان الحروف بعضها من بعض - حسب الضوابط اللغوية - مع الترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائزات من الوقوف، بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه دون مقتضى، علمي مناسب لهذا المستوى. والتحقيق يكون لرياضة الألسن (أي تدريبها وتمارينها) على تقويم الألفاظ. ويستحب الأخذ به على المتعلمين.

والترتيل: القراءة بتؤدة وأطمئنان، مع إخراج كل حرف من مخرجه ومع تدبر المعاني. أي أنه قراءة سلسة مفصلة غير متراكبة الألفاظ ولا متلاحمتها. وبذا يتسنى معه التدبر. ولا يتأتى الترتيل إلا لمن عرف التحقيق وتمرس به حتى سلس له الأداء المرتل. والحدّر - وهو المرتبة الثالثة - هو إدراج القراءة أي الإسراع فيها وتخفيفها بالقصر (في الحالات التي يخيّر فيها بين المد والقصر) والتسكين والاختلاس (أي اختلاس الحركة - وذلك في الحالات التي يجوز فيها ذلك أيضا كما في القواعد) والإدغام الكبير، والصغير، وتخفيف الهمز (حسب قواعد كل ذلك) ونحو ذلك مما صحت به الرواية، مع إقامة الإعراب وتقويم اللفظ، وتمكين الحروف بدون بتر وبدون تفريط. والتدوير هو المرتبة الثانية وهو التوسط بين التحقيق أو الترتيل والحدّر.

ويقوم التجويد هنا على دراسة مخارج الحروف وصفاتها، وأبواب المد والقصر، والقلقلة، والتفخيم والترقيق، والإدغام وأحكام الهمز تحقيقا وتخفيفا، والوقف: هيئاته ومواطنه، وسنعرض لها على هذا الترتيب - بشيء من الإيجاز.

أما مخارج الحروف وصفاتها فقد سبق عرضها. والكلام فيها بالنسبة لقراءة القرآن الكريم هو عينه بالنسبة للأداء الفصيح للكلام العربي - كما يؤخذ من قوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(١). قال أبو عمرو الداني «إن قطب التجويد.. (هو) معرفة مخارج الحروف وأجناسها التي بها ينفصل بعضها من بعض وإن اشتركت في المخرج. وأما اذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه إن شاء الله تعالى^(٢)» اهـ.

(١) الشعراء ١٩٣ - ١٩٥ .

(٢) ينظر كتاب «التحديد..» لأبي عمرو الداني، تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومي ٢١٩ .

المد والقصر

المد في اللغة الزيادة، وهو في اصطلاح القراء إطالة الصوت بحرف من حروف المد المعروفة. وأما القصر فهو في اللغة الحبس أي منع الاسترسال والامتداد. وهو في اصطلاح القراء: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه.

وقد أسلفنا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يمد في قراءته، وجاء في الأثر - أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم قراءته - كان يقرئ رجلاً «فقراً الرجل» ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ مرسله (أي مقصورة بلا مد أي «للفقراء بلا همز»، فقال ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الرجل كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال أقرأنيها ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ فمدّه^(١).

وحروف المد ثلاثة هي الألف والواو والياء إذا كانت الحركة السابقة لكل منها مجانسة له: فتحة قبل الألف وضمة قبل الواو وكسرة قبل الياء^(٢). أما إذا لم تسبقهن حركات مجانسة لهن - وهذا يتأتى في الواو والياء فحسب - فليسن حيثثد حروف مد بل حروف لين وذلك مثل صَوْتُ وَيَّت.

والمد قسمان أصلي، وفرعي.

فالأصلي هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به، ولا يتوقف على سبب، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة المذكورة دون أن يليها ساكن ولا همزة. وسُمِّي طبيعياً لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن مده ولا يزيد عليه. وحُدِّد مقدار ألف وصلاً ووقفاً. ومقدار الألف حركتان. ومقدار الحركة ثنى الإصبع أو فتحها بلا إسراع ولا إبطاء وقد أسلفنا أن زمن امتداد الحركة بالثانية هو ١٦، ٠ من الثانية.

(١) الإتقان النوع الثاني والثلاثون - أوله. وما بين القوسين مسئوليتي. والآية من سورة التوبة ٦٠ .
(٢) هذا جرى على ما شاع فقط. والحقيقة أنه ليس هنا حركة قصيرة قبل حرف المد. ففي كلمة «عاد» مثلاً الذي بعد العين مباشرة هو ألف المد وليس قبلها فتحة. وكذلك الأمر في «يعود» و «سعيد» وكل مواطن حروف المد.

وأما المد الفرعي فهو المد الزائد على المد الأصلي في حروف المد المذكورة ومقداره ثلاث حركات أو أربع أو خمس أو ست على ما يأتي:

وله أسباب معنوية ولفظية. فالسبب المعنوي هو قصد المبالغة. ويكون في النفي إما للتعظيم أو للتبرئة - وذلك في لا النافية - في كلمة التوحيد ونحوها مثل «لا إله إلا الله. لا إله إلا هو. لا إله إلا أنت» وأما زيادة المد قصدا للتبرئة أي لتوكيد النفي فمثل ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾^(١) - ﴿لَا يَتَلَّاهُم بِهَا﴾^(٢) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣).

أقول: وهذا مذهب معروف عند العرب. لأنهم يمدون ما لا أصل له في المد عند الدعاء أو الاستغاثة مثلا أو عند المبالغة في غيرهما. فإذا أرادوا أن يعبروا عن الطول الشديد مثلا قالوا طويلا ويكادون يمدون الطاء أيضا ويقولون عاااا مبالغة في الوصف بالعلو. وليس المد الفرعي مقصورا على المبالغة. فالمد في مثل (احمأ) وهو فرعي. يعبر عن أن الحمرة في ما أسند إليه الفعل هي «عَرَضٌ لَا يَثْبُت» إما لوقوعها بالتدرج أو لكونها تتحول. ويقولون احمأ الشيء إذا ثبت لونه فلم يتغير من حال إلى حال^(٤). وهكذا يثبت أن لبعض المد الفرعي (كما للمد الأصلي) قيمة في المعنى.

فهذا عن القيمة المعنوية للمد الفرعي. ولعل من المسلم به أن للمد الطبيعي (وللحركات) قيمة جوهرية في تشكيل المعنى. فإذن هناك فرقا واضحا بين كل من (كتب) و(كُتِبَ)، و(كَاتَبَ)، و(كُوتِبَ) إلخ. وما جاء هذا الفرق إلا من تغير حرف المد أو زيادة طوله.

ولم يجوز علماء اللغة قصر الممدود مدا طبيعيا إلا للضرورة. أما علماء الشرع فعُدوا ذلك في القرآن ونحوه حراما وأثموا الشاعر القائل:

ألا لا بَارَكَ اللّهُ فِي سَهْلٍ إِذَا مَا اللّهُ بَارَكَ فِي الْبُرْجَالِ

[الوافر]

وأثموا الآخر القائل:

أَقْبَلَ سَبِيلَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ يَخْرِدُ حَزْدَ الْجَنَّةِ الْمُفْلَةِ

[الرجز]

(٤) اللسان (حمر).

(٣) البقرة ٢٥٦ .

(٢) النمل ٣٧ .

(١) البقرة ٧١ .

لَقَضِر لَفْظ الْجَلَالَةِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتَيْنِ^(١).

الأسباب اللفظية للمد الفرعي:

هي أن يلي حرف المد همزاً أو سكون، أو يسبقه همز على التفصيل الآتي/

المد الفرعي بسبب وجود همز بعد حرف المد قسمان:

- ١- واجب وذلك إذا وقع بعد حرف المد همزة متصلة أي في نفس الكلمة مثل «شاء» «تبوء» - «تفيء». ويمد وجوباً ٤ أو ٥ حركات عند حفص، و ٣ أو ٦ حركات عند غيره^(٢).
- ٢- جائز منفصل إذا كان حرف المد في آخر كلمة والهمزة في أول كلمة بعدها نحو ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٣)، ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٤) ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾^(٥) ويجوز مده أكثر من حركتين إلى ست.

والمد الفرعي بسبب وجود سكون بعد حرف المد قسمان:

- ١- مد جائز لسكون عارض وذلك إذا عَرَضَ السكون للحرف الذي بعد حرف المد كما عند الوقف على ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿يَنْفَقُونَ﴾^(٦) ﴿الرَّحِيمُ﴾ وحكمه جواز مده أكثر من حركتين فيصّل إلى أربع حركات أو ست. والمد بمقدار ٦ حركات أفضل وأولى... ولا ينقص عن حركتين، لأن مده بمقدار حركتين واجب وإنما الجائز هو ما زاد على ذلك.
- ٢- مد لازم بسبب سكون لازم وذلك إذا جاء السكون في نفس الكلمة وهو أقسام (عند علماء التجويد).

أ- كَلِمِي مَثَل: إذا كان حرف المد في كلمته وبعده في نفس الكلمة (الحرف المشدد حرفان أولهما ساكن) مثل ﴿الضَّالِّينَ﴾ ﴿الصَّائِحَةَ﴾^(٧) ﴿قُلْ عَالِلُهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾^(٨). (بهمزة استفهام وبعدها مد ثم اللام الأولى من لفظ الجلالة، وهي ساكنة). وحكمه وجوب المد بمقدار ٦ حركات لادون ذلك على المشهور.

(١) ينظر الكتاب ٣٠/١، وضرائر الشعر لابن عصفور ١٣١ - ١٣٢، والعربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب يوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار ص ٦٨.

(٢) ينظر نهاية القول المفيد. الباب ٥ فصل ٢ (ص ٥٥) في طبعة التوفيقية. (٣) الكوثر ١.

(٤) النور ٣١. (٥) المائدة ٢٨. (٦) البقرة ٣. (٧) عبس ٣٣. (٨) يونس ٥٩.

ب - كلمي مخفف: وذلك إذا كان الساكن الذي بعد حرف المد في الكلمة حرفا غير مشدد مثلاً ﴿الآن﴾^(١) ﴿محياتي﴾^(٢) و﴿اللائي﴾^(٣) «يسن» (عند من قرأ بلا إدغام) - وحكمه وجوب مده ٦ حركات.

ج - حرفي مثقل: وذلك إذا وقع حرف المد في اسم حرف من حروف أوائل السور إذا كان آخر الصوت الممدود مدغماً في ما بعده مثل ﴿ألم﴾ (ألف لام ميم) ﴿طسم﴾^(٤) (طاسين ميم) ومده ٦ حركات وجوبا.

د - حرفي مخفف: وذلك إذا وقع حرف المد في اسم حرف من حروف أوائل السور أو غيرها وبعده ساكن ليس مدغماً مثل ﴿ص﴾، ﴿ن﴾.. (صاذ - نون).
أما إذا كان حرف المد في كلمة والحرف الساكن في كلمة أخرى فإنه يحذف مده الفرعي والأصلي لالتقاء الساكنين ﴿وقالوا اتَّخَذَ﴾^(٥). و﴿المُقيمي الصلاة﴾^(٦). ﴿إذا الشمس كُوِّرَتْ﴾^(٧).



(٢) الأنعام ١٦٢ .

(٤) الشعراء ١ .

(٦) الحج ٣٥ .

(١) يونس ٥١ .

(٣) الطلاق ٤ .

(٥) البقرة ١١٦ .

(٧) التكوين ١ .

القلقلة

وهى التحرك والاضطراب. والمقصود إقلاق أي حرف من حروف (ق، ط، ب، ج، د) حين يقع في الكلام ساكنا - أي إقلاقه عند النطق به بحيث لا يطول قراره في موضعه. وإنما تقلقل تلك الحروف كذلك لبيان صوتهما ولتخفيف النطق بهما. فإنها إذا نُطِقت ساكنة بدون قلقله كان وقعها ثقيلا على أعضاء النطق، وخفيت حقيقة صوتهما أيضا فلم تكد تُسَمَّع.

ولا فرق في هذه الحروف بين أن تكون متطرفة ووقَفَ عليها كقاف ﴿خَلَقَ﴾^(١) وطاء ﴿مُحِيطَ﴾^(٢)، وباء ﴿قَرِيبَ﴾^(٣)، وجيم ﴿يَهِيْجَ﴾^(٤)، ودال ﴿مَجِيْذَ﴾^(٥) - أو تكون متوسطة ساكنة كقاف ﴿خَلَقْنَا﴾^(٦) وطاء ﴿قَطْمِيرَ﴾^(٧)، وباء ﴿زَيْتُونَةَ﴾^(٨)، وجيم ﴿اجْتَبَاهُ﴾^(٩)، ودال ﴿يَدْخُلُونَ﴾^(١٠).

وهذه الأحرف الخمسة تتميز هي والهمزة بأنها مجهورة وشديدة وهذا يثقلها عند السكون فقلقلوها لتخف، ولم يدخلوا الهمزة ضمن حروف القلقله - مع شدتها وجهرها - لأن عندهم عدة سُبُل لتخفيفها: تسهילה، وبين وبين، وحذفا - فلم يحتاجوا إلى طريقة أخرى لتخفيفها.

ثم إنهم تعودوا لإخراجها بلطف ورفق وعدم تكلف في ضغط مخرجها لئلا يشبه صوتها التهوُّع والسَّغْلَة.

☆☆☆

- | | |
|--|--------------------|
| (١) البقرة ١٠٢ ، ٢٠٠ . | (٢) آل عمران ١٢٠ . |
| (٣) البقرة ١٨٦ . | (٤) الحج ٥ . |
| (٥) هود ٧٣ . | (٦) الأعراف ١٨١ . |
| (٧) فاطر ١٣ . | (٨) البقرة ٢٦٥ . |
| (٩) النحل ١٢١ . | |
| (١٠) النساء ١٢٤ ، وانظر: نهاية القول المفيد ٥٦ مع تصرف وإضافة. | |

الإدغام والإظهار

الإدغام معناه إدخال حرف في حرف مجاور له في النطق وإدماجهما معها بحيث ينطقان حرفاً واحداً مشدداً. مثل ﴿أَذْهَبْ بِكَتَابِي﴾^(١).

وفائدة الإدغام تخفيف اللفظ.

وموطنات الإدغام (أي الأمور التي تجعله ممكناً) ثلاثة هي تماثل الحرفين بأن يكون الأول مثل الثاني (باءين أو جيمين إلخ) - أو تجانسهما بأن يكونا مختلفين لكن مخرجهما واحد مثل ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾^(٢) أو تقاربهما (بأن يكونا مختلفين لكن مخرجيهما متجاوران مثل ﴿لَقَدْ بَجَاءَ كَمْ﴾^(٣).

أنواع الإدغام وأحكامه مجتمعة:

١ - إذا كان الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً فهو يسمى إدغاماً صغيراً، وهو واجب في حالتَي التماثل والتجانس. وللقراء بعض الشروط فيه.

٢ - إذا كان الأول متحركاً والثاني كذلك متحركاً فإذا أريد الإدغام يُسكن الأول ويدغم في الثاني ويسمى هذا إدغاماً كبيراً. وهو جائز لا واجب. أما إذا كان الأول متحركاً والثاني ساكناً فإن الإدغام حينئذٍ ممتنع لا يجوز - كما سيأتى الآن.

وهناك أمور تمنع الإدغام أحدهما أن يكون بين الحرفين فاصل: حرف مثل ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾^(٤)، أو يكون الحرف الأول منوناً. مثل ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥)، أو مشدداً مثل ﴿تَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾^(٦)، أو يكون تاء ضمير مثل ﴿كُنْتُ ثَرَاباً﴾^(٧) أو يكون باقياً بعد جزم مثل ﴿وَلَنَأْتِيَنَّ طَائِفَةٌ﴾^(٨)، أو يكون الحرف الثاني ساكناً نحو ﴿فَإِنْ زَلَّلْتُمْ﴾^(٩).

وللإدغام تفاصيل كثيرة^(١٠) - أهم ما يلزمنا منها في التجويد هو أحكام النون الساكنة والتنوين مع جروف الأبجدية.

(١) النمل ٢٨. (٢) البقرة ٢٥٦. (٣) التوبة ١٢٨. (٤) العنكبوت ٥٠.

(٥) البقرة ١٧٣. (٦) الأعراف ١٤٢. (٧) النبأ ٤٠. (٨) النساء ١٠٢.

(٩) البقرة ٢٠٩. وانظر: نهاية القول المفيد (التوفيقية ١٢١ - ١٢٤).

(١٠) ينظر - مثلاً - السابق ١٢١ - ١٣٦ وخصائص العربية للمؤلف ٩٢ - ٩٨.

أحوال النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية:

للنون الساكنة والتنوين (وهو صوتيا نون ساكنة أيضا) - في التقائهما بالحروف الأبجدية أهمية خاصة، لكثرة تردد النون وكثرة أحوالها في ذلك الالتقاء، ثم لما قد يصحبهما من غنة في أدائهما - والغنة صوت خيشومي يكسو الكلام نغمة محببة - فينبغي ضبط مواضعه.

ويمكن أن نضبط أحوال النون الساكنة والتنوين مع الحروف في ما يأتي:

أ - النون الساكنة والتنوين مع الحروف العميقة الستة (حروف الحلق).

ب - ... مع حروف (يرملون).

ج - ... مع سائر الحروف ما عدا الباء.

د - ... مع الباء.

أ - فإذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق (ء هـ ع ح غ خ)

وجب إظهار النون والتنوين بلا غنة، سواء وقع الحرف الحلقي بعد النون في كلمة

واحدة نحو ﴿هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾^(١) ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) ﴿أَتَقْبُلُونَ مَا

تَنْجُونَ﴾^(٣) ﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾^(٤) ﴿وَالْمُشْحِقَّة﴾^(٥) .. أو كانت النون أو

التنوين في آخر كلمة، ووقع الحرف الحلقي في أول الكلمة التالية نحو ﴿مَنْ آمَن﴾^(٦)

﴿كُلَّ آمَن﴾^(٧) ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٨) ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾^(٩) ﴿مَنْ

عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾^(١٠) ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَشِيَتْ﴾^(١١) ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١٢)

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾^(١٣) ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ

لَهُمْ﴾^(١٤) ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمَذُ﴾^(١٥) ﴿وَجَوَّةٍ يَوْمَذُ خَاشِعَةً﴾^(١٦).

ب - وإذا تلا النون الساكنة أو التنوين أي من حروف (يرملون) وجب إدغام النون أو

التنوين في ذلك الحرف (ماعدًا حالة واحدة ستأتي). وإنما يختلف حال النون والتنوين مع

(١) الأنعام ٢٦ . (٢) الفاتحة ٧ . (٣) الصفات ٩٥ . (٤) الإسراء ٥١ . (٥) المائدة ٣ .

(٦) البقرة ٦٢ . (٧) البقرة ٢٨٥ . (٨) الرعد ٣٣ . (٩) التوبة ١٠٩ . (١٠) فصلت ٤٦ .

(١١) التوبة ١٢٨ . (١٢) فصلت ٤٢ . (١٣) الحج ٤٧ . (١٤) البقرة ٥٩ . (١٥) هود ٦٦ .

(١٦) الفاشية ٢ .

كل من تلك الحروف في أصحاب الإدغام غنة أو عدم إصحابه إياها. فإذا تلتها نون أو ميم فإنهما يغنان مع الإدغام وجوباً (ولأن الغنة فيها رنين النون والتنوين فإن الإدغام هنا يعد إدغاماً غير كامل لبقاء أثرهما) فمثالهما في كلمتين ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(١) ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ﴾^(٢) ﴿مِنْ تَذِيرٍ﴾^(٣). ومثال إدغام النون في النون من كلمة واحدة ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤). وإذا تلتها واو أو ياء فقد جعل بعض القراء مع الإدغام غنة (فيكون الإدغام ناقصاً). وبعضهم أدغم إدغاماً كاملاً بلا غن. فمثالها من كلمتين ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْإِلَهِ﴾^(٥) ﴿فَبِئْسَ يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٦) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧).

أما إذا كانا في كلمة واحدة فإنه يجب الإظهار أي لا إدغام ولا غن بالطبع نحو «الدُّنْيَا، قَتْوَان»^(٨). وهذه هي الحالة التي أشرنا إليها من قبل، وذلك لئلا يلتبس بالمضعف. وأما إذا تلتها اللام أو الراء فإنهما تدغمان فيهما بلا غنة على رأي الجمهور، وبعض القراء جعل هنا غنة أيضاً. فهذه الحالة كالحالة السابقة إلا أن الغن مع الياء والواو كثير، وعدم الغن مع اللام والراء هو الأغلب. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾^(٩) ﴿إِنْ رَأَوْهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾^(١٠) ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١١).

ج - النون الساكنة والتنوين مع بقية الحروف الهجائية - ما عدا الباء:

إذا تلا النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الهجاء غير ما سبق - أي غير الحروف الحلقية، وحروف (يرملون)، والباء - وهو ستة عشر حرفاً تخرج منها ألف المد لأنها لا تأتي قبلها نون ساكنة ولا تنوين - فيبقى خمسة عشر حرفاً هي ت ث ج د ذ ز س ش ص ض ط ظ ف ق ك - فإن كلا من النون والتنوين يجب أن يُحْفَى قليلاً في نطقه أي يُنْطَق على صفة يبين الإظهار والإدغام. وهذا مع بقاء الغنة في النون والتنوين - سواء سبقهن النون في نفس الكلمة أو كانت النون والتنوين في آخر كلمة وأي من تلك الحروف في أول الكلمة التالية.

- | | | | |
|--|--------------------|------------------|-------------------|
| (١) محمد ١٥ . | (٢) القمر ٦ . | (٣) القصص ٤٦ . | (٤) المؤمنون ١٨ . |
| (٥) الرعد ١٦ . | (٦) الحاقة ١٦ . | (٧) الزلزلة ١٧ . | |
| (٨) (الدنيا) من مواضعها: البقرة ٨٥ ، و (قنوان): الأنعام ٩٩ . | | | |
| (٩) الكهف ٦٥ . | (١٠) العاديات ١١ . | (١١) الأعراف ٣ . | |

وطريقة الإخفاء أن تجعل اللسان (في نطق النون الساكنة والتوين) لا يصل إلى سقف الحنك بل يقترب منه فحسب. ووصف طريقة الإخفاء بانتقال اللسان إلى مخرج الحرف التالي للنون أو التوين وصف غلط لا أصل له^(١). وهذه أمثلة الإخفاء (بلا سكون على النون):

عند التاء ﴿يَتَهَوَا﴾^(٢)، ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾^(٣) ﴿جَنَاتٍ تَجْرَى﴾^(٤)، وعند التاء ﴿مَشُورًا﴾^(٥)، ﴿مَنْ نَمَرِهِ﴾^(٦) ﴿جَمِيعًا ثُمَّ﴾^(٧) وعند الجيم ﴿أَنْجِيَاكُمْ﴾^(٨) ﴿إِنْ جَاءَكُمْ﴾^(٩) ﴿شَيْفًا جَنَاتٍ﴾^(١٠)، وعند الدال ﴿أَنْدَادًا﴾^(١١) ﴿مِنْ ذَابَةٍ﴾^(١٢) ﴿قَتَوْنَا دَانِيَةً﴾^(١٣) وعند الذال ﴿مُنْذِرٌ﴾^(١٤) ﴿مِنْ ذُرِّيَّةٍ﴾^(١٥) ﴿سَرَاغًا ذَلِكَ﴾^(١٦) وعند الزاي ﴿فَأَنْزَلْنَاهَا﴾^(١٧) ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾^(١٨) ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(١٩) وعند السين ﴿مِنْ سَائِهِ﴾^(٢٠) ﴿أَنْ سَيَكُونُ﴾^(٢١) ﴿عَظِيمٌ سَمَاعُونَ﴾^(٢٢) وعند الشين ﴿يَنْشُرُ لَكُمْ﴾^(٢٣) ﴿لَنْ شَاءَ﴾^(٢٤) ﴿عَلَيْمٌ شَرَعَ لَكُمْ﴾^(٢٥) وعند الصاد ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾^(٢٦) ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾^(٢٧) ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾^(٢٨) وعند الضاد ﴿مَنْصُودٌ﴾^(٢٩) ﴿إِنْ ضَلَلْتَ﴾^(٣٠) ﴿قَوْمًا ضَالِينَ﴾^(٣١) وعند الطاء ﴿يَنْطَقُونَ﴾^(٣٢) ﴿مَنْ طِينَ﴾^(٣٣) ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٣٤) وعند الظاء ﴿أَنْظُرُوا﴾^(٣٥) ﴿مَنْ ظَهِيرٍ﴾^(٣٦) ﴿ظُلًّا ظَلِيلًا﴾^(٣٧) وعند الفاء ﴿أَنْفِرُوا﴾^(٣٨) ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾^(٣٩) ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾^(٤٠) وعند القاف ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾^(٤١) ﴿وَلَكِنْ

(١) وصفنا أخذناه من الخبرة - وفي هذه الحالة فإن جل هواء النفس يخرج من الأنف وبعضه من الفم. أما في حالة إظهار النون فإن اللسان يلتقي بسقف الحنك أعلى لثة الشاها العليا. ويخرج نَفَسُ النون كله من الأنف. وعن الخلاف ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» للمؤلف.

- | | | | |
|---------------------|--------------------|-----------------------|------------------------|
| (٢) المائدة ٧٣ . | (٤، ٣) البقرة ٢٥ . | (٥) الفرقان ٢٣ . | (٦) الأنعام ١٦١ . |
| (٧) البقرة ٢٩ . | (٨) الأعراف ١٤١ . | (٩) الحجرات ٦ . | (١٠) مريم ٦٠ ، ٦١ . |
| (١١) البقرة ٢٢ . | (١٢) الأنعام ٣٨ . | (١٣) الأنعام ٩٩ . | (١٤) الرعد ٧ . |
| (١٥) الأنعام ١٣٣ . | (١٦) ق ٤٤ . | (١٧) البقرة ٥٩ . | (١٨) البقرة ٢٠٩ . |
| (١٩) طه ١٠٢ . | (٢٠) سبأ ١٤ . | (٢١) الزمل ٢٠ . | (٢٢) المائدة ٤١ ، ٤٢ . |
| (٢٣) الكهف ١٦ . | (٢٤) المائدة ٣٧ . | (٢٥) الشورى ١٢ ، ١٣ . | (٢٦) آل عمران ١٦٠ . |
| (٢٧) المائدة ٢ . | (٢٨) فصلت ١٦ . | (٢٩) هود ٨٢ . | (٣٠) سبأ ٥٠ . |
| (٣١) المؤمنون ١٠٦ . | (٣٢) الأنبياء ٦٣ . | (٣٣) الأعراف ١٢ . | (٣٤) النساء ٤٣ . |
| (٣٥) آل عمران ١٣٧ . | (٣٦) سبأ ٢٢ . | (٣٧) النساء ٥٧ . | (٣٨) النساء ٧١ . |
| (٣٩) الممتحنة ١١ . | (٤٠) النساء ١٤ . | (٤١) الشعراء ٢٢٧ . | |

قلت ﴿^(١)﴾ ﴿سميع قريب﴾ ﴿^(٢)﴾ وعند الكاف ﴿ينكثون﴾ ﴿^(٣)﴾ ﴿من كل﴾ ﴿^(٤)﴾ عادا كفروا﴾ ﴿^(٥)﴾.

د - أما النون الساكنة والتتوين قبل الباء فإنهما يُقْلَبَان في الصوت ميمًا مثل ﴿يما آدم أنبئهم﴾ ﴿^(٦)﴾ ﴿الله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ﴿^(٧)﴾ ﴿هنيئًا بما أنزلتم﴾ ﴿^(٨)﴾ ويسمى هذا إقلابا.

الميم الساكنة مع الحروف الأبجدية

للميم الساكنة مع ما يليها من الحروف الأبجدية أحوال:

أ - الإدغام بغنة وذلك إذا تلتها ميم أخرى نحو ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿^(٩)﴾ وكل ميم مشددة ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿^(١٠)﴾ وكذلك الميم التي جاءت من إدغام النون في الميم مل ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ ﴿^(١١)﴾ (تقرأ بماء) وعلة هذا الإدغام الاشتراك في الأنفية.

ب - الإخفاء مع غنة جوازا. وذلك إذا تلتها باء نحو ﴿وَمَنْ يَغْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿^(١٢)﴾، ومثل ذلك ما إذا كانت الميم الثانية متولدة من إقلاب نون نحو ﴿لِلَّهِ الْأُمُورُ قُلٌّ وَمِنْ بَعْدِ﴾ ﴿^(١٣)﴾ (تقرأ بمبعد) فهذا إخفاء مترتب على إقلاب. ومعنى إخفاء الميم تبعضها (أي عدم كز الشفتين في التقائهما) فيخفي جزء من ذاتها - أما إخفاء النون فإن ذاتها كلها تخفي ويبقى تنوينها كما سبق. وعلة الإخفاء هنا أن الميم والباء تجاورتا في المخرج أو بعضه - إذ تشترك الشفتان في إخراج كل منهما، وذلك بالتقاء الشفتين في نقطة قريبة إلى ظاهرهما في نطق الميم والتقاءهما في نقطة قريبة إلى باطنهما في نطق الباء، ثم إنهما تشابهتا في الانفتاح والاستفال والجهر، فنقل إظهار كل منهما خالصة من صوت الأخرى. ولأن الإدغام الكامل يقضي على أهم سمات الميم - وهي الغنة، فنطقت بالإخفاء لأنه بينهما. هذا وقد ذهب كثير من القراء إلى إظهار الميم الساكنة قبل الباء، فلا تخفى.

ج - الميم مع سائر الحروف وحكمها الإظهار وجوبا نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿^(١٤)﴾ ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿^(١٥)﴾.

(١) هود ٧ .	(٢) سبأ ٥٠ .	(٣) الأعراف ١٣٥ .	(٤) البقرة ١٦٤ .
(٥) هود ٦٠ .	(٦) البقرة ٣٣ .	(٧) الروم ٤ .	(٨) الحاقة ٢٤ .
(٩) البقرة ٢٩ .	(١٠) محمد ١٠ .	(١١) محمد ١٥ .	(١٢) آل عمران ١٠١ .
(١٣) الروم ٤ .	(١٤) الفاتحة ٢ .	(١٥) الفاتحة ٧ .	

التفخيم والترقيق

التفخيم نطق الحرف سمينا أو غليظا يمتليء الفم بصداه، والترقيق نطق الحرف نحلا لا يمتليء الفم بصداه.

والحروف المفخمة مجموعتان:

أ - حروف الاستعلاء. وهي تفخم دائما. وأقواها في هذا حروف الإطباق، وسائر حروف الاستعلاء أقل منها درجة. ثم إنهم جعلوها - مع هذا الترتيب درجات فالتفخيم التام إذا كان بعدها ألف، وأقل منه إذا كان بعدها فتحة أي كان الحرف مفتوحا، ثم أقل إذا كان مضموما ثم أقل إذا كان ساكنا ثم أقل إذا كان مكسورا. هذا ترتيب ابن الجزرى^(١) وقد اقتصر ابن الطحان وهو إمام توفي (٥٦٠هـ) على درجة الفتح ثم الضم ثم الكسر. وهي كفاية. وأرى أن ما زاد على ذلك تقعر^(٢).

ب - الراء. ويمكن القول - بتسامح - إن تفخيمها في الدُّنْج والوَقْف مرتبط بكونها مفتوحة أو مضمومة، أو ساكنة مسبوقة بفتح أو ضم. فتفخم في نحو ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣). ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٤). ﴿مَنْ شَكَرْ﴾^(٥). ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٦)، أما ترقيقها فيكون في الدُّنْج عند كسرها أو سكونها المسبوق بكسر نحو ﴿وَرَزَقَا﴾^(٧).

(١) جاء ذلك في التمهيد (تحقيق د. علي البواب) ١١٩ - ١٢٠، وقد ألحق صاحب هداية القارى ١٠٧/١ - الساكن بمرتبة الحركة السابقة له.

(٢) نقل صاحب الهداية عن صاحب الجواهر الفوالى أن المستعلي المكسور مرقق، لكنه رده تبعا للشيخ المتولى (هداية القارى ١٠٨/١ - ١١١) وأرى أن التمسك بوصف المستعلي المكسور بأنه مفخم مُحَسَّن تفخيم لا مرقق أشبه بالخلاف اللفظي، وإن تحقق واقعا فهو تقعر مردود. وقد نبه صاحب الرعاية على تفخيم الحروف المستعلية إذا جاء بعدها ألف ولم يزد: زيادة تحوّل عن ذلك (تنظر الرعاية ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٤، ١٩٨، ٢١٥، ٢٢٠).

(٣) البقرة ٥٧. (٤) الضحى ١٠. (٥) القمر ٣٥. (٦) الزمر ٧.

(٧) البقرة ٢٢.

﴿فِزْعُونَ﴾^(١). ويكون - في الوقف - عندما تسبق بكسر نحو ﴿قَدْ قُدِيرٌ﴾^(٢) أو يسكون قبله كسر ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾^(٣).

ج - اللام في لفظ الجلالة «اللَّهُ» «اللهم»: تفخم إذا سبقت بفتح أو ضم ويسمى تفخيمها تغليظًا. وترقق إذا سبقت بكسر. - أما في غير لفظ الجلالة فإن وَزْشًا يفخم اللام إذا كانت مفتوحة وقبلها (ص ، ط ، ظ) مفتوحة أو ساكنة.

د - الألف تُفْخَمُ إذا وقعت بعد حرف مفخم نحو طالب، راعٍ. وترقق في غير ذلك نحو بائع.

(٣) يس ٦٩ .

(٢) القمر ١٢ .

(١) البقرة ٤٩ .

عرض لما تنبغي مراعاته في القراءة

من تجويد الحروف حرفا حرفا

ونقدم - قبل العرض توضحين:

الأول: أن ما نقدمه هنا إنما هو على حسب الأداء المروي عن الإمام حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي (٩٠ - ١٨٠هـ) - أحد رواه الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي النابعي (ت ١٢٧هـ / ٧٤٥م) وهو أحد أئمة القراءات السبع المشهورة. وذلك لأن أداء الإمام حفص هو الشائع في مصر وفي المملكة العربية السعودية وفي أقطار أخرى، وعلي حسب أدائه وُضِعَت علامات الأداء في أوسع المصاحف المطبوعة انتشارًا. الثاني: أننا هنا نتناول تجويد أداء الحروف الأبجدية كلها أثناء القراءة. وتيسيرًا لضبط هذا فإننا نذكر أن هناك أمورًا مشتركة يُعرض لها عند الكلام على تجويد أي حرف نجملها في ما يلي:

- ١- من تجويد الحرف: تصحيح أدائه حسب مخرجه وصفاته، وبخاصة إذا وقع بعده مثله أو مجانسه أو مقاربه حتي لا يُخْفَي أو يدغم علي خلاف القاعدة أو القراءة.
- ٢- إذا وقع الحرف ساكنًا فعلينا مع صحة أدائه أن نراعي:
 - أ - حكم إدغامه أو عدم إدغامه إذا وقع بعده مماثل أو مجانس أو مقارب
 - ب - قلقلته إذا كان من حروف القلقلة ولم يدغم في غيره.
- ٣- مراعاة تفخيم الحروف وترقيقها حسب قواعد ذلك.



من تجويد الحروف واحداً واحداً^(١)

فتجويد نطق الهمزة المحققة أن نطقها متميزة بالحدود أي ليست متميعة ولا متأثرة بالحركات قبلها أو بعدها في مثل ﴿سُئِلْتُ﴾^(٢) ﴿مَتَكُونُ﴾^(٣) ﴿بَدَأَكُمْ﴾^(٤) وترقق في كل حال، وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مفخم أو مغلف نحو ﴿فَأَصْلَحُ﴾^(٥) ﴿أَصْطَفَيْ﴾^(٦) وتعامل همزة الوصل - إذا بدئ بها الكلام أي النطق معاملة همزة القطع من حيث التحقيق والترقيق مثل ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٧) ﴿اللَّهُ﴾^(٨) ﴿الطَّلَاقُ﴾ مرتان^(٩) ولنتنبه إلى عدم تشديدها إذا وقعت بعد مد نحو ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾^(١٠) ظنا أن ذلك تحقيق.

ب - وينبغي أن تظهرها إذا وقعت متطرفة ووقفنا عليها بالسكون مثل ﴿السَّمَاءُ﴾^(١١) ﴿شَيْءٌ﴾^(١٢) ﴿الْحَبُّ﴾^(١٣) ﴿دَفْءٌ﴾^(١٤). فإذا كانت منصوبة وبعدها تنوين في الوصل أبدل التنوين في الوقف وتظهر إظهاراً جيداً نحو ﴿إِلَّا دَعَاءٌ وَنداءٌ﴾.

وتجويد ألف المد:

(أ) أنها تنطق مرققة الصوت إذا وقعت بعد حرف مستفل نحو ﴿الْعَالَمِينَ﴾^(١٥) ﴿الرَّحْلِينَ﴾^(١٦) ﴿إِيَّاكَ﴾^(١٧) ﴿حَلْمٌ﴾^(١٨) وأنها تنطق مفخمة إذا وقعت بعد حرف مستعمل^(١٩) نحو ﴿صَادِقِينَ﴾^(٢٠) ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٢١) ﴿ظَالِمُونَ﴾^(٢٢)

(١) راجعت في كتابة هذا الفصل: الرعاية لمكي بن أبي طالب ١٤٥ - ٢٤٣، والنشر لابن الجزري ١/ ٢١٠ - ٢٢٤ والتسميد له أيضاً ١٠٧ - ١٥١ ونهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر (ب ٢ ف ٥). وهداية القارى لعبد الفتاح المرصفي.

- | | | | |
|--------------------------|-------------------------|-------------------------------|------------------|
| (٢) التكوير ٢ . | (٣) يس ٥٦ . | (٤) الأعراف ٢٩ . | (٥) البقرة ١٨٢ . |
| (٦) الصافات ١٥٣ . | (٧) التوبة ٨٠ . | (٨) البقرة ٧ . | (٩) البقرة ٢٢٩ . |
| (١٠) البقرة ١٥١ . | (١١) البقرة ١٩ . | (١٢) البقرة ٢٠ وغيرها . | (١٣) النمل ٢٥ . |
| (١٤) النحل ٥ . | (١٥، ١٦، ١٧) الفاتحة . | (١٨) غافراً فصلت ١ الشورى ١ . | |
| (١٩) ينظر النشر ١/ ٢١٠ . | (٢٠) البقرة ٢٣ وغيرها . | (٢١) البقرة ٥١ وغيرها . | |
| (٢٢) البقرة ٤٥ . | | | |

﴿الحاشعين﴾^(١) ﴿قائما﴾^(٢) أي أنها تابعة للحرف الذي قبلها في الترقيق والتفخيم^(٣).

ب - وتفخم ألف لفظ الجلالة التي بعد اللام الثانية تبعا للتغليظ اللام إذا كانت الحركة السابقة للفظ الجلالة فتحة أو ضمة، وترقق إذا كانت كسرة.

أما الإمالة فلا تمال الألف في قراءة حفص إلا في موضع واحد هو الألف التي بعد الراء في كلمة ﴿مجراها﴾ من قوله تعالى ﴿بسم الله مَجْرِيهَا وَمُرسَاهَا﴾^(٤).
وتجويد نطق الباء:

(أ) أن نحصر على الإتيان بها موفاة المخرج والصفات.

(ب) وإذا وقعت ساكنة وليس بعدها مثلها أو مجانس لها فينبغي أن تقلقل سواء كان السكون لازما أو عارضا نحو ﴿رَبُّوهُ﴾^(٥) ﴿فَانصَبْ﴾^(٦) ﴿الْأَبْوَاب﴾^(٧) (عند الوقف).

أما إذا وقعت ساكنة في آخر كلمة ما، وجاءت بعدها باء في أول الكلمة التالية لها مثل ﴿اضرب بعصاك﴾^(٨) فيجب إدغام الأولى في الثانية. وإذا جاء بعدها ميم نحو قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آرَكْب مَعَنَا﴾^(٩) فإنه يجوز الإدغام على رواية حفص. وإذا جاء بعد الساكنة فاء مثل ﴿فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾^(١٠) فإن حفصا يظهرها، وبعض القراء الآخرين يدغمونها. وإذا وقعت متحركة ووقعت بعدها باء فلا تدغم في قراءة حفص مثل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾^(١١) ولنحصر على قراءتهما متميزتين حيثئذ.

(د) وينبه إلى ترقيقها دائما ويتأكد التنبه إلى ذلك إذا جاء بعدها حرف مفخم نحو ﴿بَطَل﴾^(١٢) ﴿بَغْي﴾^(١٣) ﴿بَصْلَهَا﴾ ﴿بِرْق﴾^(١٤) ﴿وَبَاطِل﴾^(١٥).

وتجويد التاء:

(أ) أن ننطقها موفاة المخرج والصفات غير ملتبسة بحرف آخر، وبخاصة إذا كانت

(١) آل عمران ١٨ . (٢) ينظر النشر ٢١٠/١ . (٣) هود ٤١ . (٤) للمؤمنون ٥٠ .

(٥) الشرح ٧ . (٦) يوسف ٢٣ . (٧) البقرة ٦٠ . (٨) هود ٤٢ .

(٩) النساء ٧٤ . (١٠) البقرة ٢٠ . (١١) الأعراف ١١٨ . (١٢) ص ٢٢ .

(١٣) البقرة ٦١ . (١٤) البقرة ١٩ . (١٥) الأعراف ١٣٩ .

مكررة نحو ﴿تَبَوَّاهُمْ﴾^(١)، ﴿تَتَلَوْا﴾^(٢) ﴿كَذَتْ تَزَكَّنْ﴾^(٣) ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾^(٤).
 (ب) وإذا وقعت التاء ساكنة فيجب أن نحصر على شدتها فلا نخرج في آخرها
 نَفْسًا يشبه السين، فإن هذا خطأ فاحش. وقد حذر من ارتكاب هذا الخطأ الإمام شريح
 والإمام ابن الجزري وغيرهما، فلا تفعل كالذين يُثْبِعُونَ نطق التاء الساكنة بما يشبه
 السين. فالنفخ الذي ذكره سيبويه عند الوقف على الحرف المهموس هو مجرد فك
 النفس المحبوس إذا كان الحرف شديدا. فهو ليس سينا. ثم إنه خاص بالوقف^(٥)، وهم
 يلحقون تلك السين بالتاء الساكنة في الوصل والوقف، ويسمون ذلك همس التاء. وهذا
 خطأ مركب، لأن الهمس هو عدم لإصحاب الحرف زميرا عند نطقه كما عُلِّمَتْ، وليس
 لإخراج نَفْسٍ مع الحرف.

(ج) وإذا وقعت التاء ساكنة وبعدها تاء أو دال أو طاء فإنه يجب إدغام التاء في ما
 بعدها مع بقاء إطباق الطاء نحو ﴿فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ دُعَوَا﴾^(٦) ﴿فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ﴾^(٧).
 أما إذا كانت الطاء هي السابقة وكانت ساكنة/ فإن إدغام الطاء في التاء يكون غير
 مستكمل لتمييز الطاء بالاستعلاء والإطباق وما يتبعهما من التفخيم، فالإدغام الكامل
 يضيع خصائص الطاء وهذا غير مرجح، والمرجح هو إبقاء الطاء بلا قلقلة وإذا وصل
 الناطق إلى التاء نطقها رقيقة واضحة. مثل ﴿أَخْطُتْ﴾^(٨) ﴿فَرَطْتُ﴾^(٩)
 ﴿بَسَطْتُ﴾^(١٠).

(ط) والتاء مرققة دائما فينبغي أن نحصر على ترقيقها وبخاصة إذا جاء قبلها حرف
 مفخم مثل ﴿حَرَضْتُ﴾^(١١) ﴿حَصِرْتُ صُدُورَهُمْ﴾^(١٢) وكذا إذا جاء بعدها مثل
 ﴿أَفْتَضَّطَمْعُونَ﴾^(١٣) ﴿تَطْهِيرَا﴾^(١٤) ﴿تَضَلِّيَّة﴾^(١٥) ﴿تَضُدُونَ﴾^(١٦) ﴿وَلَا

-
- (١) النحل ٢٨ . (٢) البقرة ١٠٢ . (٣) الإسراء ٧٤ . (٤) يونس ٩٩ .
 (٥) ينظر «التمهيد» لابن الجزري (تج البواب) ١١٣ - ١١٤ ، والكتاب ١٧٥/٤ .
 (٦) الأعراف ١٨٩ . (٧) الصف ١٤ . (٨) النمل ٢٢ . (٩) الزمر ٥٦ .
 (١٠) المائدة ٢٨ . (١١) يوسف ١٠٣ . (١٢) النساء ٩٠ . (١٣) البقرة ٧٥ .
 (١٤) الأحزاب ٣٣ . (١٥) الواقعة ٩٤ . (١٦) الأعراف ٨٦ .

تُظَلَمُونَ ﴿١﴾. ويتأكد ذلك إذا جاء المفخم بعدها ساكنا نحو ﴿أَوْعِظْتَ﴾ ﴿٢﴾.
وتجويد الثاء:

(أ) أن تخرج طرف لسانك بين أطراف الشاها العليا والسفلى حتي لا تنطق سينا. كما ينبغي أن يحقق نطقها وبخاصة إذا كررت نحو ﴿ثالث ثلاثة﴾ ﴿٣﴾.

(ب) وإذا سكنت فإنها تدغم في مثلها وفي مجانسها حسب القاعدة. وجاء في القرآن الكريم ﴿أَوْ تتركه يلهث ذلك﴾ ﴿٤﴾ فتدغم.

(ج) وهي مرققة لا تدغم، فيجب المحافظة على ذلك وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مستعمل نحو ﴿أَتَخْتَمُوهُمْ﴾ ﴿٥﴾ ﴿تَتَقَفُّهُمْ﴾ ﴿٦﴾ ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ﴿٧﴾ أو حرف مفخم نحو ﴿أَعِزَّنَا﴾ ﴿٨﴾ أو جاء بعدها مد نحو ﴿ثالث﴾ ﴿٩﴾ ﴿ثامنهم﴾ ﴿١٠﴾.
وتجويد الجيم:

(أ) أن تنطقها شديدة بحبس النفس في مخرجها عند نطقها، ومعطشة يكون في جرسها شيء من جرس الشين. واحذر أن تنطقها رخوة غريزة التعطيش كما ينطق إخواننا الشوام، فإن الجيم في نطقهم تشبه الشين المشربة زايا «يرمز إليها بال ج = جيه = آ».

لأن هذا النطق الشامي يفقدها صفة الشدة، ويفقدها الحاجة إلي القفلة، وبذا تفقد صفتين. كذلك لا تنطقها مبدوءة بدال. كما ظن بعض اللغويين المحدثين ناظرا إلي وصف الأورين لنطق ال (G) إذا وليتها حركة أمامية ضيقة (مثل Ge) فإن هذا الوصف لا أصل له في العربية، كذلك لا تنطقها كالذي يسمي الجيم القاهرية (=G في Gather) فإن هذا النطق ليس هو الحجازي الفصيح - رغم أن له أصلا عند عرب اليمن. فإننا ملتزمون في قراءة القرآن الكريم بالنطق الحجازي القرشي الذي كان في عصر البعثة المحمدية، ونزل به القرآن الكريم، ووصفه علماء اللغة أخذا عن قراءة الصحابة رضوان الله عليهم فعن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. وما خرج عن ذلك فله حجة

(١) البقرة ٢٧٩ النساء ٧٧. (٢) الشعراء ١٣٦. (٣) المائدة ٧٣. (٤) الأعراف ١٧٦. (٥) محمد ٤.
(٦) الأنفال ٥٧. (٧) الرحمن ٣١. (٨) الكهف ٢١. (٩) المائدة ٧٣. (٨) الكهف ٢٢.

خاصة في الرواية الثابتة المستفبضة، أو في لهجة عربية ثابتة العروبة.

(ب) وينبغي أن تحفظ في نطقها إذا تكررت نحو ﴿حاججتم﴾^(١).

(ح) ونوفيا حقها إذا جاء بعدها حرف قريب منها مثل ﴿أخرج شطأه﴾^(٢) ﴿لجئ﴾^(٣).

(د) وأن تقلل إذا وقعت ساكنة نحو ﴿فأجئنا كيدكم﴾^(٤) ويتأكد البيان والقلقلة

إذا سكنت ووقع بعدها حرف قريب منها حتى لا تقلب شيئا في نحو ﴿فاجتنبوا﴾^(٥)

﴿خرجت﴾^(٦) أو يخفي صوتها في مثل ﴿رجسا﴾^(٧) ﴿والرجز﴾^(٨) ﴿تجزى﴾^(٩)

﴿تجزون﴾^(١٠).

(هـ) ولاحظ للجيم في التفخيم فليحذر من تفخيمها.

تجويد الحاء:

(أ) أن تنطق صحيحة بيئتها، ومرفقة.

(ب) وينبغي التنبيه إلى تصحيح نطقها إذا تكررت^(١١) مثل ﴿لا أبرح حتي﴾^(١٢)

﴿عقدة النكاح حتي﴾^(١٣). وكذا التنبيه إلى تصحيح نطقها إذا وقعت محرقة وبعدها

عين مثل ﴿فمن زُخْزِخ عن النار﴾^(١٤) ﴿لا جناح عليكم﴾^(١٥) لأن العين مجانسة لها

وهي أقوى منها بالجهر فيخشي أن تقلب عينا وتدغم.

وتتأكد ضرورة هذا التحفظ في نطقها إذا وقعت ساكنة وبعدها عين مثل ﴿فاصفح

عنهم﴾^(١٦) حتي لا تدغم دون وجه قرائي، وكذا إذا كان بعدها هاء نحو

﴿فسبحه﴾^(١٧) لئلا تقلب الحاء أو يقلبها معا هاء أو حاء.

(ج) ولتحافظ على ترقيقها وبخاصة إذا وقع بعد ألف نحو ﴿حم﴾^(١٨)

(١) آل عمران ٦٦ . (٢) الفتح ٢٩ . (٣) النور ٤٠ . (٤) طه ٦٤ .

(٥) الحج ٣٠ . (٦) البقرة ١٤٩ . (٧) التوبة ١٢٥ . (٨) المدثر ٥ .

(٩) غافر ١٧ . (١٠) الأنعام ٩٣ وغيرها .

(١١) يراجع التمهيد لابن الجزري (تحقيق د. البواب) ١١٩ - ١٢١ والنشر (الضباع) ٢١٥/١ - ٢١٦

و ٢١٨ وهداية القاري ١٠٣/١ - ١١١ . (١٢) الكهف ٦٠ .

(١٣) البقرة ٢٣٥ . (١٤) آل عمران ١٨٥ . (١٥) البقرة ٢٣٦ . (١٦) الزخرف ٨٩ .

(١٧) ق ٤٠ ، الطور ٤٩ . (١٨) غافر ١ .

﴿الحاكمين﴾^(١)، ﴿حاسين﴾^(٢) وكذا إذا جاورها حرف استعلاء نحو ﴿أخطت﴾^(٣) ونحو ﴿خضخص الحق﴾^(٤).

تجويد الحاء:

(أ) أن تنطق مصححة من مخرجها في أقصى اللسان مع ما فوقه. فهذا هو الصواب لها وللغين.

(ب) كما يجب أن تتحفظ من أن تنطق غينا إذا وقعت ساكنة في مثل ﴿يخشى﴾^(٥) ﴿فاختلط﴾^(٦).

(ج) وينبغي أن تنطقها مفخمة في كل حال لأنها مستعلية نحو ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾^(٧) ﴿خالدين﴾^(٨) ﴿الخلد جزاء﴾^(٩) وإذا وقعت مكسورة أو ساكنة بعد كسر فلها حيثل أقل درجة من التفتيح مثل ﴿اذغو زركم تضرعا وخيفة﴾^(١٠) ﴿إخوانكم﴾^(١١) وإن شئت قلت عن هذه الدرجة إنها تريق^(١٢). وتجويد الدال:

(أ) أن تنطق مصححة مرققة، ثم إذا جاء بعدها تاء فإنها تدغم فيها ولا تقلقل نحو ﴿خصدتم﴾^(١٣) ﴿وقد تبين﴾^(١٤) وينبغي إظهارها إذا وقعت ساكنة وبعدها نون نحو ﴿قد ترى﴾^(١٥) مع قلقلتها. وينبغي التحرز من إخفاء صوتها وهي متحركة قبل النون في مثل ﴿اهدنا﴾^(١٦) لأن وضع اللسان في نطقها قريب من وضعه في نطق النون، والنون أخف فيخشي أن يسبق اللسان إليها. كذلك ينبغي بيانها في مثل ﴿تزدري﴾^(١٧) و﴿مزذجر﴾^(١٨) حتى لا تقلب تاء تأثرا بمجاوراتها. (ب) وإذا وقعت ساكنة فإنه ينبغي قلقلتها ما لم تكن مدغمة.

-
- (١) الأعراف ٨٧ وغيرها. (٢) الأنبياء ٤٧. (٣) النمل ٢٢. (٤) يوسف ٥١.
(٥) طه ٣ وغيرها. (٦) يونس ٢٤، الكهف ٤٥. (٧) الأعراف ١٦٩.
(٨) البقرة ١٦٢ وغيرها. (٩) فصلت ٢٨. (١٠) الأعراف ٥٥. (١١) النور ٦١.
(١٢) ينظر ص ١٩٧ هنا. (١٣) يوسف ٤٧. (١٤) البقرة ٢٥٦. (١٥) البقرة ١٤٤.
(١٦) الفاتحة ٦. (١٧) هود ٣١. (١٨) القمر ٤.

(ج) ينبغي الحرص على ترقيقها وبخاصة إذا وقعت بعد حرف مفخم مثل ﴿صُدور﴾^(١) ﴿يَضُر﴾^(٢) لئلا تفخم فتنتطق كالضاد المصرية. وتجويد الذال:

(أ) أن تنطق بمد طرف اللسان بين أطراف الثنايا مع كونها مجهورة أي ليست مهموسة كالثاء.

(ب) وتثقل إن جاء بعدها نون وهي ساكنة فينبغي الإهتمام ببيانها مثل ﴿فنبذناه﴾^(٣) ﴿وإذ أخذنا﴾^(٤) ﴿وإذ نتقنا﴾^(٥) وكذا إذا تكررت نحو ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾^(٦).

(ج) ونهت بترقيقها وبخاصة إذا جاء بعدها مفخم مثل ﴿ذَرِّهِمْ﴾^(٧) و﴿ذَرْنِي﴾^(٨) و﴿ذَرَّةٌ﴾^(٩) و﴿لِلْأَذْقَانِ﴾^(١٠) و﴿ذُقْ﴾^(١١) لأنها إذا فحمت صارت كالطاء. فتنتطق ﴿تَحْذُورًا﴾^(١٢) وكأنها «محظورا» وهذا خطأ. وتجويد الراء:

(أ) أن تحرص على أن تكررها بارتعاد طرف اللسان حتي يلمس سقف الحنك أكثر من لمسة، ولكن لا تبالغ في تكريرها.

أما عدم تكريرها بأن تلصق طرف اللسان بسقف الحنك أي لا تتركه يرتعد ويكرر اللمس فهذا النطق لا ينتج إلا لاما. وهو خطأ محض وكلام القائلين بالصاق اللسان وعدم تكرير الراء خطأ محض مهما كانوا، فكلُّ يؤخذ منه ويؤد عليه.

(ب) وينبغي بيان صوتها وبخاصة إذا وقعت ساكنة قبل نون نحو ﴿فَقَدَرْنَا﴾^(١٣) حتي لا يسبق صوتها إلي الخروج من الأنف فتدغم في النون كما شرحنا في نطق اللام. (ج) ولنحرص على تفخيم الراء إذا وقعت مفتوحة أو مضمومة، أو وقعت ساكنة وقبلها فتح أو ضم مطلقا أي في وسط الكلمة أو آخرها، ولا ترقق الراء إلا إذا وقعت

(١) العنكبوت ٤٩ . (٢) الزلزلة ٦ . (٣) الصفات ١٤٥ . (٤) البقرة ٦٣ وغيرها.
(٥) الأعراف ١٧١ . (٦) ص ١ . (٧) الأنعام ٩١ . (٨) المدثر ١١ .
(٩) النساء ٤٠ وغيرها . (١٠) الإسراء ١٠٧-١٩٠ . (١١) الدخان ٤٩ .
(١٢) الإسراء ٥٧ . (١٣) المرسلات ٢٣ .

ساكنة بعد كسرة أصلية متصلة بها وليس بعد الراء حرف استعلاء، سواء كانت الراء حيثث متوسطة نحو ﴿فِرْعَوْنَ﴾^(١) ﴿مِرْيَةَ﴾^(٢) ﴿شِرْعَةَ﴾^(٣) أو كانت متطرفة مثل ﴿استغفرُ لهم أو لا تستغفرُ لهم إن تستغفرُ لهم..﴾^(٤) ومثل ﴿واصطبر﴾^(٥) ولا تصغرُ^(٦).

إما إذا كانت ساكنة بعد كسرة غير أصلية ككسرة همزة ﴿ازجمعوا﴾^(٧) أو كانت الكسرة منفصلة عنها نحو ﴿إن ازتبم﴾^(٨) ﴿لن ازتضي﴾^(٩) ﴿الذي ازتضي لهم﴾^(١٠) أو كان قبلها كسرة أصلية ولكن بعد الراء حرف استعلاء فإنها تفخم والذي جاء من هذا في القرآن الكريم هو كلمات: ﴿فِرْطاس﴾^(١١) ﴿فِرْقَةَ﴾^(١٢) ﴿مِرْصَادًا﴾^(١٣) ﴿لِبَالِزْصَاد﴾^(١٤) ﴿فِرْقَ﴾^(١٥).

وتجويد الزاي:

(أ) أن تنطق مصححة موفاة الصفات.

(ب) ونتنبه إلى ضرورة تصحيح صوتها مجهورة إذا جاءت ساكنة وبعدها تاء مثل ﴿كَنْزُكُمْ﴾^(١٦) وما قرب من التاء مثل ﴿تَزْكُرِي﴾^(١٧) حتي لا تصير سينا. وكذلك ينبغي أن نخلصها من الجيم في نحو ﴿مُزْجَاة﴾^(١٨) ولنعتن ببيانها إذا كررت مثل ﴿فِعْرَزْنَا﴾^(١٩).

(ج) ولا حظ للزاي في التفخيم فهي مرققة دائماً، فلنهتم بذلك في نحو ﴿وما زادهم﴾ إلا إيماناً وتسليماً^(٢٠).

وتجويد السين:

(أ) أن تنطق مصححة موفاة الصفات.

(ب) ونخلصها من التأثير بما جاورها نحو ﴿مَسْجِدًا﴾^(٢١) و﴿يَسْجُدُ﴾^(٢٢)

(١) البقرة ٤٩ وغيرها.	(٢) هود ١٠٩ وغيرها.	(٣) المائدة ٤٨.
(٤) التوبة ٨٠.	(٥) مريم ٦٥ وغيرها.	(٦) لقمان ١٨.
(٨) المائدة ١٠٦.	(٩) الأنبياء ٢٨.	(١٠) النور ٥٥.
(١٢) التوبة ١٢٢.	(١٣) النبأ ٢١.	(١٤) الفجر ١٤.
(١٦) التوبة ٣٥.	(١٧) هود ٣١.	(١٨) يوسف ٨٨.
(٢٠) الأحزاب ٢٢.	(٢١) التوبة ١٠٧، الكهف ٢١.	(٢٢) الرعد ١٥ وغيرها.
		(٧) يوسف ٨١ وغيرها.
		(١١) الأنعام ٧.
		(١٥) الشعراء ٦٣.
		(١٩) يس ١٤.
		(٢٢) الرعد ١٥ وغيرها.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾^(١) وكذلك نخلصها ونوفيها إذا كررت مثل ﴿أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى﴾^(٢) و﴿مَسَّ سَقَرٌ﴾^(٣) حتى لا تخفي.

(ج) ونحافظ على ترقيقتها وبخاصة إذا جاورها حرف مفخم ولو بفواصل نحو ﴿بَسْطَةٌ﴾^(٤) ﴿مَسْطُورًا﴾^(٥) و﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٦) و﴿سُلْطَانٌ﴾^(٧) و﴿لَسَلَطُوهُمْ﴾^(٨) و﴿وَأَسْرَزَا النُّجُوزِ﴾^(٩) ﴿رَسُولٌ﴾^(١٠) ونتبع رسم السين حسب ما تلقينا. وتجويد الشين:

(أ) أن تنطق مصححة متفشية موفاة سائر صفاتها.

(ب) ونخلص نطقها وبخاصة إذا كانت ساكنة وبعدها دال مثل ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى﴾^(١١) ﴿الْوَشْدُ﴾^(١٢) وكذلك إذا وقع بعدها جيم مثل ﴿شَجَرٌ بَيْنَهُمْ﴾^(١٣) ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾^(١٤) لأن كليهما تشغل حيزا كبيرا من عرض اللسان فتملاً الفم. (ح) ولاحظ للشين في التفخيم. فلنحافظ على ترقيقتها وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مستعمل نحو ﴿شَطْرَ الْمَشْجَدِ﴾^(١٥). وتجويد (الصاد):

(أ) أن تنطق مصححة مُصَفَّاة موفاة الصفات.

(ب) ولنحرص على تخليصها من الشوائب وبخاصة إذا اسكنت وبعدها دال كلفظ ﴿أَصْدَقُ﴾^(١٦) و﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(١٧) و﴿يُضْلِرُ﴾^(١٨) و﴿تَضِيدُهُ﴾^(١٩) فينبغي التنبيه حتى لا تُشْرَبَ زايًا على غير رواية.

-
- | | | |
|------------------------------|------------------------------|--------------------|
| (١) البقرة ١٤٢ وغيرها. | (٢) التوبة ١٠٨ . | (٣) القمر ٤٨ . |
| (٤) البقرة ٢٤٧، الأعراف ٦٩ . | (٥) الإسراء ٥٨ ، الأحزاب ٦ . | |
| (٦) البقرة ٢٨٢، الأحزاب ٥ . | (٧) الأعراف ٧١ وغيرها. | (٨) النساء ٩٠ . |
| (٩) طه ٦٢، الأنبياء ٣ . | (١٠) البقرة ٨٧ وغيرها. | (١١) طه ٣١ . |
| (١٢) البقرة ٢٥٦ وغيرها. | (١٣) النساء ٦٥ . | (١٤) المؤمنون ٢٠ . |
| (١٥) البقرة ١٤٤ وغيرها. | (١٦) النساء ٨٧ - ١٢٢ . | (١٧) النحل ٩ . |
| (١٨) القصص ٢٣ . | (١٩) الأنفال ٣٥ . | |

وكذلك يجب بيان الصاد إذا كررت مثل ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ﴾^(١) حتي لا تخفي وتخطف حركتها كما يحدث كثيرا عندما يكرر الحرف.

(د) وهي مفخمة لأنها مستعلية، فلنحرص على تفخيمها وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مرقق مثل التاء في ﴿حَرَضْتُ﴾^(٢) و﴿وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾^(٣) حتي لا تقلب سينا وصاد ﴿الصُّرَاطِ﴾^(٤) ونحوها نطقها مصفاة ما لم تكن القراءة برواية خاصة. وتجويد الضاد:

(أ) أن تنطق من مخرجها بأن يستعلى أقصى اللسان ويتقرر وسطه ويمتد طرفه ليعتمد على لثة الثنايا العليا، ويخرج النفس بصوتها من الشدين أو من شدي واحد أي أنها تنطق بوضع شبيه بوضع نطق اللام / إلا أن نفس اللام مع صوتها يخرج من الحلق فيتجه كله مباشرة إلي ظهر اللسان فيمر فوقه إلي أن يصل إلي نقطة التقاء طرف اللسان باللثة فيجد السبيل مسدودا فيخرج من جانبي طرف اللسان ولذا في ذقية. أما مع الضاد فإن نفسها بصوتها يخرج إلي الفم فلا يجري فوق ظهر اللسان، وإنما يدفعه استعلاء أقصى السان إلي الجانبين فيمر بحافتي اللسان حتي يخرج من الشدين أو أحدهما. والضاد الفصحى رخوة. ونطقها شديدة يحتبس معها النفس كالنطق المصري هو نطق غير فصيح، لأنه يضيع صفة الرخاوة.

كذلك فإن الذين ينطقونها بمد طرف اللسان خلف ملتقي الثنايا العليا والسفلي هم ينطقونها من غير مخرجها (أي يضيعون مخرجها). كما يضيعون انحرافها (أي جانبيتها) ويقللون تفخيمها وتصير كأنها زاي مفخمة أو ظاء عاتية. (وهذا خطأ) ينظر ما كتبناه عن الضاد في هذا الكتاب. وعن الفرق بينها وبين الظاء ينظر الكلام عن الظاء. وسيأتي.

(ب) ولنجتهد في تخليص صوتها إذا تكررت نحو ﴿تَنْقُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾^(٥) ، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(٦) ، وكذا إذا جاورها ظاء أو نحوها ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٧)

(١) الأعراف ١٧٦ . (٢) يوسف ١٠٣ . (٣) النساء ١٢٩ . (٤) الفاتحة ٦ .

(٥) النور ٣١ . (٦) لقمان ١٩ . (٧) الشرح ٣ .

﴿يَمُضُّ الظَّالِمُ﴾^(١) ﴿الْأَرْضِ ذَهَابًا﴾^(٢) ونحو ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾^(٣) تَخْلُصُ الضَّادُ وَلَا تَدْغُمُ.

(ج) والضاد مستعلية مفخمة، فلنحافظ على تفخيها لأنه شطر ما يتميز به جرسها عن جرس الطاء، وبخاصة إذا وقعت ساكنة وجاء بعدها حرف مرقق نحو ﴿أَغْرَضْتُمْ﴾^(٤) ﴿أَفْضَيْتُمْ﴾^(٥) ﴿وَاحْفِضْ بِجَنَاحِكَ﴾^(٦) ﴿وَقِيضْنَا﴾^(٧).
وتجويد الطاء:

(أ) أن تُنطق من مخرجها مستعلية مطبقة مجهورة. وجهرها مهم جدا. والذي يشيع بيننا في شمال مصر هو نطقها مهموسة، وهذا خطأ. والنطق الصحيح المجهور هو النطق المروي عن الأئمة. فقد وصفوا الطاء بأنها مجهورة ولم يصفوها أحد من المتقدمين بأنها مهموسة. ثم إن سيبويه ذكر ضمن الحروف الفرعية غير المستحسنة في قراءة القرآن حرفا سماه الطاء التي كالتاء، وأرجح أنه يقصد الطاء المهموسة التي ينطقها الفُرس. ولتقريب الأمر نقول أن النطق الفصيح للطاء هو نطق أبناء صعيد مصر الذين لم يتأثروا بنطق أهل الشمال وهو شبهه بالنطق المصري للضاد. فتتعلق (طَلَعَ). وكأنها (ضَلَعَ). هذا هو النطق الصحيح للطاء.

(ب) ونهتّم بتخليص صوتها على الوصف السابق وبخاصة إذا كُرِّرتْ، نحو ﴿شَطَطًا﴾^(٨) ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾^(٩). والطاء تقلقل إذا ساكنة، إلا إذا أُدْغِمَتْ في غيرها فإنها لا تقلقل. وقد أسلفنا أنها في مثل ﴿بَسَطْتَ﴾^(١٠) ﴿أَخَطْتُ﴾^(١١) ﴿فَرَطْتُ﴾^(١٢) تدغم في التاء إدغاما ناقصا أي يبقى إطباق الطاء. ونطقها طاء كاملة. يجوز لغة لا قراءة.

(د) والطاء مستعلية مفخمة، وإذا نُطِقَ بها على صحتها جاء تفخيها كاملا.

(١) الفرقان ٢٧ . (٢) آل عمران ٩١ . (٣) البقرة ١٧٣ وغيرها . (٤) الإسراء ٦٧ .
(٥) البقرة ١٩٨ . (٦) الحجر ٨٨، الشعراء ٢١٥ . (٧) فصلت ٢٥ .
(٨) الكهف ١٤، الجن ٤ . (٩) ص ٢٢ . (١٠) المائدة ٢٨ .
(١١) النمل ٢٢ . (١٢) الزمر ٥٦ .

وتجويد الظاء:

أن تنطق بامتداد طرف اللسان بين أطراف الثنايا مع الاستعلاء والإطباق ويلزمها التفخيم، مع كونها مجهورة، وليتنبه إلي عدم ترقيقها حتي لا تلتبس بالذال. وإذا وقعت ساكنة قبل التاء مثل (أَوْعَظْتَ) فإن أهل أداء القرآن لم يأتوا فيه إلا بإظهار الظاء أي عدم الإدغام رغم أن بعضا أجازوه^(١).

وبعض المتصدرين يتوهمون أن نطق الضاد نطقا فصيحيا بحيث يكون في جرسها شبه من جرس الظاء يتوهمون أن ذلك إبدال، وهذا التوهم لا أساس له لأن الإبدال إنما يكون إذا نُطق حرفٌ من مخرج حرف آخر، والأمر هنا ليس كذلك. فهنا حرفان ينطق كل منهما من مخرجه في كلماته، ولكن بين جُزئيهما شبه كالشبه الذي بين جُزس الذال والزاي وترتب عليه نطقُ بعض الناس الذال زايا دون أن يشعروا بالفرق، في حين أن الدارس ذا المَلَكَة يحس بهذا الفرق. ثم إن هناك مميّزين مهمين بين الضاد والظاء: أحدهما في المخرج وطريقة الإخراج. وهو أن الظاء يمتد معها طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلي أي يخرج طرف اللسان من بين الأسنان فيراه من ينظر إلى القارئ، في حين أن الضاد تنطق بامتداد طرف اللسان ليلتقي بسقف الحنك أعلي لثة الثنايا العليا فلا يمكن أن يُرى. والفرق الآخر مترتب على هذا وهو أن صوت الضاد أكثر تفخيما من صوت الظاء، لأن تجويف الفم الذي يدور فيه النّفس والصوت يكون في نطق الضاء أوسع وأكثر انغلاقا منه في نطق الظاء. ذلك أن امتداد طرف اللسان إلى الخارج في نطق الظاء يُحدث أثرين: تقصير مسافة اللسان التي في داخل الفم فيقل تقعره، ويجعل الفم مفتوحا ضرورة. ولذا كان العربي يميز صوت الضاد من صوت الظاء برهافة الحس السليقية بالنشأة على اللغة. وهي رهافة يمكن أن تتكوّن ملكتها بالدراسة والممارسة.

وتجويد العين :

(أ) أن تنطق سلسلة ناصعة الصوت.

(ب) وأن نحذر أن تقلب إلي حاء إذا سكنت وجاءت بعدها تاء نحو

(١) ينظر ما نقل في نهاية القول المفيد (التوفيقية ١٠١) عن مكى وغيره بشأن إدغامها هنا.

﴿تَقْتَدُوا﴾^(١) أو تقلب هاء أو حاء مشددة إذا وقعت بعدها هاء نحو ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾^(٢) ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾^(٣) ﴿فَلَا تُطِغْهُمَا﴾^(٤). كذا علينا أن نترقب إذا تكررت لنخرج العينين صحيحتين نحو ﴿أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٥) ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا﴾^(٦).

(د) وهي مرققة دائما فلنحذر من تفخيمها.

وتجويد الغين:

(أ) أَنْ تُنْطَلِقَ مِنْ مَخْرَجِهَا مَصْخُوحَةٌ مَوْفَاةٌ حَقًّا.

(ب) ونحذر أَنْ تدغم إذا وقعت ساكنة وبعدها قاف مثل ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾^(٧) أو

تقلب خاء إذا وقع بعدها شين نحو ﴿يُنْشِئُ﴾^(٨) أو غيرها نحو ﴿يُغَيِّرُ﴾^(٩) ﴿فَزِعْتَ﴾^(١٠) ﴿ضِيقًا﴾^(١١) ﴿أَغْنِي﴾^(١٢) ﴿أَغْطِشُ﴾^(١٣).

(ج) والغين مستعلية تفخم دائما حسب قواعد الحروف المستعلية

وتجويد الفاء :

(أ) أَنْ تُنْطَلِقَ مَوْفَاةٌ الصِّفَاتِ وَبِخَاصَّةِ الْهَمْسِ. وقد سيمتُّ أحد أئمة المساجد يقرأ

فاء ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ والفاءات التي بعدها مجهورة فتصير (V) وهذا غلط فاحش.

(ب) وإذا تكررت نحو ﴿فَلَيْسَتْغَفِيرٌ﴾^(١٤) ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾^(١٥) ﴿تَعْرِفُ

فِي وَجْهِهِمْ﴾^(١٦) ﴿خِلَافَتٌ فِي الْأَرْضِ﴾^(١٧) فعلينا أَنْ نتلطف في نطقها حتي لَا نُخَفِّيْ أَوْ تدغم.

(ج) ويُخْتَرَزُ مِنْ تَفْخِيمِهَا وَبِخَاصَّةِ إِذَا جَاءَ بِعَدَا أَلْفٍ نَحْوَ ﴿فَاكْهِنِ﴾^(١٨)

و﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾^(١٩). فإنها مرققة.

(١) اللامدة ٢ . (٢) يس ٦٠ . (٣) الجمالية ١٨ . (٤) العنكبوت ٨ .

(٥) الحج ٦٥ . (٦) الأعراف ٢٧ . (٧) آل عمران ٨ .

(٨) آل عمران ١٥٤ وغيرها . (٩) آل عمران ١٢٩ . (١٠) الشرح ٧ .

(١١) ص ٤٤ . (١٢) النجم ٤٨ وغيرها . (١٣) النازعات ٢٩ .

(١٤) الأنفال ٦٦ . (١٥) المطففين ٢٤ . (١٦) يونس ١٤ ، فاطر ٣٩ . (١٧) النساء ٦ .

(١٨) الدخان ٢٧ ، الطور ١٨ . (١٩) النساء ٦ ، ٤٥ .

وتجويد القاف:

(أ) أن تنطق قصوية مجهورة شديدة. ونطق القاف الذي يشيع الآن في قراءة أهل مصر وأقطار عربية أخرى للقرآن الكريم نطقٌ غير تامّ الفصاحة، لأنها تُنطق فيه مهموسة. ولم يصف أحد من الأئمة القاف بالهمس. فالفصح نطقها مجهورة. وإخواننا السودانيون ينطقونها رخوة كالغين فينقصونها صفة الشدة وهو نطق خطأ، وإخواننا اليمن ينطقونها - كالبديو وكالعامة في شمال مصر - فينقلون مخرجها إلى قرب وسط اللسان كالجيم القاهرية، وهو النطق الذي سماها به أبو حيان قافا معقودة. ولعلها هي عينها التي سميت الكاف الصماء^(١). (تشبه نطق G في كلمة Gather) وهذا النطق أشد خطأ، لأنها تُخرج به من غير مخرجها الصحيح.

وأزيد هنا أن النطق التام الفصاحة هو الذي يفسر النطق المصري والسوداني واليميني لأن لها في ذلك النطق الأنصح جزئاً يتأتى أن تلتبس به أنواع النطق الأخرى، فيظن أهل كل نطق أنهم ينطقون الفصحى. وقد رجحنا في معالجتنا الإفرادية للقاف أن القاف المصرية تميمية، وذلك أخذاً من كلمة لابن دريد جاءت في الجمهرة ورواها ابن فارس. ولذا قلنا إنها غير تامة الفصاحة ولم نقل إنها خطأ.

(ب) ولعمقها وغلظها نجد في نطقها صعوبة ماء، وتقرب في نطق أكثر النساء من الكاف، فإذا تكررت نحو ﴿فلما أفاق قال﴾^(٢) ﴿وما قدروا الله حقَّ قدره﴾^(٣). وجب التلطف لنطقها كاملة في المرتين. وإذا وقعت ساكنة وجب قلقها، لأنها إذا لم تقلقل خفي صوتها وصارت كأنها كاف فتصير ﴿فاقتلوا﴾ كأنها (فاكتلوا) كما ينطق أهل صعيد مصر في عاميتهم.

وقد قدمنا أن القلقة تبين صوت الحرف المقلقل وأنها تخففة أيضاً. وإذا وقع قبلها أو بعدها كاف نحو ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤) ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾^(٥) ﴿خَلَقَكُمْ﴾^(٦) فالإدغام جائز. لكن في ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾^(٧) واجب لأن القاف ساكنة

(١) ينظر النشر ٢٢١/١ . (٢) الأعراف ١٤٣ . (٣) الأنعام ٩١ . (٤) الفرقان ١٠ .

(٥) البقرة ٢١ . (٦) المرسلات ٢٠ .

ولكن في تمام الإدغام (بحيث تصير ﴿نخلقكم﴾ كأن بعد اللام كافا مشددة)، ونقصه (بحيث يقي استعلاؤها وتفخيمها) مذهبان. والجاري في مصر هو الإدغام الناقص.

(ج) والقاف مفخمة شأئها شأن سائر حروف الاستعلاء.
وتجويد الكاف:

(أ) أن تنطق موقاة المخرج والصفات.

(ب) وأن يُخَرَّصَ على تصفيه بجزسها وتخليصه وبخاصة إذا كُرِّزَتْ نحو ﴿يَشْرِيكُمْ﴾^(١) ﴿تَنَاسِكُكُمْ﴾^(٢) ﴿مَاسَلَكُكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٣) ﴿إِنَّكَ كُنْتَ﴾^(٤) ولا مشكلة في إدغامها في مثلها إذا كانت الأولي ساكنة مثل ﴿أَنْتُمْ تَكُونُوا يُذَرِّكُمْ﴾ الموت^(٥).

(ج) ويجب ترفيقها دائما ولنحذر من تفخيمها لئلا تنتقل إلي مخرج القاف.
وتجويد نطق اللام:

(أ) أن تُنْطَقَ من مخرجها موقاة الصفات كما فصلنا في الدراسة الإفرادية. وهي مرققة إلا في بعض أحوال لفظ الجلالة. وسيأتى الكلام عنه. وعلى هذا فليُنَبِّهْ إلى ضرورة ترفيقها إذا جاء قبلها أو بعدها حرف مفخم مثل ﴿قَالَ اللَّهُ﴾^(٦) ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾^(٧) ﴿وَالضَّالِّينَ﴾^(٨) ﴿لَسَلَطُهُمْ﴾^(٩) ﴿وَبَطْلٍ﴾^(١٠) ﴿فَقَصَلْتُ الْعَيْرَ﴾^(١١). وإذا تكررت وجب الحرص على بيان كل منها نحو ﴿وَأَيْنِيلَ الَّذِي﴾^(١٢) ﴿قُلْ لِلَّذِينَ﴾^(١٣).

(ب) وإذا كانت اللام لام (ال) فإنها تُظْهَرُ إذا كان ما بعدها أحد حروف عبارة (ابغ حجك وخفت عقيمه) وتدغم إذا كان ما بعدها أحد الحروف الباقية. وقد أسلفنا تفصيلا في لام. (ال) إذا دخلت على ما أوله لام فانظره في الكلام عن اللام الشمسية واللام القمرية في قسم الصرف.

أما غير لام (ال) مثل لام قل، بل، هل، فإن هذه اللام ساكنة وتدغم وجوبا في اللام

(١) فاطر ١٤ . (٢) البقرة ٢٠٠ . (٣) المدثر ٤٢ . (٤) يوسف ٢٩ . (٥) النساء ٧٨ .
(٦) آل عمران ٥٥ . (٧) آل عمران ١٢٢ . (٨) الفاتحة ٧ وغيرها . (٩) النساء ٩٠ .
(١٠) الأعراف ١١٨ . (١١) يوسف ٩٤ . (١٢) البقرة ٢٨٢ . (١٣) آل عمران ١٢ .

أو الراء التي تأتي بعدها نحو ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ ^(١) ﴿قُلْ لَا تَقْلُمُ﴾ ^(٢) ﴿قُلْ رَبِّي﴾ ^(٣) ﴿بَلْ رَبِّكُمْ﴾ ^(٤). إلا ﴿بَلْ رَانَ﴾ ^(٥) فإن الإمام حفصا لا يدغم هنا بل يسكت سكتة لطيفة عليها حتي لا تدغم.

لام الفعل:

يجب أن تظهر اللام إذا كانت ساكنة في فعل وبعدها نون متحركة سواء كان الفعل ماضيا أو أمرا نحو ﴿انزلنا﴾ ^(٦) ﴿أرسلنا﴾ ^(٧) ﴿فضّلنا﴾ ^(٨) ﴿قلنا﴾ ^(٩) ﴿جعلنا﴾ ^(١٠) ﴿وَأَدْخَلْنِي﴾ ^(١١) ﴿وَجْعَلْنِي﴾ ^(١٢) ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ ^(١٣). والتنبيه على ذلك سببه أن وضع اللسان في نطق اللام يشبه وضعه في نطق النون (التقاء طرفه بأعلي لثة الشاها العليا) لكن نفس اللام يخرج بصوتها من ذلك اللسان أي جانبي الطرف الملتقي منه. في حين أن نفس النون يخرج بصوتها من تجويف الأنف. وأول تجويف الأنف يقع على استقامة تجويف الحلق. فإذا كانت اللام ساكنة وبعدها نون فإن سكون اللام مع السرعة وعدم التنبيه لا يدع فرصة زمنية لنفس اللام بصوتها أن يتجه إلي تجويف الفم، ويفتح تجويف الأنف لاستقبال نفس النون بصوتها فينتجه إليه نفس اللام بصوتها مع نفس النون وصوتها فيخرج الحرفان نونا مشددة فتتطوّر ﴿جَعَلْنَا﴾ و﴿فَضَّلْنَا﴾ ونحوهما وكأنها ﴿جَعْنًا﴾ و﴿فَضْنًا﴾ وهذا غلط فاحش.

لام لفظ الجلالة:

واللام مرققة إلا في لفظ الجلالة (الله) فإنها تنغم إذا كان قبلها فتح أو ضم أي حسب النطق لا حسب الكتابة. والحكم نفسه يقع في نطق لفظ الجلالة الملحق به ميم (اللهم) مثل ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ ^(١٤) ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ ^(١٥) ﴿عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ ^(١٦) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ^(١٧) ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ ^(١٨) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(١٩) ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ ^(٢٠) ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ ^(٢١) ﴿قَالَ عِيسَى بْنُ

- | | | |
|----------------------------|------------------------------|------------------------|
| (١) النساء ٦٣ . | (٢) النمل ٦٥ . | (٣) القصص ٨٥ . |
| (٤) الأنبياء ٥٦ . | (٥) المطففين ١٤ . | (٦) البقرة ٥٧ وغيرها . |
| (٨) البقرة ٢٥٣ . | (٩) البقرة ٣٤ وغيرها . | (١٠) البقرة ١٢٥ . |
| (١٢) الشعراء ٨٥ . | (١٣) الصافات ١٨ . | (١٤) آل عمران ١٨ . |
| (١٦) الفتح ١٠ . | (١٧) المائدة ٧٤، التوبة ٥٩ . | (١٨) النساء ٨١-١٠٠ . |
| (١٩) الصافات ٣٥، محمد ١٩ . | (٢٠) يونس ٥٩ . | (٢١) يونس ١٠ . |

مریم اللہم ﴿١﴾ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ ﴿٤﴾ .
وترقق إذا شُيِّت بكسر ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٥﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٦﴾ .

وتجويد الميم:

(أ) أن تنطق موفاة المخرج والصفات غناء.

فينبغي أن تؤدي غناء. وتظهر غنتها إذا شددت سواء كان التشديد أصليا نحو
﴿دَمَرُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿يَعْمَرُ﴾ ﴿٨﴾ أو كان بسبب إدغام ميم أصلية في مثلها ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ﴿٩﴾ أو من إدغام نون أو تنوين في ميم نحو ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿١٠﴾ .

(ب) وإذا وقعت ساكنة وبعدها ميم فيجب إدغامها مثل ﴿أَمِنْ يَدَا الْخَلْقِ﴾ ﴿١١﴾ (أم
من..). ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ﴾ ﴿١٢﴾ (= أم ماذا) أما إذا وقعت ساكنة وبعدها باء مثل ﴿وَمِنْ
يَقْتَصِمُ بِاللَّهِ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ ﴿١٤﴾ فقي أدائها مذهبان: إخفاء الميم قبلها مع بقاء
غنتها كما تقلب النون الساكنة قبل الباء ميما وتُخَفَّى في قراءة مثل ﴿أَنِيْهِمْ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿مِنْ
بَعْدِ﴾ ﴿١٦﴾ . والمذهب الآخر هو إظهار الميم إظهارا تاما. وحكي بعضهم الإجماع عليه.
(ج) والميم مرققة ويتأكد ترقيقها إذا وقع بعدها حرف مفخم نحو ﴿مُخْتَصِمَةٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿مَرَضٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿مَرْجَمٌ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾ ﴿٢٠﴾ وكذا إذا جاء بعدها مدّ نحو
﴿مَالِكٌ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

وتجويد النون:

(أ) أن تخرج غناء موفاة الصفات.

(ب) وإذا تكررت وجب بيانها حتي لا تُخَفَّى نحو ﴿سَنَنْ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿بِأَغْنِيْنَا﴾ ﴿٢٤﴾

(١) المائدة ١١٤ .	(٢) النصر ١ .	(٣) الشمس ١٣ .	(٤) الأنفال ٣٢ .
(٥) المائدة ١٢٠ .	(٦) الزمر ٤٦ .	(٧) محمد ١٠ .	(٨) البقرة ٩٦، فاطر ١١ .
(٩) البقرة ٢٩ .	(١٠) السجدة ٨ .	(١١) النمل ٦٤ .	(١٢) النمل ٨٤ .
(١٣) آل عمران ١٠١ .	(١٤) غافر ١٦ .	(١٥) البقرة ٣٣ .	(١٦) البقرة ٢٨ وغيرها .
(١٧) المائدة ٣ والتوبة ١٢٠ .		(١٨) البقرة ١٠ .	(١٩) آل عمران ٣٦ .
(٢٠) البقرة ٧٤ - ٨٥ وغيرها .		(٢١) الفاتحة ٤ .	(٢٢) البقرة ٤ .
(٢٣) آل عمران ١٣٧ النساء ٢٦ .		(٢٤) هود ٣٧ وغيرها .	

﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾^(١) ﴿وَيَقُولُونَ نَحْشِي﴾^(٢) ﴿وَنُخْشُ تَرْيُصُ بِكُمْ﴾^(٣) وقد أسلفنا بيان أحكامها عندما يليها أي من حروف الأبجدية.

(ج) ولنحرص على ترقيقها حتي لا تنغم وبخاصة إذا جاء بعدها ألف أو مفخم نحو ﴿ولا ناصير﴾^(٤) ﴿الناصرين﴾^(٥) ﴿ناصرة﴾^(٦) ﴿ناظرة﴾^(٧).
وتجويد الهاء.

(أ) أن نحرص على نطقها بتقوية دَفْع الهاء لنطقها حتي لا تسمع وتصير كأنها همزة ملينة في نحو ﴿اهدنا﴾^(٨) و﴿بناها﴾^(٩) و﴿متهاها﴾^(١٠).

(ب) وتؤكد ضرورة بيانها إذا كررت نحو ﴿وَجُودُهُمْ﴾^(١١) ﴿وَيُلْهِمُهُمْ﴾^(١٢) ﴿فيه هدى﴾^(١٣) وكذا إذا وقعت ساكنة نحو ﴿عَهْدًا﴾^(١٤) ﴿فمن اقتدي﴾^(١٥) ﴿كَالْعَيْنِ﴾^(١٦) كما تجب العناية بإظهارها إذا سبقتها حاء ساكنة نحو ﴿فَسَبِّحْهُ﴾^(١٧) حتي لا تقلب حاء تأثرا بالحاء السابقة وكذا إذا تلتها حاء ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١٨) (ج) والهاء مرققة فينبغي ملاحظة ذلك وبخاصة إذا اقترنت بمفخم نحو ﴿فَاطْهَرُوا﴾^(١٩) ﴿ظَهَرَ الفساد﴾^(٢٠).

وتجويد الواو:

(أ) أن تنطق موقاة المخرج والصفات مع الاعتناء بضم الشفتين.

(ب) وتظهر حركتها وبخاصة الضم نحو ﴿تَفَاوَتْ﴾^(٢١) ﴿ولا تَسْنُوا الْفَضْلَ﴾^(٢٢) ﴿ما وُورِيَ﴾^(٢٣). ولا تدغم إذا كانت ساكنة مدية نحو ﴿قالوا وَهُمْ﴾^(٢٤) وإنما تدغم

- | | | |
|-------------------------------|-----------------------|--------------------|
| (١) النساء ١٥٩ والأنعام ١٠٩ . | (٢) للمائدة ٥٢ . | (٣) التوبة ٥٢ . |
| (٤) الطارق ١٠ . | (٥) آل عمران ١٥٠ . | (٦) القيامة ٢٢ . |
| (٨) الفاتحة ٦ . | (٩) النازعات ٢٧ . | (١٠) النازعات ٤٤ . |
| (١٢) الحجر ٣ . | (١٣) البقرة ٢ . | (١٤) البقرة ٨٠ . |
| (١٦) المعارج ٩، القارعة ٥ . | (١٧) ق ٤٠، الطور ٤٩ . | (١٨) الأنعام ٩١ . |
| (١٩) للمائدة ٦ . | (٢٠) الروم ٤١ . | (٢١) للملك ٣ . |
| (٢٣) الأعراف ٢٠ . | (٢٤) الشعراء ٩٦ . | (٢٢) البقرة ٢٣٧ . |

إذا كانت لنا فقط (أي ساكنة وقبلها فتحة) واو نحو ﴿عَفَّوْا وَقَالُوا﴾^(١) و﴿اتَّقُوا وَآمَنُوا﴾ ثم اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا﴾^(٢).

(ج) وقال الشيخ المرعشي ولعل الحق أن الواو المدية تفخم لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو ﴿الطُّور﴾^(٣) ﴿الصُّور﴾^(٤) ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) لا يمكن إلا بإشراؤها صوت الياء المدية^(٦).

وتجويد الياء:

أن تُنطَق موقاةً المخرج والصفات مرققة وبخاصة إذا قارنها حرف مفخم مثل ﴿يَضْرِبُونَ﴾^(٧)، وأن يعتني ببيان حركتها وبخاصة إذا كانت مكسورة نحو ﴿تَرِينَ﴾^(٨) و﴿مَعَايِشَ﴾^(٩) ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾^(١٠) وكذلك يُعْتَنَى ببيانها وبيان حركتها إذا كررت نحو ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ﴾^(١١) ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾^(١٢) ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّجَ الْوَتَنَ﴾^(١٣) ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١٤) ﴿إِنْ وَلَّيْتَهُ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(١٥).



-
- (١) الأعراف ٩٥ . (٢) المائدة ٩٣ . (٣) البقرة ٦٣ وكثير . (٤) الأنعام ٧٣ وكثير .
 (٥) التحريم ٦ .
 (٦) ينظر جهد المقل وبيانه للمرعشي (مكتبة قرطبة) ٨٧ ونقل في نهاية القول المفيد آخر الباب الثالث .
 (٧) الأنفال ٥٠ . (٨) مريم ٢٦ . (٩) الأعراف ١٠ الحجر ٢٠ .
 (١٠) البقرة ٧١ . (١١) النساء ٨٦ . (١٢) الأعراف ١٤٦ . (١٣) القيامة ٤٠ .
 (١٤) يوسف ١٠١ . (١٥) الأعراف ١٩٦ .

الوقف

للوقف جانبان:

الأول: مواضعه وهو من مجال دراسة المعنى. وهو بالغ الأهمية، لأنه يترتب عليه اختلاف المعنى. ففي قوله تعالى في قصة موسى - حين أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة فرفضوا - ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) الوقف على كلمة «عليهم» يعني أن التحريم مطلق فيحتمل أن يكون مؤبداً، في حين أن وصل «عليهم» بما بعدها والوقف على أربعين سنة» يجعل التحريم محدداً بالمدة المذكورة. وهذا الجانب من الوقف متنوع الأحكام منتشر النفع، متعدد القواعد. وألقت كتب في مواضعه في القرآن الكريم، وحكمه في كل موضع، ورموز الأحكام^(٢). (م/لا/صلى/ قلى/..:.) وهي مع أمثلة لها في خاتمة أكثر طبعات المصحف الشريف. ويلزمه البحث في أحكام الابتداء بعد الوقف. فهو علم مستقل كامل القوام.

الجانب الثاني: هيئات الوقف وهي متعددة.

- أ- فيوقف بإبدال التوين ألفا في ما آخره منصوب وليس تاء مربوطة مثل ﴿حَسَابًا﴾^(٣).
- ب- ما آخره حرف مد ثابت مثل: ﴿يَسْعَى﴾^(٤) ﴿أُخْرَى﴾^(٥) ﴿فَلَهُ عَشْرُ﴾ أمثالها^(٦) ﴿يَدْعُو﴾^(٧) ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٨) ﴿يَأْتِي﴾^(٩) يوقف عليه بإبقاء حرف المد كما هو - ، وإن كان محركا تحذف حركته. وأما غير الثابت ونقصه به المد الذي يؤتى به للأداء فقط كمد الصلة في «لَهُ» «عِنْدَهُ» «بِهِ» «إِلَيْهِ».. فإنه يحذف عند الوقف.
- ج - وما آخره تاء مربوطة يوقف عليه بإبدالها هاء مثل ﴿فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مَنَّةٌ حَبِيبَةٌ﴾^(١٠). أما تاء التانيث المفتوحة مثل ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾^(١١) وتاء التانيث التي تلحق بالفعل مثل ﴿قَالَتْ﴾^(١٢) فلا تبدل في الوقف وإنما تنطق ساكنة.

(١) المائدة ٢٦ . (٢) ينظر «الإقان» للسيوطي النوع الثامن والعشرون. (٣) النبأ ٢٧ . (٤) القصص ٢٠ . (٥) النساء ١٠٢ . (٦) الأنعام ١٦٠ . (٧) البقرة ٢٢١ . (٨) البقرة ٢٢١ . (٩) البقرة ٢٥٨ . (١٠) البقرة ٢٦١ . (١١) التحريم ٥ . (١٢) البقرة ١١٣ .

د - ما آخره متحرك منون أو غير منون عدا ما سبق يوقف عليه بالسكون مثل ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ لا تأخذه سنة ولا نوم / لَهْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ / مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ..﴿^(١)

ه - هناك وقف بالإشمام (الإشارة إلى الضم بالشتتين) ويقع بعد ما كان مضموماً، وبالروم (نطق بعض الحركة) ويصلح في الوقف على ما كان مضموماً أو مكسوراً، ويتضعف الحرف الموقوف عليه إذا لم يكن همزة ولا حرف علة ولا مسبوقةً بسكون، وينقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الصحيح قبله - ولكل منها أحكام مفصلة.

و - كما أن هناك أحكاماً للوقف على ما آخره ياء أو واو غير منونة، وما آخره همزة.

ز - وأحكام أخرى لهاء الوقف. يمكن مراجعة تفاصيل هذه الثلاثة في الموسع فهي فيه موثقة.

وبالله التوفيق ونسأله القبول الحسن

اللهم آمين

والحمد لله رب العالمين.

(١) البقرة ٢٥٥ .

جريد المراجع

- القرآن الكريم.
- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي ٣٥١هـ)، تح. عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٦٢م.
- الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ)، دون تحقيق، عالم الكتب - بيروت.
- وتح. محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- ارتشاف الضرب من كلام العرب، لأبي حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت ٧٢٥هـ)، تح. د. مصطفى النحاس، مطبعة المدني ١٩٨٧م، ونشرة أخرى تح. د. رجب عثمان - مكتبة الخانجي ١٩٩٨م.
- أسباب حدوث الحروف، لابن سينا (الرئيس أبي علي الحسين، ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، صححه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٣٢هـ.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد - القاهرة ١٩٦٣م.
- أصوات اللغة العربية، د. عبد الرحمن أيوب - القاهرة ١٩٦٨م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو - القاهرة ١٩٧١م.
- الأصوات والإشارات، كندرا توف، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
- الأضداد، لابن الأنباري (محمد بن القاسم ٣٢٨هـ)، تح. محمد أبو الفضل، وزارة الإعلام الكويت ١٩٨٦م.
- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك (محمد بن محمد ٦٨٦هـ)، تح. د. حاتم الضامن، الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب ٨١٧هـ)، تح. الشيخ محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٣هـ.

- بغية المرتاد لتصحيح الضاد، لابن غانم المقدسي (علي بن محمد بن علي ١٠٠٤هـ)،
تح. د. محمد جبار العبيدي، مجلة المورد، ع ٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- بغية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح. محمد أبو الفضل، دار
الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ٢٧٦هـ)، تح. السيد صقر،
دار التراث - القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- تاج العروس، للزبيدي (أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني ١٢٠٥هـ)، طبعة
الكويت، وطبعة بيروت المصورة عن المطبعة الخيرية المصرية.
- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولسفنون - القاهرة ١٩٢٩م.
- التجويد والأصوات، د. إبراهيم محمد نجما.
- التحديد في الإتيقان والتسديد في صنعة التجويد، لأبي عمرو الداني (عثمان بن
سعيد ٤٤٤هـ)، تح. د. أحمد عبد التواب الفيومي، وهبة - القاهرة ١٩٩٣م.
- تحقيقات في التلقي والأداء، د. محمد حسن حسن جبل، مطبعة التركي يطنطا
١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- التذكار في أفضل الأذكار، للإمام القرطبي (محمد بن أحمد)، ٦٧١هـ.
- التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وعلق عليه د. رمضان عبد
التواب، الخانجي - القاهرة ١٩٨٢م.
- التغني بالقرآن، لبيب السعيد.
- تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل آي القرآن»، لأبي جعفر (محمد بن جرير
٣١٠هـ)، تح. الشيخين: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
- تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، دار الكاتب العربي - القاهرة
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، للفخر الرازي (٦٠٦هـ)، دار الغد العربي -
القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- التوطئة في اللغة العبرية، د. فؤاد حسين.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد، الكاتب العربي - القاهرة، دون تاريخ.
- جهرة اللغة، لابن دريد (محمد بن الحسن ٣٢١هـ)، تح. د. رمزي بعلبكي، العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م.
- جهد المقل وبهامشه بيان جهد المقل، للإمام محمد المرعشي (١١٤٥هـ)، تح. مكتبة قرطبة، مؤسسة قرطبة ٢٠٠٤م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح. الشيخ محمد علي النجار، الهدى - بيروت، ط ٢.
- خصائص اللغة العربية، د. محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٧م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة ١٩٩٠م.
- دفاع عن القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، مطبعة البربري، بسيون (مصر) ٢٠٠٠م.
- دقائق التصريف، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (٣٥٠هـ)، تح. د. أحمد ناجي القيسي، ود. حاتم الضامن، الجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، للإمام مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تح. أحمد حسن فرحات، دار عثمان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- زينة الفضلاء لابن الأنباري، تح. د. رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١م.
- السبعة في القراءات، للإمام أبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، تح. د. شوقي ضيف، المعارف - مصر، ط ٢.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح. د. حسين هندراوي، دار القلم - دمشق ١٩٨٥م.
- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (عبد الله بن محمد ٤٦٦هـ)، تح. عبد المتعال الصعيدي - القاهرة ١٩٥٣م.

- سر الليال في القلب والإبدال، أحمد فارس الشدياق (١٣٠٤هـ)، القسطنطينية ١٢٨٤هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام (عبد الملك ٢١٣هـ)، تح. مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلي، إلبابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لنور الدين علي بن إبراهيم (١٠٤٤هـ)، مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- شرح الشافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الإمبراباذي (٦٨٦هـ)، تح. الشيخ محمد محيي الدين، والشيخ محمد نور الحسن، والشيخ محمد الزفزاف، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تح. عبد السلام هارون، المعارف - القاهرة، ط ٢.
- شرح المفصل، لابن يعيش (هو يعيش بن علي ٦٤٣هـ)، المنيرية - القاهرة، دون تاريخ.
- الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تح. السيد صقر، عيسى البابي - القاهرة ١٩٧٧م.
- صبح الأعشى، للقلقشندي (أحمد بن علي ٨٢١هـ)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (عن الأميرية).
- ضرائر الشعر، لابن عصفور الإشبيلي (علي بن مؤمن ٦٦٩هـ)، تح. السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٠م.
- العربية، يوهان فك، ترجمة د. عبد الحليم النجار - القاهرة ١٩٥١م.
- العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة - الدار البيضاء، دون تاريخ.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه (أحمد بن محمد ٣٢٨هـ)، تح. د. الترحيني، وهناك نشرة بتحقيق أحمد أمين وآخرين.
- علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار غريب - القاهرة ٢٠٠٠م.

- علم الأصوات، مالبرج، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، الشباب - القاهرة ١٩٨٥م.
- علم الصوتيات، د. عبد الله ربيع ود. عبد العزيز علام، التوفيقية - القاهرة ١٩٧٧م.
- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣م.
- علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين.
- العين، للخليل بن أحمد (نحو ١٧٠هـ)، تح. د. مهدي المخزومي، د. السامرائي، دار الرشيد - العراق ١٩٨١م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد بن الجزري، تح. برجستراسر، الخانجي ١٩٣٢م.
- الفائق في غريب الحديث، للزخشي (محمود بن عمر ٥٣٨هـ)، تح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، عيسى إلبابي - القاهرة، ط ٢.
- الفرق بين الضاد والظاء، لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تح. د. أحمد كشك - القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تح. وهي سليمان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- فقه اللغة وصر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٣٠هـ)، تح. مصطفى السقا، والإبياري وعبد الحفيظ شلي، مصطفى البابي - القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٦م.
- القطوف واللباب (مختارات من الأدب الفارسي)، د. حامد عبد القادر.
- القلب والإبدال، لأبي يعقوب يوسف بن السكيت (٢٤٠هـ)، تح. د. أوغست هفتر ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٣م.

- القواعد الكافية في اللغة الفارسية.
- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٦هـ)، تح. محمد أبو الفضل والسيد شحاتة، نهضة مصر - القاهرة.
- الكتاب، لسيبويه (نحو ١٨٠هـ)، تح. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- كشف اصطلاحات الفنون، للفااروقي التهانوي (بعد ١١٥٨)، تح. د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ونشرة دار الكتب العلمية - بيروت، تح. أحمد بسج ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، مصورة عن طبعة بولاق.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني (أحمد بن محمد ٩٢٣هـ)، تح. الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ/١٩٧٦م.
- لهجات العرب، أحمد تيمور (١٣٤٨هـ) - القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- اللهجات العربية، د. إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندى، الدار العربية للكتاب - ليبيا ١٩٩٣م.
- مجموعة الشافعية من علمي الصرف والخط، بشرح الجاربردي وحاشية ابن جماعة الكتاني، عالم الكتب - بيروت، مصور عن طبعة المطبعة العامرة بتصحيح عثمان حلمي قره حصارى).
- المحكم في أصول الكلمات العامية، أحمد عيسى بك.
- المختصر الشافعي على متن الكافي في العروض والقوافي.
- المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، الخانجي - القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي، ترجمة د. مهدي المخزومي، د. المطلي، عالم الكتب - بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (٣٥١هـ)، تح. محمد أبو الفضل، نهضة مصر - القاهرة، د.ت.
- المختار من محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني.
- الزهر في علوم اللغة، للسيوطي، تح. محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل، مصطفى البابي - القاهرة ١٩٥٨م.
- المستوفى في النحو، لعلي بن مسعود الفرخاني، تح. د. سعد جحا - القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، تح. الشيخ محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي وعبد الفتاح شلي، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٢م.
- المغرب، للجواليقي (موهوب بن أحمد ٥٤٠هـ)، تح. ف عبد الرحيم، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- مفتاح العلوم، للسكاكي (يوسف بن أبي بكر ٦٢٦هـ)، مصطفى البابي - القاهرة ١٣٥٦هـ.
- مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (نحو ٥٠٢هـ)، تح. محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي - القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م. تح. د. عدنان داوودي، دار القلم - دمشق ١٩٩٢م.
- مقالات الإسلاميين، للإمام الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ٣٢٤هـ)، تح. الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- مقاييس اللغة (معجم)، لابن فارس، تح. عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٦٦هـ.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد محمد بن يزيد (٢٨٦هـ)، تح. الشيخ عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٨٥م.

- مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٩ م.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد)، صححه وراجعها الشيخ علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي نصر، مصطفى البابي - القاهرة ١٣٤٩ هـ.
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تح. الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٨ م.

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الرابعة	٣
مقدمة الطبعة الأولى من هذا المختصر	٥
من أهداف دراسة أصوات اللغة العربية	٧
منهج البحث في الأصوات	١٧
شعب الدراسة الصوتية	٢١
الصوت ظاهرة طبيعية	٢٤
الجهاز الصوتي الإنساني	٣٠
الصوت الإنساني والصوت اللغوي وكيفية صدورهما	٤٥
تحرير المعنى اللغوي لكلمة «صوت»	٤٥
تساؤل عن الأصوات اللغوية التي ينتجها جهاز الصوت الإنساني	٤٩
مخارج الحروف وصفاتها	٥٢ - ٦٩
مخارج الحروف إجمالاً	٥٣
• صفات الحروف	٥٥
الجهير والهمس	٥٦
الشدّة والرخاوة	٥٧
العلاقة بين مجموعتي الجهير والهمس والشدّة والرخاوة	٦٠
الاستعلاء والاستفال	٦٢
الإطباق والانفتاح	٦٣
الذلاقة والإصمات	٦٥
الصفير/ الانحراف	٦٦

٦٩ ، ٦٨	التكرير/ التنفسي/ الاستطالة/ الخفاء
٧٠	الأصوات اللغوية غير العربية ومخارجها وصفاتها
٧٢	جدول الألفبائية العالمية
٧٣	مقابل الأبجدية العربية من الرموز
١٣٩ - ٧٤	* تفصيل الكلام في الحروف
٧٤	الحروف المزمارية: الهمزة
٧٨	ألف المد
٨٠	الهاء
٨٢	خاصة لهذه المجموعة وتطبيقات
٨٤	حروف وسط الحلق: العين والحاء
٨٥	تطبيقات
٨٧	الحاء
٨٨	تطبيقات
٩٠	حروف أصل اللهاة وأقصى اللسان
٩١	الحاء
٩١	الغين
٩٣	القاف
٩٥	القاف المعقودة = القاف الريفية = الجيم القاهرية = الكاف الصماء = الكاف الفارسية ...
٩٧	الكاف الثرية
١٠٠	أحرف وسط مقدم اللسان
١٠١ - ١٠٠	الياء الصامتة/ الجيم
١٠٤	الشين
١٠٦	حروف طرف اللسان:
١٠٧	حروف ذلق اللسان: اللام

١٠٨	الرء
١١٠	النون
١١٢	النون الحففة
١١٢	الضاد
١٢٠	• حروف طرف اللسان وأصول الثالما العلفا وصفحاتها
١٢٠	الطاء
١٢٢	الذال
١٢٢	الثاء
١٢٥	• حروف ألفة اللسان مع صفحتي الثففن العلفن
١٢٥	الصاد والسن والزاف
١٢٨	• حروف طرف اللسان وأطراف الثالما العلفا
١٢٨	الظاء والذال والثاء
١٣٢	• حروف الشفة مع الأسنان
١٣٢	الفاء
١٣٤	• الحروف الشفوفة: الباء
١٣٥	المفم
١٣٨	الواف
١٤٠	• الحركات:
١٤٣	الحركات المفارة
١٤٩	• تقسفف الأصواف الألفباءفة إلى صواف وحرواف
١٥٤	الوافة الصواف والصورة الصواف
١٥٩	مقارنة بفن العربفة ورفرها فف عدد الوواف الصواف
١٦٥	طول الصواف اللغوف
١٦٦	المقافع الصواف

١٧٣ التطرير الصوتي
١٧٤ النبر
١٧٧ التنعيم
١٧٩ * تطبيقات صوتية في مجالات الدراسة اللغوية
١٧٩ في متن اللغة
١٨٢ في الصرف
١٨٣ اللام الشمسية واللام القمرية
١٨٤ * قسم التجويد معنى التجويد وحكمه وأنواع القراءة
١٨٧ المد والقصر
١٩١ القلقة
١٩٢ الإدغام والإظهار
١٩٣ أحوال النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية
١٩٦ الميم الساكنة مع الحروف الأبجدية
١٩٧ التفخيم والترقيق
١٩٩ عرض لما ينبغي مراعاته في القراءة من تجويد الحروف حرفاً حرفاً
٢٠٠ من تجويد الحروف واحداً واحداً
٢١٩ الوقف
٢٢١ ثبت المراجع

المختصر في أصوات اللغة العربية

☆ الكتاب :

- هذا الكتاب «المختصر في أصوات اللغة العربية» دراسة نظرية وتطبيقية، حرص فيه المؤلف على:
- 1- حشد كل ما بهم الدارس العربي في هذا المجال في كل نقطة يعالجها.
 - 2- عروبة المعالجة، بمعنى انصباها على المسائل العربية، واهتمامها بما جاء في التراث العربي في كل مسألة، والربط بين الفصحى والعامية (المصرية).
 - 3- المعالجة على بصيرة، بحيث تتضمن نقد ما فيه مجال للنقد.
 - 4- الاهتمام بما قالته الدراسات الحديثة، عربية أو أوروبية، في هذا المجال.
 - 5- ضم ثمرات الخبرة، وتوظيفها في التوضيح والتقويم كلما تطلب الأمر ذلك.
 - 6- ملاحة المقررات الصوتية بالتطبيقات الموثقة والموضحة في مجاليّ الفصحى والعامية.
- وإجمالاً فإن هذا الكتاب يوفر مستوى **الفقه** في دراسة أصوات اللغة العربية، بما يشمل أصول التجويد في قراءة القرآن الكريم.

☆ المؤلف: أ.د. / محمد حسن حسن جبل

- من مواليد ١٠ / ٣ / ١٩٣١م - محافظة كفر الشيخ.
- «عالية» اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٩٥٦م.
- ليسانس آداب في الفلسفة - جامعة القاهرة ١٩٥٧م.
- دبلوم عامة وخاصة في التربية - جامعة عين شمس ١٩٥٧، ١٩٦٥م.
- ماجستير في اللغة العربية - تخصص أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٦٧م.
- دكتوراه في أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٧٦م.
- بدأ معاشته لفقه اللغة العربية منذ تسجيل رسالته للدكتوراه في موضوع «أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم» سنة ١٩٦٧م.

☆ من مؤلفاته:

- المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم.
- الاحتجاج بالشعر في اللغة.
- الاستدراك على المعاجم العربية.
- الدلالات اللغوية والقرآنية.
- أصوات اللغة العربية.
- دفاع عن القرآن الكريم.
- وثيقة نقل النص القرآني الكريم.
- الرد على جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات.
- المعنى اللغوي، دراسة عربية مؤصلة نظرياً وتطبيقياً.
- علم فقه اللغة العربية، أصوله ومسائله.

ISBN 978 977 468 018 2



9 789774 860188

تباع كتبنا لدى المكتبات الكبرى : دار المعارف - الأهرام - الأخيار
روزاليوسف - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الجمهورية